كتابي

١٠ قروش



بائعة اللبن

لوحة بمتحف اللوفر للفنان "جروز" (١٧٢٥-١٨٠٥)

حلمى مراد



« ديانا » العصرية .. وكلاب الصيد

لوحة للفنان « شارل ولينجتون فيرس » ، بمتحف « تيت جاليرى »

كتابي

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر
صاحبه ورئيس تحر يره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الثانى والستون (السنة السادسة) : مايو ١٩٥٧
الاشتراكات ومجموعة الأعدادالسابقة: اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

محتويات العدد

الموضوع **الصفحة**


قرأت وشاهدت لك
فى الكتب .. والمسارح .. والحياة !

البرنامج الثانى .. وأسطورة «بيجماليون»

◆ قبل أن نبدأ سياحتنا الذهنية هذا الشهر ، تعال نزجى أصدق التهنئة لأصحاب فكرة « البرنامج الثانى » بالاذاعة المصرية ، وللمشرفين على تنفيذه ، فلقد طالما عتبنا على اذاعتنا اهمالها « المزمن » لكل مامن شأنه ارضاء أذواق الخاصة من طلاب الثقافة وعشاق المتع الذهنية ، واصرارها على أن تستهدف ارضاء ميول العامة فى برامجها جميعا بلا استثناء ، ولو أدى ذلك الى قصر وظيفة الاذاعة على مجردالتسلية « الخفيفة» فحسب !.. (وقد تكون لاحظت أنالبرنامج «العام» ، الذى يجود بساعات من وقته كل يوم لكثير منالبرامج و «الأركان» المنطوية على « دردشة » سطحية حول أمور شخصية لاتعنى المستمع فى شىء .. كان يضن على أية قصة من « روائع القصص العالمى » ـ مهما بلغت روعتها ـ بأكثر من خمس عشرة دقيقة فى الأسبوع ، بحيث لو زادت القصة عن هذا الوقت المخصص لها، دقيقة أو دقيقتين ، لم يكن أمام راويها غير مخرج مناثنين: اما أن يبتر القصة بترا ، قبل نهايتها ـ وأنف المؤلف فى الرغام ! ـ أو يعدل عن اذاعتها ، مضحيا بالمجهود الذى بذله فى اعدادها ، احتراما لفن مؤلفها ورصانة أدبه !)

وقد استهل البرنامج الثانى اذاعاته الثقافية بتحليل رائع أعده الأديب المحقق الدكتور لويس عوض ، لمسرحية توفيق الحكيم المعروفة : «بيجماليون» ، التى أصدرها فى عام ١٩٤٢ ، والتى بناها على الأسطورة اليونانية القديمة المعروفة بهذا الاسم

ولـ « بيجماليون » شهرتان : شهرة تستمدها من الأسطورة المذكورة ، وشهرة أخرى حديثة تستمدها من المسرحية العصرية التى كتبها الأديب الانجليزى « برنارد شو » تحت نفس العنوان ـ فى عام ١٩١٢ ـ والتى لاتمت للأسطورة الأصلية بغير وجه شبه رمزى !

.. وخلال القرون الطويلة التى انقضت بين ذيوع القصتين ، كانت فكرة « بيجماليون » مبعث الوحى لكثير منالشعراء ، والفنانين ، وأعلام النحت والرسم والموسيقى ، على مر العصور .. كما سنرى

فتعال نستعرض معا تطور الفكرة منذ عصر اليونان .. الى اليوم :

الفنان الذى عشق تمثاله !

◆ كان يعيش فى جزيرة قبرص ـ فيما تقول الأسطورة ، كما

رواها الشاعر القديم «أوفيد» ـ مثال بارع ذائع الصيت يدعى «بيجماليون» ،بلغ به الاشمئزاز من تهتك نساء الجزيرة حدا جعله يمقت الجنس كله ، فيقرر أن يعيش حياته « أعزب » ، عزوفا عن الزواج !٠٠ وبدلا من أن يعيش فى صحبة امرأة من لحم ودم ، نحت تمثالا من العاج لامرأة تفوق فى حسنها أجمل نساء البشر ، وتكاد من فرط اتقان صنعها أن تنبض بالحياة ، وتتردد أنفاسها !٠٠ وتزايد اعجاب الفنان « بمخلوقته » الخلابة يوما بعد يوم ، حتى ٠٠ وقع فى هواها !٠٠ صار يمر بيده على « جسدها » فى رقة ووله ، وهو لايكاد يصدق أنها ليست الا مخلوقة من ٠٠ العاج ! ٠٠ بل صار كثيرا مايحتضن عذراءه بين ذراعيه ، ويغدق عليها الهدايا التى تأسر قلوب النساء !٠٠ فهو تارة يضع حول رقبتها عقدا جميلا ، وآونة يزين أصبعا من أصابعها بخاتم ثمين ، أو يعلق فى أذنيها قرطا بديعا ، أو يرصع نحرها وثدييها بعقود من اللؤلؤ ، أو يزين شعرها بأزهار مختلفة الألوان ، فواحة الأريج ٠٠ أو يلقى على كتفيها وشاحا من ثياب النساء فى ذلك العصر، فكانت تبدو حين يكسوها ذات حسن لايقل عن حسنها وهى عارية !٠٠ وأحيانا كان يمدد عذراءه الفاتنة على أريكة فاخرة مكسوة بالدمقس ، ويريح رأسها على وسادة من ريش النعام ـ كما لو كانت تستمتع بنعومته ! ـ ثم يدللها مناجيا ومناديا ، باعتبارها ٠٠ زوجته !

ثم أقبل عيد الربة « فينوس » ـ ربة الحب والجمال ـ وكان سكان (قبرص) يحتفلون بهذا العيد احتفالات صاخبة ، تقدم فيها الذبائح ، وتملأ الجو رائحة البخور٠٠ فلما فرغ « بيجماليون » من فرائض العيد ، وقف أمام المذبح متعبدا ، وهمس يبتهل الى الآلهة فى خشوع : « أيتها الآلهة القادرة على كل شىء ، امنحينى زوجة فى جمال عذرائى العاجية ! » ـ ولم يجرؤ على أن ينطق بأمنيته الحقيقية فيقول : « امنحينى عذرائى العاجية ذاتها ، زوجة لى ! »

وسمعته الربة فينوس ، راعية العيد ، وأدركت أمنيته التى لم يجرؤ على النطق بها ، فمنحته بركتها وأغدقت عليه طلبته ٠٠ وسرعان ماتطاولت ألسنة اللهب فوق المذبح ثلاث مرات ، بشيرا بذلك !٠٠ فلما عاد « بيجماليون » الى داره مضى ليرى تمثاله المعشوق، وانحنى على الفم العاجى يطبع عليه قبلة، كمألوف عادته ٠٠ لكن فم التمثال بدا له كما لو كان ٠٠ دافئا !٠٠ فضغط شفتيه على الشفتين ، مرة أخرى ، ومر بيديه على ثنايا الجسد المضطجع على الاريكة ٠٠ فاذا العاج يغدو تحت ملمسه ، أنعم من المعتاد ٠٠ واذا هو يلين تحت أصابعه ، كما يلين الشمع !

وانتصب على قدميه مشدوها ، فرحا ، ومرتابا فى الوقت نفسه ٠٠ بل أحس بالخوف يذرع قلبه ويتوزعه ، خشية أن تكون فرحته غير مستندة الى أساس ! وبلهفة العاشق وحرارته ، راح يلمس معشوقته من جديد ٠٠ المرة تلو المرة !٠٠



بيجماليون ومعشوقته ـ العاجيــة ـ « جالاتيا » كما تخيلهما الرسام العالمى « ستيل سافيج »

كلا ، ليس فى الأمر ريب : انها تنبض بالحياة !.. وهاهو جسدها يستجيب للمساته فتنطبع عليه أصابعه ، ثم يستعيد سيرته الأولى بعد أن يرفع يده عنه.. وهاهى الدماء تجرى فى عروق التمثال !

.. أخيرا وجد المتعبد الخاشع صوته ليشكر الربة « فينوس » على عطيتها الكبرى .. ثم عاد يضغط شفتيه على شفتين فى حيوية شفتيه . وأحست العذراء بقبلاته فتضرج وجهها ، ثم فتحت عينيها فى حياء وخجل لتلتقيا بعينى عاشقها المستهام ..

وباركت « فينوس » العروسين اللذين جمعت شملهما . ومن هذا الشمل ولد بعد شهور ابنهما « بافوس » الذى خلع اسمه على المدينة التى صارت منذ ذلك التاريخ مركزا نعبادة ربة الحب والجمال !

هذه هى الأسطورة كما رواها الشاعر الرومانى « أوفيد » فى موسوعته الأسطورية المشهورة المؤلفة من خمسة عشر جزءا : (les Métamor — — phoses) وقد ذكر فيها أن « بيجماليون » كان حفيد ملك قبرص المدعو « أجينور » . على أنه لم يورد سندا تاريخيا يؤيد أن بيجماليون أطلق على تمثاله المعشوق اسم « جالاتيا » ، وهو الاسم الذى عرف به التمثال فى مجالات الآداب والفنون منذ ذلك العصر الى اليوم .

وهناك رواية أحرى تعزو احجام « بيجماليون » عن الزواج – أو الاتصال بالنساء ، على أية صورة – الى سبب آخر غير اشمئزازه من تهتك نساء قبرص، هو حرصه على التفرغ لفنه الحبيب تفرغا كاملا لايشوبه أدنى انشغال عنه . وكذلك تختلف الروايات بشأن الدافع الذى أوقع بيجماليون فى هوى تمثاله : فبينما تعزوه الرواية الأولى الى فرط اعجاب الفنان بما صنعت يداه ، تعلله رواية أخرى بأنه كان من تدبير الربة « فينوس » نفسها ، رغبة منها فى الانتقام من الفنان المتمرد الذى رفع راية الاعراض عن النساء ، ومقاطعتهن مقاطعة صارمة ! وقبل أن أقدم لك ملخصا موجزا لفكرة المسرحية التى كتبها « برنارد شو » بعنوان « بيجماليون » ، تعال نستعرض أشهر الاعمال الأدبية والفنية التى استوحاها عباقرة الفن فى مختلف البلاد ، من أسطورة بيجماليون :

◆ ففى عام ١٥٩٨ نشر الشاعر الانجليزى « جون مارستون » قصيدته : « تبدل صورة بيجماليون »

◆ وفى عام ١٦٩٤ مثلت فى (هامبورج) بألمانيا ، أوبرا « بيجماليون » ، التى لحن موسيقاها الفنان « جوهان جورج كونرادى »

◆ وفى عام ١٧١٧ تقدم الرسام « جان راوو » الى أكاديمية الفنون بباريس بلوحة أطلق عليها « بيجماليون يعشق تمثاله » ، سعيا الى قبوله عضوا بالاكاديمية . وقد حققت اللوحة له حلمه ، وعرضت فى قصر (سان كلو) ، ثم نقلت بعد ذلك الى متحف (اللوفر) حيث تشاهد الآن .

◆ وفى عام ١٧٤٨ مثلت فى باريس – بنجاح كبير – أوبرا من فصل واحد، بنفس العنوان ، وكان قد كتب حوارها الأديب « انطوان هودار دى لاموت »

ووضع موسيقاها الفنان « جان فيليب رامو »

◆ وقد أوحت أسطورة بيجماليون الى « فولتير » ببعض القصائد التي أهداها الى « مدموازيل لوكوفرير » ٠٠ كما أوحت الى الشاعر الألماني « شيللر » بقصيدة رائعة ، جاء فيها :

« كما عانق بيجماليون الحجر ، حين فاض به الوجد ، حتى غمره ضياء المشاعر المنبثقة من الرخام البارد ٠٠ كذلك ضممت أنا الى قلبي ، الطبيعة الوضاءة ، بشغف حار ٠٠ حتى بدا كأن الأنفاس والدفء والحيوية قد دب دبيبها في التمثال »

◆ ومن أشهر ما أوحت به الأسطورة من أعمال فنية ذلك المشهد الغنائي الخالد « بيجماليون » ، الذى كتب حواره الأديب الفرنسى الكبير « جان جاك روسو » ووضع موسيقاه الفنان « هوراس كوانييه » ٠ وقد مثل لأول مرة في (ليون) في عام ١٧٧٠ ، وفي مسرح « الكوميدى فرانسيز » بباريس في عام ١٧٧٥ ٠ وفي عام ١٧٨٠ مثل المشهد في المسرح ذاته بمصاحبة موسيقى جديدة من وضع «بودرون» ٠ أما في فيينا وألمانيا فقد أوحى حوار « روسو » لفنانين آخرين هما «فرانز اسبلماير» و « أنطون شفايتزر » بوضع الموسيقى الملائمة له ، ومثل المشهد في البلدين سنة ١٧٧٢

◆ وحوالي عام ١٧٧٥ مثلت في مدينة (جوتا) دراما باسم « بيجماليون » وضع موسيقاها الفنان « جورج بندا »

◆ وفي عام ١٨٠٠ شهدت مسارح أوربا برنامج « باليه » راقص من فصلين، كتب السيناريو له الأديب « ميلون » ، ووضع موسيقاه الفنان « لوفيفر »

◆ كما أوحت الأسطورة الى النحات « فالكونيه » بتمثاله المشهور «بيجماليون وجالاتيا »

◆ وفي ١٤ ابريل عام ١٨٥٢ عرضت في باريس « أوبرا كوميك » من فصلين بعنوان « جالاتيا » ، كتب حوارها الأديبان « جول باربييه » و «ميشيل كاريه » ووضع ألحانها الموسيقى « فيكتور ماسيه »

◆ ومن الأعمال الفنية الأخرى التي استوحيت من أسطورة بيجماليون : أوبرا من ألحان « ماريا لويجى شيروبيني » مثلت لأول مرة بباريس في عام١٨٠٩ ٠٠ وأوبرا لحنها « داليفى » عام ١٨٢٥ ولم يقدر لها أن تعرض حتى الآن ٠٠ وأخرى لحنها « فرانز فولكر » وعرضت على مسرح (ليوبو لشتادت) في عام ١٨٢٧ ٠٠ ورابعة من تلحين « كورديجياني » عرضت على مسارح (براج) في عام ١٨٤٥ ٠٠ وخامسة من تلحين « كارل فاجنر » مثلت على مسرح (دارمشتادت) في عام ١٨٨٠

◆ وفي عام ١٨٧١ نشرت مسرحية من نوع « الكوميديا » بعنوان « بيجماليون

وجالاتيا » ، للأديب « وليم شفنك جيلبرت »

◆ وفى عام ١٩١٢ طلع الأديب الايرلندى الأشهر « جورج برنارد شو » على العالم بمسرحيته التى كتب لها الخلود : « بيجماليون » ، فلقيت من فورها نجاحا هائلا على مسارح انجلترا وأمريكا ، كما مثلت بالفرنسية على مسارح باريس فى عام ١٩٢٣ . ومنذ ظهورها ترجمت الى أكثر اللغات، ومثلت – ولاتزال تمثل – فى شتى بلاد العالم .. كما أخرجت فى شريط سينمائى تولى دور البطولة فيه الممثل المعروف « ليزلى هوارد » قبيل وفاته منذ خمسة عشر عاما . واليك فكرة عابرة عن الرواية :

« بيجماليون » كما كتبها شو ..

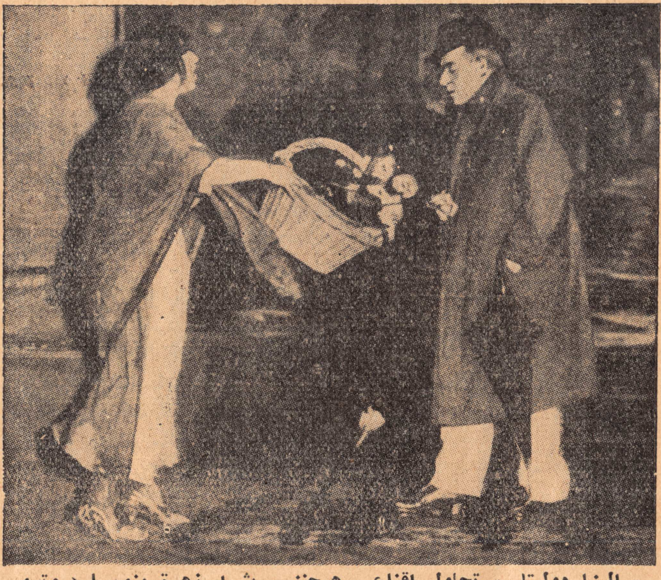
◆ بطل المسرحية « هنرى هيجنز » – عالم فى علم الأصوات ، (يدرس فى الوقت نفسه علم الكلام واللهجات) .. يحتمى من المطر ذات ليلة تحت واجهة كنيسة « سانت بول » بحى (كوفنت جاردن) بلندن ، وهناك يصادف بائعة زهور حسناء تدعى « اليزا » تلفته منها لهجتهـا السوقية الصارخة التى تثير اهتمامه ، بحكم تخصصه فى علم الأصوات واللهجات ، كما يثير الشىء النادر اهتمام جامع التحف النادرة !.. لكنه لايلبث حين تمضى فى سبيلها أن ينسى أمرها ، حتى تجمع بينهما المصادفة مرة أخرى فى ظروف غريبة ، فيتحرك فى نفسه الشوق الى أن يصنع منها معجزة ، بأن يبدل شخصيتها تبديلا كاملا ، فيدربها على النطق الصحيح بلهجة انجليزية سليمة . وينفذ الفكرة ، وتبدى الفتاة ذكاء واستجابة سريعة ، يغريان مدربها بأن يزيف شخصيتها فيقحمها على مجتمعات لندن الرفيعة بوصف أنها « دوقة » من النبيلات !

وتصادف « الدوقة » نجاحا باهرا فى مجتمعات علية القوم .. لكن « لقطعة النقود » وجهها الآخر كما يقول المثل ، فان الأستاذ وهو يلقن تلميذته لهجـة الكلام التى تلائم شخصيتها الجديدة ، غفل عن حقيقة هامة ، هى أنه انما كان يلقنها فى الوقت نفسه بقية مقومات تلك الشخصية . يلقنها كيف « تحس » و « تفكر » وفق ماتمليه عليها شخصيتها الجديدة !

وهكذا يتنبه الأستاذ فجأة فاذا هو قد بلبل نفسية تلميذته ، فخلق منهـا مخلوقة يصعب عليها أن تنتزع نفسها من دوامة العواطف العاتية التى أحاطت بها !.. وتبلغ « الأزمة » أقصى حدتها حين تتبين المسكينة أنها لم تكن بالنسبة لمعلمها أكثر من « أداة اختبار » ، أو موضع تجربة ! وأنها لاتحتل من قلبه الا ركنا ضئيلا ! وفى نوبة يأسها ازاء هذه الحقيقة الموجعة ، تلوذ التعسة بوالدة أستاذها ، التى تلمس مبلغ حبها لابنها فتأخذ بناصرها ضده ، الى حد أن تلوم

الابن على تصرفه ، وتدافع عن موقف اللاجئة المهيضة الجناح ٠٠ وفى النهاية ، تقبل « اليزا » أن تعود الى دار معلمها ٠ ولكن على أى أساس ؟٠٠ أتراها تهدهد بين جوانحها الأمل اليائس فى أن تصبح ذات يوم ٠٠ زوجته ؟٠٠ ان المؤلف لايرغب فى اجابة المتفرج على هذا التساؤل اجابة واضحة ، فحين تسدل الستار على نهاية الرواية ، يخرج منها « نصف متوقع » لأن تتزوج « اليزا » من أستاذها « هيجنز » ٠٠ ولكن، فى ملاحظة يختتم بها المؤلف مسرحيته «المطبوعة» ، نراه يصارحنا بأن « هيجنز » رجل طبع على أن يعيش « أعزب » !٠٠ وأن « اليزا » انما تزوجت فى الواقع من المدعو « فريدى » ، أحد شبان المجتمع التافهين الأغبياء

وهكذا تسدل الستار على مسرحية « شو » الكوميدية المشهورة ، التى لايربط



« اليزا دوليتل » تحاول اقناع « هيجنز » بشراء زهرة منها (وترى الممثلة المسرحية الانجليزية « مسز باتريك كامبل » فى دور « اليزا » ، و « سر هربرت ترى » فى دور هيجنز)

بينها وبين أسطورة « بيجماليون » الأصلية الا وجه شبه واحد : فهنا يحاول البطل أن يبدل شخصية امرأة ٠٠ وهناك يحاول البطل أن يخلق امرأة حقيقية ، من صورة منحوتة من العاج !

◆ بقى من الأعمال الأدبية والفنية التى أوحت بها الأسطورة القديمة ، عملان أدبيان أخيران : أحدهما مسرحية للأديب الاسبانى « ياسنتو جراو » ، أطلق عليها « مسيو بيجماليون » ـ وقد مثلت فى « مدريد » فى عام ١٩٢١ ، ثم ترجمت الى الفرنسية ومثلت فى باريس بعد عامين من ذلك التاريخ ـ والعمل الأدبى الثانى ، والأخير فيما نعلم ، هو مسرحية أديبنا المصرى الكبير « توفيق الحكيم » ، التى أصدرها فى عام ١٩٤٢ ٠

وبقدر ما التزم « توفيق الحكيم » موضوع الأسطورة الأصلى فى مسرحيته ، بقدر ماجانب الأديب الاسبانى هذا الموضوع الى موضوع آخر لايخلو من الطرافة ومن الفلسفة ٠٠ فقد جعل بطل الرواية « ميكانيكيا » ، يتوصل الى صنع مجموعة من « الانسان الآلى » ٠٠ ثم ينتهى الأمر بتمرد هذه المخلوقات على خالقها وانتقاضها على سلطانه ٠٠ ثم مصرعه !

ولنكتف من الحديث عن « بيجماليون » بهذا القدر ٠

قصة نجاح ٠٠ مهداة الى الشباب !

◆ والآن ، هل تود أن تقرأ معى قصة من أروع قصص نجاح العصاميين التى عرفها العالم فى العصر الحديث ؟٠٠ اذن تعال نطالع هذا الفصل الشائق الذى كتبه « جيمس ليزور » فى كتابه الحديث : « عجلات الى الثروة » ، وقد روى فيه قصة نجاح « اللورد نافيلد » ، صاحب مصانع « موريس » الانجليزية للسيارات

كان النهار قد جاوز الانتصاف ، عندما توقف العمل ٠٠ فانتصب الشاب ، وخطا الى الوراء ، وأشعل غليونه ، ثم راح يتأمل السيارة بعين فاحصة : كانت سيارة فذة ، لا مثيل لها ، ذات مصباحين نحاسيين كبيرين ، وغطاء من المشمع ـ (ولن تكون ثمة سيارة تشبهها ، رغم آلاف ـ بل ملايين ـ السيارات التى قدر لها أن تحمل اسم هذا الشاب) ـ ذلك لأن تلك السيارة بالذات ، كانت من انتاج يديه !٠٠ ولايزال يوجد اليوم ـ فى نفس البقعة التى صنع فيها « وليم ريتشارد موريس » سيارته الأولى ، فى شارع (لونجويل) بأكسفورد ، فرع لاحدى مؤسساته ، أطلق عليه اسم « جراجات موريس » ٠٠ وكم من راكبى السيارات يمرون بهذه « الجراجات » ، دون أن يخطر ببالهم أن فى هذا الموقع ، ولدت

صناعة تعتبر اليوم من أعظم الصناعات الكبرى فى انجلترا !٠٠ على أن من القاطنين بعرب هذه « الجراجات » من لايزالون يذكرون ذلك الشاب الذى كان يعمل فى البداية فى اصلاح « الموتوسيكلات » ، ثم صنع واحدا منها لنفسه ٠٠ وتحول بعد ذلك الى اصلاح السيارات ، ليصنع أول سيارة من طراز « موريس » وليحول - بمفرده - مدينة (اكسفورد) من مدينة جامعيـة هادئة ، الى منطقة من أهم المناطق الصناعية فى انجلترا !

ومع ذلك ، فان « وليم موريس » لايزال يدخن سجائر يلفها بيديه ٠٠ حتى وهو يركب سيارة فخمة من طراز « ولسلى » ، من انتاج مصانعه !٠٠ ومع أنه لم يعد مليحا كما كان فى صباه - اذ شاب شعره فأصبح كأسلاك من الفضة - الا أنه لايزال قوى البنية ، مرن العضلات ٠٠ وكأنه زنبرك فولاذى !٠٠ وقد فاز - من عهد قريب - فى مباراة للتنس أجريت على ظهر احدى عابرات المحيط!٠٠ ومع بساطة الجائزة التى نالها بهذه المناسبة ، فانه سعيد بها أكثر من سعادته بكل الأموال التى اكتسبها ، فهو لايرى فى المال سوى هم يثقل صاحبه ، ومن ثم فان مجموع ما تبرع به كمنح يربو على ٢٦ مليونا من الجنيهـات !٠٠ وهو لايفتأ يكرر : لقد كنت أكسب فى البداية خمسة شلنات فى الاسبوع ، وفى وسعى أن أبدأ من جديد فى الغد ٠٠ ولعلى أكون أسعد حالا لو فعلت ! »

والواقع أنه لم يكن - حين بدأ حياته - يفكر فى جمع ثروة ، بل أنه دهش حين فوجىء بالنجاح الذى أصابه ، والذى جلب عليه كثيرا من المشكلات التى لم يكن يتوقعها وهو يصنع أولى سيارات « موريس » ٠٠ ومن هذه المشكلات أن خطابات الاستجداء لاتكف عن ملاحقته ، من أناس يرجون منه أن يمول مشروعات لهم ، من كل نوع ، ومنها مايجاوز الخيال !٠٠ وهو لايفكر قط فى أن يستغل أمواله ليكسب مزيدا لنفسه ، بل أنه لايفتأ يقول لأى صديق من ذوى الميسرة : « ان خير ماتفعله بالمال هو أن تنفقه ٠٠ لماذا تحتفظ به ؟ انك لاتستطيع أن تأكل فى أى وقت سوى وجبة واحدة ٠٠ ولن تستطيع أن تلبس فى أى وقت سوى حلة واحدة !٠٠ ان ماأملكه من ثياب يقل عما يملكه معظم الرجال ، بل ان بعض ثيابى يرجع العهد به الى عشر سنوات مضت ٠٠ فأنا لم أعد أبغى شيئا ! »

ولعل هذا أروع انتصار فى حياته ٠٠ فهو اذ أصبح فى مركز يمكنه من أن يوفر لنفسه أى شىء يشتهيه ، اذا به يكتشف أن لم يعد ثمة مايستطيع المال أن يوفره له من رغبات ٠٠ بل انه لم يكد يفرح بما انهمر عليه من جوائز وأوسمة خلال العشرين عاما الأخيرة ، اذ أنه لايزال يحب البساطة فى كل شىء ٠٠ لايزال « الميكانيكى » الذى يسعى الى انتاج أكمل آلة !

ومع ذلك فان « وليم موريس » - الذى أصبح اليوم « لورد نافيلد » - لم

يلتحق يوما بجامعة ما ، ولم يدخل سوى مدرسة قرية (كاولى) القريبة من مصنعه الهائل ·· وهو اذ يستعرض حياته الماضية ، يقول : « ان طريق النجاح الأوحد هو الجد فى العمل ، مع بعد النظر ·· والذين يصنعون جلائل الأعمال، ليسوا دائما ممن تلقوا تعليما عاليا ! »

أخرجه أبواه من المدرسة ·· لفقرهما !

◆ ولقد ولد « موريس » فى سنة ١٨٧٧ من أبوين من الطبقة المتوسطة ، فكان أبوه محاسبا ، وأمه ابنة مزارع ·· وقد قضى طفولته فى بيئة ريفية · وهو يحتفظ بذاكرة قوية ، حتى أنه يذكر كل أحداث صباه ، وما ذلك الا لأنه مرهف العاطفة الى درجة عجيبة · وقد أدهش الحضور - فى اجتماع ضم تجار السيارات - اذ روى لهم احدى قصص طفولته :

فقد كانت مدرسة قرية (كاولى) على مسافة من (هيدينجتون) حيث كان أبواه يقيمان · وكان عليه أن يسير خلال الحقول ليصل الى المدرسة ، وأن يدور حول ساحة خاصة للعب « الكريكيت » · وذات يوم ، سولت له نفسه أن يقفز على سياج الساحة ويجتازها ، اختصارا للطريق · واستطرد قائلا : « وما أن وطئت قدماى الأعشاب النامية الطرية ، حتى أقسمت أن أمتلك ساحة مثلها يوما ما· وقد بررت بقسمى ! »

وغادر المدرسة وهو فى السادسة عشرة من عمره ، اذ رأى والداه أن يتعلم حرفة ، فعمل مع « ميكانيكى » كان يصلح « الموتوسيكلات » ، ويصنعها · على أنه صرح فيما بعد - عندما منح جامعة أكسفورد ١٫٣٨٠٫٠٠٠ جنيه للأبحاث الطبية - أنه كان يتمنى أن يصبح جراحا، لولا أن أبويه لم يكونا يملكان نفقات الدراسة !·· على أنه كان - فى الوقت ذاته - يهوى الأعمال الميكانيكية · ومالبث أن وجد أن الشلنات الخمسة التى كان يتقاضاها من صاحب «الورشة» - فى كل أسبوع - لاتجزى جهوده ، ولاتتناسب مع أرباح الرجل ، فقد كانت الدراجات و (الموتوسيكلات) فى سنة ١٨٩٣ عظيمة الرواج ، لذلك سأل موريس الرجل أن يزيد أجره « شلنا » ، فلما أبى ، قرر أن يعمل لحساب نفسه، مستغلا المبلغ الذى كان قد ادخره فى تلك الاثناء · وكان هذا المبلغ ·· أربعة جنيهات تقريبا !

ذلك أن الشاب الطموح كان يؤمن بأنه « ليس فى الوجود ثمة أمر عسير ، طالما كان المرء مصمما على النجاح » ·· وأن « فى وسع المرء أن يفعل أى شىء ، اذا توفرت لديه العزيمة » · وهو لايزال الى اليوم محتفظا بهذه العزيمة ، حتى أنه يكره المتقاعسين ، والمتخاذلين ·· وحتى أنه يقسو كثيرا على من يكون بين

رجال مصانعه على هذه الشاكلة ۰ ومع ذلك ، فمن المعروف عنه أنه متسامح مع من يرتكب أخطاء من عماله ، اذ أنه يعتقد أن « الذى لايرتكب أخطاء قط ، لايمكن بحال ن ينجح ! »

على أنه يكره أن يستخدم شخصا يخالفه فى الرأى ، اذ يجد من العسير فى هذه الحال أن يثمر تعاونهما ۰۰ ولعل هذا هو الذى جعله يأبى - منذ ١٨٩٣ - أن يقبل معه شريكا فى مشروعه ۰ ولكن هذا لم يمنعه - فى سنة ١٩٣٥ - من أن يمنح عماله سهما فى مصنعه ، قائلا : « لقد بدأت أسأم العمل لنفسى ، فأصبح من دواعى السرور أن أعمل لغيرى ! »

وكان هذا ثانى أعظم قرارين اتخذهما لورد نافيلد فى حياته ۰۰ أما القرار الآخر ، فكان فى سنة ١٩٢١ ، حين كسدت تجارة السيارات نظرا للأزمة المالية الخانقة ۰۰ فلم يكن منه الا أن خفض أسعار سياراته ، وسرعان ماازداد الاقبال عليها ۰۰ وكانت تجربة اقتصادية كبرى !

ولكنا نستبق الأحداث ، فلنعد ثانية الى يوم قرر «وليم موريس» أن يعمل لحساب نفسه ، بذلك المبلغ الضئيل الذى جعله رأس ماله ۰۰ وكان اذ ذاك فى السابعة عشرة من عمره ، حديث عهد بالحرفة ، فكان من الطبيعى أن يصادف عقبات ومتاعب ، ولكن هذا لم يثنه أو يثبط عزيمتــــه ، بل اتخذ من غرفة متواضعة فى مسكنه - رقم ١٦ ، جيمس ستريت ، باكسفورد - «ورشة» ، كان يصلح فيها جميع أنواع الدراجات العادية والبخارية ۰۰ وأعلن ان الاصلاح يتم فورا ، دون ارجاء ، فاضطره ذلك الى أن يواصل العمل من ساعة مبكرة من الصباح الى ساعة متأخرة من الليل ۰۰ ولكن ذلك لم يكن ليفت فى عضده ، فقد كان مغتبطا بأنه يعمل لحسابه الخاص !

العزيمة الجبارة لاتقف فى طريقها عقبات !

◆ ورضى هواة الدراجات عن براعة «الميكانيكى» الشاب ، فسرعان ماازداد الاقبال عليه ۰ وما لبث أن أقدم على خطوة جــديدة ، فابتاع بعض دراجات ليؤجرها للهواة بالساعة ۰۰ ثم مضى قدما ، فقرر أن يصنع بنفسه دراجات ، وقدر ان قلة نفقاته من شأنها أن تمكنه من أن يبيع انتاجه بأسعار أقل مما كان ســواه يفرض لمنتجاته ۰ ولم يكن ثمة ضوء كهربائى فى المــكان ، فكان يعمل بالليل على ضوء « وابور اللحام » ! ۰۰ وسرعان ما ضاق المــكان الذى يشغله فى مسكنه ، فاستأجر حانوتا فى (هاى ستريت) باكسفورد ۰۰ ومع أن الناس كانوا ينظرون اليه مشفقين ، متوقعين له الافلاس ، الا أنه مضى فى طريقه بعزيمة جبارة ، ولم يكن يضن بجهد ، أو يعبأ بتعب ، اذ كان مليئا بالثقة فى نفسه ۰۰ ومع أنه لم يصبح غنيا الا بعد عشرين عاما ، فانه لم يكن يحفل

بالثراء ، قدر ما حفل بأن يظفر بالنجاح الذى كان ينشده ! ٠٠ ولا يزال اللورد يحتفظ فى مكتبه بأول دراجة صنعها ٠٠ وكان قد اشتراها - بعد استعمالها عدة سنوات - من أحد تجار « الخردة » بمثل الثمن الذى باعها به فى البداية عندما كانت جديدة ٠٠ بعشرة جنيهات !

وفيما هو منصرف الى صناعة الدراجات ، خطر له أن ينتج طرازا خاصا بالسباق ، فقد قدر فى نفسه ان فوز احدى دراجاته هذه فى أى سباق ، كفيل بأن يجعل اسمه على ألسنة الناس ، فيكسبه شهرة ٠٠ وأخذ يشترك بنفسه فى السباقات ، راكبا دراجات من صنعه ، فاستطاع فى سنة ١٩٠٠ أن يفوز بالبطولة فى تسعة سباقات !٠٠ (وعندما دعى لافتتاح معرض الدراجات والموتوسيكلات الانجليزية فى سنة ١٩٣٦ ، أدهش الحضور حين امتطى احدى الدراجات ، وراح يطوف بالمعرض !)

وفى سنة ١٩٠٠ بالذات ، رأى أن الدراجات لم تعد تناسب همته ، فتحول الى صناعة الموتوسيكلات ، وكان يقوم بنفسه بالتصميم والانتاج والبيع ! ٠٠



لورد نافيلد

وقد حرص من البداية على أن يصنع كل جزء من « الموتوسيكل » حتى المحرك !٠٠ وهو يقول فى هذا الصدد : « اننى مهندس بفطرتى ، فما أن أرى شيئا مصنوعا ، حتى أصبح قادرا على صناعته ٠ ولكننى أكره أن أدرس فى الكتب ، اذ أفضل أن أعمل وان أتعلم بالتجربة !» ٠٠ وفى سنة ١٩٠٤ ، قرر أن يشترك فى المعرض الزراعى بايسلينجتون ، بموتوسيكل من تصميمه ٠ وحدثت بعض عراقيل ، كادت تمنعه من تحقيق رغبته ، ولكنه ظل أربعة أيام بلياليها عاكفا على العمل ٠ فلما افتتح المعرض ، كان الموتوسيكل بين المعروضات ، ولكن موريس لم يكن هناك ، فقد ركب « المترو » فى طريقه الى المعرض ، واذا بالتعب يتغلب عليه ، والنعاس يدهمه ٠ وظل يروح ويغدو من أحد طرفى خط « المترو » الى الطرف الآخر ٠٠ وهو نائم !

السيارة الأولى .. التي صنعها بيده !

◆ وظل منصرفا الى انتاج الموتوسيكلات حتى سنة ١٩١٠ ، حين خطر له أن يصنع السيارات . فقد كان معظم المستخدم منها فى انجلترا من صنع فرنسا وألمانيا وايطاليا ، وكانت غالية الثمن .. ومع أن أحدا لم يكن يتوقع للسيارات مستقبلا ولا رواجا ، الا أن موريس رأى أنه لو استطاع انتاج سيارات رخيصة ، لما أصبح استخدام السيارات قاصرا على الاغنياء ، ولأصبحت من وسائل المواصلات العامة .. وفى تلك الأثناء ، كانت شهرته كميكانيكى ذائعة ، فكان أصحاب السيارات يسعون اليه لاصلاح أى خلل يصيب سياراتهم ، مما أتاح له أن يدرس كل جزء فيها .

وكان موريس قد ادخر أربعة آلاف جنيه.. ولم يكن يؤمن بالكتب والنظريات، فما أن صنع سيارته الاولى حتى أخذ يجرى عليها التجارب ، ويدخل عليها التعديلات والتحسينات ، حتى انه قضى عامين فى عمل دائب ، قبل ان يرضى عنها !.. وكان همه الأكبر أن تكون السيارة التى ينتجها صالحة لكل فرد ، وأن تكون من البساطة بحيث يستطيع صاحبها أن يعنى بها ويصلحها بنفسه!.. وفى ذات صباح ، فرغ من آخر عملية فيها ، واستوت أول سيارة «موريس» على الأرض أمامه ، مكتملة البنيان ، فراح يتأملها فى اعجاب .. ثم لم يتمالك نفسه - لفرط الفرح - فانطلق يعدو فى الطريق ، الى أن التقى بأول عابر ، فصاح به فى زهو : « تعال فانظر ! » .. وجره الى « الورشة » ، ثم هتف وهو يبتسم : « انها سيارة .. وقد صنعتها بيدى ! » .. فسخر منه الرجل غير مصدق .. ولكن السيارة كانت حقيقة قائمة تشهد بصدق «موريس» !

واليوم ، يمتلك «اللورد نافيلد» - «وليم موريس» سابقا - مصانع(موريس) المشهورة للسيارات ، أضخم مصانع للسيارات بانجلترا !.. ولولا طموحه وثقته بنفسه ، لظل حيث كان منذ ستين عاما : ميكانيكى دراجات متواضع ، يعمل بالأجر لحساب غيره !

أغنية الى مسافرة

◆ ومن (دمشق) العريقة ، يأتينا صوت الشاعر الرقيق « نزار قبانى » ، يرتل هذه القصيدة الحزينة الرائعة التى نشرتها مجلة (الآداب) البيروتية فى عددها الأخير :

صديقتى ٠٠ صديقتى الحبيبه
غريبة العينين ٠٠ فى المدينة الغريبه
شهر مضى ٠٠ لا حرف ٠٠ لا رسالة خضيبه
لا أثر ٠٠ لا خبر ٠٠ منك يضىء عزلتى الرهيبه
يقول : أين أنت ٠٠ كيف أنت ؟٠٠ فى المدينة الغريبه
صديقتى ٠٠ صديقتى الحبيبه

★ ★ ★

أخبارنا ؟٠٠ لا شىء ، يا صديقتى الحبيبه
نحن هنا ٠٠ أشقى من الوعود فوق الشفة الكذوبه
أيامنا تافهة ٠٠ فارغة ٠٠ رتيبه
دارك ذات البذخ ، والستائر اللعوبه
هاجمها الشتاء ، يا صديقتى الحبيبه
بغيمه ٠٠ بثلجه ٠٠ بريحه الغضوبه
فالورق اليابس غطى الشرفة الرحيبه
توقف الحاكى ٠٠ فلا لحن ٠٠ ولا أغنية سكيبه
والكتب التريكة التريبه ٠٠ تفتقد الأصابع الشمعية الرطيبه
والخف والمنامة الصفراء ، والحقيبة ٠٠ جميعها ساهمة ، واجمة ، غريبة
مثلك يا صديقتى الغريبه
جميعها تسأل عن خطاك ٠٠ عن مشيتك الطروبه
تسأل عن عودتك القريبه
صديقتى ٠٠ صديقتى الحبيبه

سر المنظار الاسود

◆ ومن (القاهرة) ، ترتفع قيثارة الشاعر المصرى « عبد المنعم عواد يوسف» بهذه القصيدة الجميلة ، وكأنى بها تتضمن الجواب على تشاؤم سابقتها :

قالت وفوق شفاهها تنساب سخرية مريبه
ومن العيون الفاترات تطل أسئلة غريبه
لم قد حجبت عن الوجود عيونك اليبس الشحيبه
لم ذلك المنظار مصبوغ ٠٠ بألوان المصيبه
داج كأيام الشقاء ٠٠ ينم عن نحن عصيبه ؟

★ ★ ★

فهتفت والكون العبوس يبث من حولى عويله

والهم يبرز للوجود مناجلا سودا طويله :
« كى لا يرى الناس الدموع تسح من عينى الكليله
« كى لا يرى الناس الدموع ٠٠ دموع أيامى الثقيله
« تنساب فى صمت ٠٠ فتكشف عن مآسينا الوبيله »

★ ★ ★

قالت : بل ارفع ذلك المنظار وانظر للوجود
تجد الزهور الراقصات على الجداول والورود
تجد الطيور مغردات بالبشائر ٠٠ والسعود
والكون قيثارا يتيه هناك ٠٠ بالنغم الشرود
قم واملأ الأكوان بالنغم المعطر ٠٠ يا جحود

★ ★ ★

فهتفت : لا ٠٠ أنا لست أسمع غير عاصفة تنوح
تلك الزهور الماثلات اخالها بعض الجروح
شربت دموع الكادحين هناك فى غور السفوح
أنا لا أشم بها سوى ريح معفنة تفوح
دفعت بها عبر الفضاء الجهم ٠٠ آلاف القروح

★ ★ ★

قالت وفى نبراتها صدق ، أجل صدق عجيب
ومتى سترفع ذلك المنظار يا هذا الغريب
فهتفت : فى غدنا ٠٠ اجل غدنا الذى يبدو قريب
والحب ينتظم الأنام ٠٠ مع انتفاضات الشعوب
والعدل يبرز فى الوجود بوجهه الحلو الحبيب

★ ★ ★

انى لأنظر فى غدى ٠٠ فتلوح ألوية السلام
متموجات بالمنى ٠٠ مستبشرات بالوئام
والورد والزهر الطروب يبعثر العطر المرام
واذا الحياة تشع بالأنوار ٠٠ من بعد الظلام
والحب « سيمفونية » عذراء تشتمل الأنام

جمال ٠٠ بلا رحمة !

وبعد هذه الأهازيج الشعرية العربية ، تعال نطرب بقصيدة من الشعر الانجليزى الكلاسيكى ، للشاعر الخالد « جون كيتس »

ترى ما الذى يشفى سقامك أيها الفارس المسلح ، الهائم وحيدا شاحبا ؟
لقد ذوى البردى على ضفاف البحيرة .. ولم تعد الطيور تغرد
ألا ما الذى يشفيك أيها الفارس المسلح ، الذى برح به الهزال والأسى ؟
لقد امتلأ جحر السنجاب بالغلال .. وانتهى الحصاد !

★ ★ ★

أرى زنبقة على جبينك ، المخضل بعرق الضنى وندى الحمى
وعلى خدك وردة باهتة .. تذوى كذلك سريعا !
قال : « قابلت فى المروج سيدة ، مكتملة الجمال .. من بنات الجن
« شعرها طويل ، وقدمها خفيفة الخطو ، وعيناها ضاريتان !

★ ★ ★

« وصنعت اكليلا يتوج هامها .. وسوارين .. ومنطقة شذية
« فنظرت الى والحب فى عينيها ، وأرسلت أنة عذبة
« ورفعتها الى جوادى الراكض ، ولم أر سواها طيلة اليوم كله
« اذ كانت تميل وتترنم .. بأغنية من أغانى الجن !

★ ★ ★



جون كيتس

« وجاءتنى بجذور حلوة المذاق ، وبالعسل البكر والمن والسلوى
« وبلغة غريبة قالت فى تأكيد : « أحبك أصدق الحب ! »
« وفى كهفها المسحور أخذتنى ، وهناك بكت وتنهدت بحرقة بالغة
« وهناك أغلقت أنا عينيها الضاريتين .. بقبلات أربع !

★ ★ ★

« وهناك غنت لى حتى نمت ٠٠ وهناك حلمت ، ويا للحادث الجلل !
« كان آخر حلم رأيته ٠٠ على سفح التل البارد
« رأيت ملوكا شاحبين ، وأمراء ، ومحاربين ٠٠ فى شحوب الموت كانوا
« وكانوا يصيحون : « الجميلة المجردة من الرحمة ، قد استعبدتك ! »

★ ★ ★

« ورأيت شفاههم الجائعة فى العتمة ، تفغر على سعتها بتحذير رهيب
« فاستيقظت ووجدتنى هنا ٠٠ على سفح التل البارد !
« وهذا هو سر مقامى هنا ٠٠ وحيدا ، شاحبا ، هائما
« رغم أن البردى قد ذوى على البحيرة ٠٠ ولم تعد الطيور تغنى ! »

دائرة معارف الاطفال ٠٠ تعلم الكبار !

◆ ولنواصل الآن سياحتنا الذهنية على متن هذا الكتاب الكبير ذى الغلاف الملون الجميل ٠ انه يدعى « دائرة معارف الأطفال » ، لكن المعلومات الضافية التى يتضمنها قد يجهل أكثرها طالب الجامعة !٠٠ وأغلب الظن أن المقصود به أن يقرأ الآباء أو الأمهات موضوعا منه كل يوم على مسامع أطفالهم ، ويشرحونه لهم ، وبذلك ينتفع بمادته الآباء والأبناء معا !٠٠ فالكبار يهضمون الموضوع بأكمله ، يستكملون به ثقافتهم ٠٠ والصغار يتقبلون منه فى عقلهم الواعى ماتقوى على هضمه مداركهم — حسب سنهم وذكائهم وطاقتهم العقلية — والباقى من المعلومات يختزنون رواسبه فى عقلهم الباطن ، دون وعى منهم ، حتى تحين المناسبة التى تستدعى ظهوره فيطفو الى سطح وعيهم ، من تلقاء نفسه !٠٠ وبذلك يشب الصغير وفى رأسه ثروة من المعلومات العامة تنفعه طيلة مراحل حياته ٠٠

ولا أدرى لماذا لاتفكر مجلات الأطفال العربية فى نشر فصول من هذه الموسوعة فى اعدادها ، بدلا من التفاهات السخيفة التى تملأ بها صفحاتها — وتحشو باللغو أذهان أولادنا — مثل قصة الصبى الذى أعطته أمه قرشا كى يكوى سترته عند « المكوجى » ، فألقى السترة أمام « وابور زلط » صادفه فى الطريق ، كى يكويها مجانا ويوفر القرش ليبتاع به حلوى !

هذه ، لسوء الحظ ، عقلية بعض مجلات الأطفال التى يقرأها أولادنا ٠ وقد يقول قائل : لماذا اقترح أن تنشر فصول هذه الموسوعة مسلسلة فى « مجلات »

الأطفال ، ولا تنشر كاملة فى مجلد واحـد بالعربية ، كما نشرت بالانجليزية والفرنسية وغيرهما من اللغات الأوروبية . وردى على هذا أنك لو رأيت طباعة هذه الموسوعة ، ورسومها ، وألوانها ، لقدرت أنها لن تغطى نفقات اعدادها مالم توزع منها « مئات الألوف » من النسخ .. فى حين أنهـا لو ترجمت وطبعت بالعربية ، كوحدة قائمة بذاتها ، فلن توزع منها غير بضعة آلاف قليلة لاتتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة !

بل يكفى لاعطائك فكرة عن نفقات اعداد دائرة المعارف المذكورة ، أن تعلم أن الذين صنفوا مادتها يزيدون على « أربعين » أخصائيا فى شتى فروع المعرفة ، يشرف عليهم البروفيسور « لوريز » أستاذ التعليم المقارن بجامعة لنـدن ، والعلامة « ر.و. مور » ناظر مدرسة (هارو) العريقة ، وغيرهمـا .. وان بالكتاب نحو ألفين وخمسمائة رسم ـ نصفها بالألوان ! ـ وقد اشـترك فى اعدادها أكثر من ثلاثين من مشاهير الرسامين ، تفرغوا لدراسة « تشريح » جميع أنواع الحيوانات والحشرات والزواحف والأسـماك والطيور ، وجميـع أنواع النباتات والأشجار والزهور ، وشـتى صنوف الآلات والمخترعات ، بكافة دقائقهـا وجزئياتها .. الى جانب مئات الرسوم التاريخية والجغرافيـة والفنية والعلمية و... و.. و.. الخ !

أبواب « دائرة المعارف » وموضوعاتها

◆ وتحلى غلاف الـكتاب عشرة رسوم ملونة تمثل الموضوعات المختلفة التى يتناولها ، وهى : العالم ، الشعوب والأجناس ، العلوم ، التاريخ ، الفنون ، الفلك ، جسم الانسان ، الكائنات الحية ، القانون والحكومة ، الألعاب الرياضية وألعاب التسلية .. الخ .. أما الأبواب التى قسم الكتاب اليها فهى :

١ ـ عالمنا وشعوبه .. ويتضمن : أجناس البشرية . القارات والاقطار . موارد الطبيعة ومعالمها .

٢ ـ عقولنا وأجسامنا : الحواس ، الاعصاب ، العضلات ، العظام ، النمو ، التعلم ، الأسرة .. الخ

٣ ـ الانسان المكتشف : استكشاف السماء ، والارض ، والبحار . أسرار الطبيعة .. الخ

٤ ـ الكائنات الحية المحيطة بنا : عالم الحيوان ، بأنواعه ، التطور ، سلوك الحيوان . عالم النبات .

٥ ـ القوة والطاقة : الضوء . الصوت . الحرارة . قوة المياه . الكهرباء .

الطاقة الذرية • البخار • الآلة • النفاثات • الصواريخ •

٦ ـ قصتنا خلال الاجيال : تاريخ العالم • أشهر الشخصيات • تطور الازياء ، والعادات • المبانى ، والقصور ، والأعلام •• الخ

٧ ـ كيف نعيش اليوم : الحياة فى القرية والمدينة • البريد • الطرق • السفن • السكك الحديدية • الطائرات • البرلمان • القانون • البوليس • المطافىء • المدارس • المستشفيات •• الخ

٨ ـ الحصول على حاجاتنا : الطعام ، من الحقل والبحر • الخشب • الفحم • الماء • الصلب • البترول • الورق • الثياب • البلاستيك • الجلود • المطاط • التجارة • الحوانيت •

٩ ـ كيف نمتع أنفسنا : الرسم • النحت • الأدب • المسرح • صالات الموسيقى • الأسواق الدولية • المعارض • السيرك • الموسيقى • الرقص • السينما • الراديو • التلفزيون • الكتب • الرياضة • الهوايات •• الخ

والآن ، أى هذه الابواب تحب أن نقرأ ؟

اختبر معلوماتك عن الموسيقى !

◆ تعال نطالع مع أطفال الغربيين من قراء هذه الموسوعة ، ما كتبوه لهم عن •• الموسيقى ! :

« من المتعذر أن نعرف كيف كانت الموسيقى والألحان فى العصور القديمة السحيقة ، وكل ما نملكه فى هذا الشأن هو الحدس والتخمين • فان سكان الكهوف الذين كانوا يعرفون كيف يرسمون رسما ، لم يكونوا يعرفون كيف يكتبون « نوتة » الموسيقى ، ومن ثم لا يسعنا أن نهتدى الى الالحان التى كانوا يغنونها ، ويحتمل أنهم كانوا يغنون ويرقصون كما تفعل قبائل المتوحشين اليوم !

وعندما تقدم الانسان فى المدنية ، عرف المزيد عن الموسيقى • صار يصنع اطارا من الخشب يمد عبره خيوطا ليجعل منه « قيثارة » بسيطة • وتعلم كيف ينفخ فى المزمار والصفارة ، ويشد قطعة من الجلد الرقيق على آنية من الفخار ليصنع منها « طبلة » • وصاروا يعزفون الموسيقى فى معابدهم حين يصلون لآلهتهم • وابتكروا الالحان لمصاحبة ألعابهم ورياضتهم •• الخ • ونحن نستطيع اليوم أن نرى نماذج من تلك الآلات البدائية فى المتاحف أو فى الصور والتماثيل ، لكننا نجد أنفسنا عاجزين عن معرفة شىء عن الألحان التى كانت تنبعث من هذه الآلات !•• واذا كان المصريون القدماء ، واليهود ، واليونان ، والرومان ، قد استطاعوا أن يشيدوا المدن العظيمة ، ويحكموا الامبراطوريات ،

ويؤلفوا الكتب الخالدة ، الا أنهم عجزوا عن أن يسجلوا - بالنوتة المكتوبة - الألحان التى كانوا يعزفونها • بل لقد انقضت بعد ظهور المسيحية مئات السنين قبل أن تكتب النوتة الموسيقية بصورة دقيقة •• ثم انقضت مئات أخرى من السنين قبل أن يكتب هذا النوع من الموسيقى الذى نستمتع به هذه الأيام • وهكذا يمكن القول أن أكثر الألحان التى نستمع اليها الآن قد لحن خلال المائتين أو الثلاثمائة عام الأخيرة •• رغم أن البشر ، فى جميع عصور التاريخ ، قد عشقوا الموسيقى واعتبروها جزءا هاما من حياتهم •

الموسيقى لغة « دولية » تفهمها جميع الشعوب !

◆ والموسيقى تظهر أن العالم بأسره انما هو بمثابة أسرة واحدة كبيرة • فحين يلهو صبى بأداة تحدث صليلا ، يذكرنا بآلة « السستروم » المعدنية التى كان يعزف عليها قدماء المصريين !•• والفتيان فى الكشافة ينفخون اليوم فى البوق والنفير ، وقد كان البوق والنفير معروفين فى أقدم عصور « التوراة » ، وفى بلاد أخرى بعيدة لم يصل اليها التوراة •

وبالونات الاطفال التى تحدث نغما حين يخرج منها الهواء ، تذكرنا بموسيقى القرب المعروفة فى اسكتلندا وبلاد البلقان وأجزاء أخرى متفرقة من العالم •

وحين يجلس صبى ليتلقى درسا فى الموسيقى ، لا نملك أنفسنا من أن نفكر فى « موزار » ، الذى عاش فى النمسا منذ نحو مائتى سنة ، وكان أنبغ موسيقى صبى فى التاريخ !•• وحين نسمع موسيقى راقصة ، نستطيع أن نتخيل مهرجانات الرقص القديمة فى احدى القرى الانجليزية ، أو نتمثل الشبان يراقصون العذارى تحت الشمس المشرقة فى احدى مدن اليونان القديمة •

وموسيقى الرقص انواع : فهناك موسيقى ذات ايقاع قوى تصاحب رقصات



من اليمين : موسيقى زنوج أفريقيا - الحاوى فى الهند يخرج الثعبان بموسيقى الناى - موسيقى البوق فى (ليبريا) بأفريقيا •



موسيقى صينى يعزف على آلة غريبة ـ موسيقى القرب الاسكتلندية ـ عازفة « الكمان اليابانى »

اسبانيا الصاخبة .. وموسيقى « تنساب » فى السمع ، كأنغام « الفالس » فى (فيينا) .. وموسيقى تجلجل فى أرجاء المكان كألحان « الجاز » فى أمريكا .. وموسيقى تبدو كأنها تدور وتدور ، مثل موسيقى الـ « تارانتيللا » فى ايطاليا .. وموسيقى تقفز وتهبط الى أعلى وأسفل ، كموسيقى الـ « جوباك » فى روسيا .. ونحن نستطيع أن ننصت الى « قصص » العبودية الحزينة فى أغانى زنوج أمريكا .. والى قصص التجوال والتشرد فى أراض غريبة ، فى ألحان اليهود !.. وهناك « تاريخ بريطانيا » بأسره يتمثل فى نشيد « حفظ الله الملك » .. وتاريخ فرنسا فى مارش « المارسيلييز » الذى لحن ابان الثورة الفرنسية .

عندما كانت الموسيقى تعتبر من أعمال السحر !

◆ ولكل ديانة من الديانات موسيقاها التقليدية .. فللمسيحية أناشيدها وألحانها القديمة ـ ومنها ألحان عيد الميلاد ـ كما أن لكل ديانة أخرى موسيقاها الخاصة ، رغم أن سكان أوربا وأمريكا قد لا يفهمون دائما موسيقى آسيا وأفريقيا والبحار الجنوبية

وفى العصور القديمة كان الناس يعتبرون الموسيقى من قبيل أعمال السحر . كانوا يعتقدون أنها تستطيع مثلا أن تخلق من الجبان شجاعا ، وتشفى المريض من دائه !.. واليوم نحن لا زلنا نعتقد أن جوقة عسكرية تستطيع أن ترفع الروح المعنوية للجنود فى الميدان .. كما أننا نضع أجهزة الراديو فى المستشفيات لاعتقادنا بأن المرح يعين المريض على التقدم بسرعة فى طريق الشفاء . بل ان الموسيقى تعزف اليوم فى المصانع كى تساهم فى زيادة الانتاج !

وكما تختلف الموسيقى من حيث معانيها ومناسباتها ، تختلف أيضا من حيث أنواعها وصلاحية كل نوع

منها للعزف على آلة بعينها من آلاتها .. فهناك الموسيقى التى كتبت خصيصا لتعزف على البيانو المنفرد ، مثل ألحان « شوبان » ، وبعض ألحان « شومان » و « مندلسون » و«باخ» التى بذلوا فيها جهودا كبيرا كى يسهل على الافراد العاديين أن يعزفوها لأنفسهم فى منازلهم .



باخ شومان شوبان

وهناك الموسيقى التى كتبت لتصاحب أغنية من الأغنيات ، كبعض ألحان شوبير وشومان وبراهمز .. ثم هناك الموسيقى التى تعزف فى غرف أو قاعات صغيرة بالمنازل والقصور ، وليس فى قاعات عامة فسيحة . وأشهر ملحن لموسيقى هذا النوع هو « هايدن » ، الذى استخدمه أمير هنغارى ثرى - منذ نحو مائتى عام - كى يضع ألحانا تعزف فى قصره . ومن الذين كتبوا أيضا هذا النوع من « موسيقى الغرف » **Chamber Music.** كل من « بيتهوفن » وبراهمز .

وهناك الموسيقى التى تعزف فى القاعات الكبرى ، ومن أشهر أئمتها « موزار » . وقد ظلت الجوقات التى تعزف هذا النوع تنمو وتكبر حتى صار عدد عازفيها يتراوح حول مائة عازف !.. وفى العهد الذى كان فيه نابليون يجتاح أوربا بجيوشه كان « بيتهوفن » يضع ألحانا جديدة مثيرة يكاد كل منها أن يروى قصة ! ومن ألحان « بيتهوفن » و « موزار » و «هايدن» الطويلة ما يستغرق عزفه نصف ساعة أو أكثر ، ويطلق على هذا النوع « سمفونيات » . وهناك ألحان أقصر منها تسمى «افتتاحيات»، (« أوفرتير ») . وقد ظهر من مؤلفى السمفونيات بعد بيتهوفن كل من « تشايكوفسكى » فى روسيا ، و « شوبير » و « براهمز » فى ألمانيا .



شوبير براهمز بيتهوفن

متى ابتكر أثرياء ايطاليا « الاوبرا » ؟

◆ منذ نحو ثلاثمائة وخمسين عاما ابتكر الأثرياء فى ايطاليا وسيلة جديدة للتسلية واللهو ، هى تقديم تمثيليات « غنائية » على المسرح ، تدور حوادثها غالبا فى جو اليونان أو روما القديمة . وبمضى الوقت انتشر هذا

اللون الممتع فى البلاد الاخرى وتشعبت موضوعاته ، وأطلق عليه لفظ « أوبرا » ٠ وكان أشهر ملحنى الاوبرا فى ايطاليا « فردى » ـ ملحن أوبرا « عايدة » ـ و « بوتشينى » ملحن « مدام بترفلاى » ٠ أما فى خارج ايطاليا فقد اشتهر فى هذا اللون كل من « موزار » و «هاندل»، ثم «فاجنر» ٠وتدورحوادث الاوبرات

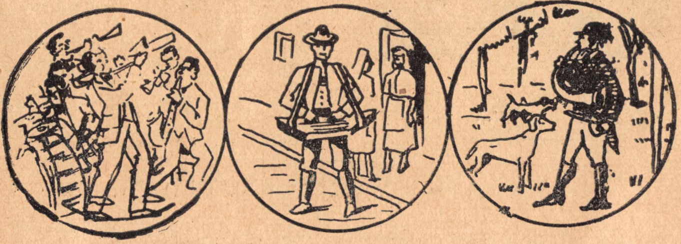


فاجنر فردى تشايكوفسكى

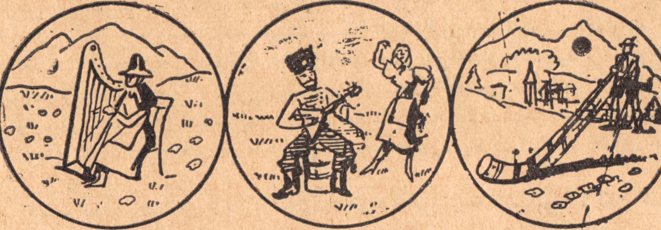
الايطالية حول الحب ، والبطولة ، واليأس ، والموت ٠ أما أوبرات « فاجنر » فأبطالها فرسان مدرعون ، وآلهة غريبة ، وساحرات ٠٠ وأبطالها من الحيوانات : البط والتنين !٠٠ وأوبراته أضخم وأطول من سائر الاوبرات ، وتحتاج الى مسارح كبيرة ، وجوقات ضخمة وأصوات قوية ٠ وهناك أخيرا أوبرات قصيرة مرحة خفيفة تسمى « أوبريت » ، ومن أشهر ملحنى هذا النوع الموسيقيان الانجليزيان « جيلبرت » و «سوليفان»

وأخيرا ، فان لكل بلد موسيقاه القومية ، وآلاته الموسيقية المحببة ، كما ان لكل شعب أزياءه المفضلة وطراز أبنيته ومنشآته ٠٠ ولكل لون من الموسيقى مكانه ومناسبته ، فلا تعزف السمفونية فى حفل رياضى، ولا الرقصة « الرباعية » الكلاسيكية فى قرية فوق أعالى جبال الألب ! »

هذه خلاصة الفصل الذى تضمنته « دائرة معارف الاطفال » تحت عنوان « الموسيقى » ٠٠ فما رأيك فى المعلومات التى احتوى عليها ٠٠ كم منها يعرفه ابنك الصغير أو ابنتك ؟ ٠٠ وهل لا تتمنى لو استوعب أولادك مثل هذا القدر من المعرفة فى سائر موضوعات الحياة ؟



موسيقى البوق فى أحراش الصيد بانجلترا ـ موسيقى غجرى يعزف على آلته ـ موسيقى « الجاز » الصاخبة



عازف البوق فى قرى الألب السويسرية ـ رقصة « البالالايكا » الروسية ـ عازفة القيثار فى (ويلز) بانجلترا

صونى جمالك ٠٠ باختيار طعامك ؟

◆ وبعد هذا ، تعالى ياسيدتى نقرأ بحثا يهمك ـ ولا شك ! ـ كيف لا وهو يتناول « أسرار الاحتفاظ بالشباب الدائم » ، الذى مافتئت المرأة تسعى اليه منذ أقدم العصور ؟ ٠٠ والبحث الذى أنا بصدده أوردته الكاتبة الانجليزية برباره كارتلاند » فى كتابها الشائق « سن الأربعين الجذابة » **Fascinating Forties** ، وقد جعلت عنوان هذا الفصل : « كلى ، واشربى ٠٠ واستمتعى بجمالك ! » ٠٠ وفيما يلى تلخيص واف لهذا البحث :

الانسان نتاج ما يأكل ويشرب ، ولكن فريقا من النساء ـ بوجه خاص ـ يرى أن الاستمتاع بالطعام والشراب عمل بعيد عن الصواب ، فينجم عن هذا الظن ما نراه على وجوههن من تغضنات وأخاديد ، وما يصيبهن من أمراض حقيقية ـ فضلا عن الأمراض الوهمية ! ـ ذلك لأن المعيشة الطيبة انما تنشأ عن الغذاء الطيب ، وتؤدى الى حياة طيبة طويلة ٠٠

والأكل الطيب يختلف عن الشراهة والافراط فى النهم ، لذلك يجب أن نتناول مسألة « الرجيم » بشىء من العناية والتعقل ، وان ننمى معرفتنا بالأطعمة ، على أضواء العلم الحديث :

فيتامين « ج » : فيتامين الشباب

◆ ان خير حليف للمرأة التى تتأهب لمكافحة السنين ، هو فيتامين «ج» c اذ أنه أقوى عدو للشيخوخة ٠٠ ومن المعروف أن نقص هذا الفيتامين يسبب

مرض «الاسقربوط» ، الذى يتمثل فى الآلام الروماتيزمية التى يعانيها الكثيرون فى كل شتاء ٠٠وهذه الآلام ليست نتيجة الرطوبة وتقدم السن - كما يشاع- وانما هى نتيجة نقص فيتامين «ج» ، الذى يكثر فى فصل الصيف ، فالأوجاع الروماتيزمية الغامضة ، التى لايصحبها أى تورم مفصلى ، ليست فى الواقع سوى صرخات من الجسد الذى يطالب بفيتامين «ج» !٠٠ ومن ثم فان هذه الأوجاع كثيرا ما تختفى اذا ما امتص المصاب بعض الليمون ، الذى يحتوى عليه بكثرة

كذلك يحفظ فيتامين « ج » للجسم والبشرة مرونتهما وشبابهما ، لكن كميته فى الأنسجة تتضاءل بعد سن الأربعين ، (وهذا سر ظهور التجاعيد حول عينى المرأة ، وعلى عنقها وخديها !) ، كما يستهلك الجسم هذا الفيتامين بسرعة عقب المجهود البدنى وأثناء أمراض البرد ، لذلك يحسن فى هذه المناسبات الاكثار من شراب البرتقال والليمون والطماطم وعصير الزبيب الاسود وشراب « زر الورد»

فيتامين «ب» : فيتامين السعادة!

◆ كثيرا ماتتناقص السعادة بتناقص فيتامين «ب» فى الجسم ، لأنه يقوم بدور هام جدا فى حياتنا اليومية ٠ ذلك لأنه ينشط شهية الانسان ويصونها ٠ وبدون الشهية يفقد المرء طاقته على العمل ، ومقدرته على مقاومة الأمراض ، واحتفاظه بنضارة مظهره ٠ ومن المحتمل أن تكون بعض حالات الاكتئاب والهم نتيجة نقص هذا الفيتامين ٠٠ بل ان النورستانيا ، وانحراف المزاج ، وتشتت البال ، وكثيرا من الاضطرابات المؤدية الى أمراض عصبية - كالتهاب الأعصاب، والصداع - ترجع فى أصلها الى نقص فيتامين «ب» ، الذى يوجد بكثرة فى الخبز الاسمر و (عين الجمل) والغلال ، والفول والبازلاء (البسلة) والحبوب عامة ٠٠ ولكن أغنى موارده جميعا هى « خميرة البيرة » التى توجد الآن فى الصيدليات على شكل أقراص ، وقد استخدم فيتامين « ب » فى علاج سوء التغذية ، والعقم والاجهاض المتكرر ، فأسفر عن نجاح مدهش ٠ ولا غنى عن فيتامين «ب» فى حالات تصلب الشرايين ، واضطرابات الهضم ، والآنيميا

فيتامين « د » : فيتامين أشعة الشمس !

◆ واذا أريد لانسان أن يعيش فى صحة طيبة ، فلا بد له من أن يتعاطى فيتامين « د » قبل مولده ! - أى تتعاطاه أمه فى فترة الحمل - والى هذا الفيتامين يعزى فضل هبوط نسبة تسوس الأسنان ولين العظام بين الأطفال ، اذ أنهم يتلقونه فى اللبن ، وزيت السمك ، والشحوم التى تعرضت لأشعة الشمس ٠ وهو من الفيتامينات التى لاحاجة لتعاطيها بالفم ، اذ أن الأشعة فوق البنفسجية - فى ضوء الشمس - تتفاعل مع مواد فى الجسم تكمن على مقربة من سطح الجلد ، فتنتج هذا الفيتامين الذى يختزنه الجسم للشتاء

فيتامين هـ (E) : فيتامين الجنس !

◆ وهذا الفيتامين يوجد بكثرة فى القمح - الخبز الكامل - والخس ومح البيض والكبد . وسوف نسمع الكثير عن هذا الفيتامين فى المستقبل ، فهو عنصر جوهرى للاخصاب الجنسى ، وحرمان الرجل منه قد يصيبه بالعقم بل والعجز الجنسى . كما ان حرمان المرأة من القدر الكافى منه يضعف فيها فرص انجاب الأطفال ، وحتى لو حملت فانها تكون معرضة للاجهاض !.. ومن المعلوم أن عدم صلاحية الرجل والمرأة لانجاب النسل تفقدهما الرغبة فى الاتصال الجنسى . وقد نجد امرأة تدهورت قبل الأوان الى مرحلة البرود فى علاقتها بالرجل ، فى حين نجد امرأة أخرى - تكبرها بعشر سنوات - تستمتع بالفتنة والجاذبية اللتين تنبعان من حياة تتوافر فيها المتعة الجنسية الكاملة .. وأغلب الظن أن المسئول عن ذبول الأولى ونضارة الثانية ، هو : فيتامين «هـ» !

هذه هى الفيتامينات الخمسة الرئيسية التى تشعل فيك شرارة النشاط والصحة. وفى يدك أن تختارى بين الاستمتاع بالحيوية وبين الموت البطىء !.. ومن الخطأ الاعتقاد بأن تناول الفيتامينات فى شكل حبوب يغنى عن تناول الأطعمة المحتوية عليها ، الا اذا كان تناولها وفقا لبرنامج مرسوم ، وبشرط ان تؤخذ بعد الأكل ، أو مصحوبة بالسكر .

واخيرا ، هناك حقيقة واحدة مؤكدة : هى أن المرأة التى فى سن الأربعين اليوم ، أسعد حظا وأوفر صحة من فتاة التاسعة عشرة منذ خمسين عاما . وما ذلك الا لأنها تستطيع أن تشترى «اكسير الشباب» من أقرب حانوت للخضر !

من بريد القراء

◆ انتقد السيد « عبدالعزيز عبدالهادى الحوفى » - بكلية آداب الاسكندرية - مارويته لكم فى العدد الماضى ، خلال تلخيص قصة « فرانسيس ديل » عن « يوسف وفرعون » .. وكنت أحسب أولا أن كل قارىء خليق بأن يدرك أن كاتب القصة هو « فرانسيس ديل » ، ولست أنا .. وفرانسيس ديل كاتب أجنبى ، غير مسلم ، فمن الطبيعى أنه استمد قصته من التوراة ، وقد ورد فى التوراة أن يوسف بيع الى « فوطيفار » ، وأن فوطيفار كان بمثابة رئيس وزراء فرعون مصر .. ولست أجد فى هذا تعارضا مع ماجاء فى القرآن الكريم ، فان القرآن لم ينص على أن يوسف بيع الى « العزيز ملك مصر » - كما يؤكد السيد الحوفى- وانما الذى ورد فى القرآن هو ذكر « العزيز » فقط ، وهو لقب ربما كان من ألقاب فرعون ، وربما كان من ألقاب أحد وزرائه أو موظفيه .. والأكثر من ذلك أن ذكر « العزيز » لم يرد فى القرآن على أنه هو الذى ابتاع





صورة زيتية نادرة تمثل « موليير » كما رسمه الفنان « مينيار » ، والى اليسار رسم لأحدمواقف مسرحية البخيل (التى تقرأها فى هذا العدد) كما أعدها الفنان الشهير « فرانسوا بوشيه » لطبعة سـنة ١٧٣٤ من المسرحيــة .

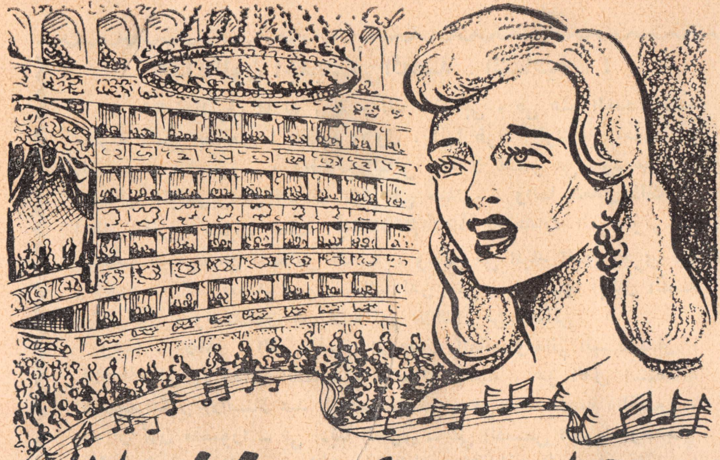
يوسف ، وانما وصف مشترى يوسف فى القرآن بهذه العبارة : « وقال الذى اشتراه من مصر .. » الى آخر الآية ! وقد جاء فى تفسير « البيضاوى » أن الذى اشتراه : « هو العزيز الذى كان على خزائن مصر ، واسمه «قطفير» أو « اطفير » . وكان الملك يومئذ هو ريان بن الوليد العمليقى » .. وجاءفى تفسير الشيخ « محمد رشيد رضا » : « لم يبين القرآن اسم الذى اشتراه فى مصر ، ولا اسم امرأته . والظـاهر أن لقب العزيز هو نقب أكبر وزراء الملك . وفى سفر التكوين أنه كان رئيس الشرطة وحامية الملك وناظر السجون وأن اسمه فوطيفار » .

ألا يرى معى القارىء « العزيز » أنه تسرع فى النقد ، وكان الأحرى به أن يرجع أولا الى القرآن ؟.. ثم ألا يرى أننى انما أنقل آراء من أخص لهم من الكتاب الغربيين ـنقلا أمينا ـ ليطلع عليها القارىء العربى ويدرك وجهات نظر قد تختلف عن وجهاته ، ومن ثم فلست أملك التحوير فيها أو التبديل ؟



الأمل (الخيط الأخير) !

لوحة رائعة للفنان «جورج فردريك واتس» ، بمتحف « تيت جاليرى » بلندن



قلب مصرى.. فى ڤيينا!

قصة مصرية : بقلم الأستاذ

عبد الرحمن صدقى



هذا اللون الجديد من القصة « الثقافية » !

◆ خلافا لمألوف عادته ، يقدم لك « كتابى » فى هذا العدد قصة مصرية تتميز بطابعين : الطابع الأول ، انها طويلة طولا غير معهود فى القصص « القصيرة » . والطابع الثانى أنها لا تقتصر على سرد مايجرى لأبطالها المباشرين من أحداث تؤثر فى حياتهم ، وانما تتعدى ذلك الى اعطاء القارىء صورة خلفية **Background** للأحداث التى تؤثر فى «الصف الثانى» من أشخاص القصة ، وتؤثر فى البلد الذى تجرى فيه وقائعها .. كما تعطيك صورة لمعالم المدن التى يعيش فيها أبطال القصة ويتحركون ، ويصادفون ما تكتبه لهم الأقدار من مصائر

وهذا « الاطار » الذى يصور الأحداث العامة ومعالم البلدان ، بالاضافة الى الأحداث الشخصية لأبطال القصة ، هو الذى استحدثه الأديب الكبير الأستاذ عبد الرحمن صدقى ، فى هذه القصة «القصيرة»، بعد ان كان مقصورا - فى أدبنا المصرى - على القصص الطويلة وحدها. قول « فى أدبنا المصرى » لأن هذا الطابع الثقافى مألوف فى القصص الأجنبى الرفيع ، الذى يعتبر أن القصة ليست أداة للتسلية فحسب ، وانما هى صورة من صور التثقيف لا تختلف عن « المقال » أو « البحث » الا فى القالب الذى صيغت فيه تيسيرا على القارىء فى مطالعتها .

على هذا الضوء يسرنى أن أقدم لك هذه القصة ، وأن أتلقى رأيك فى هذا الاتجاه الذى تنزع اليه

١ ـ هذا بطل القصة !

◆ **هو** شاب فى الحادية والعشرين ، أسمر سمرة القمح - كاللون الغالب علينا نحن المصريين - مأنوس الطلعة ، متناسب ملامح الوجه ، واسع الجبين ، واسع العينين أسودهما ، لطيف النظرة . ثم هو فى الجملة متوسط القامة كبير الهامة ،ممتلىء الجسم - من النعمة - وان يكن غيربدين

ويقع أول عهدنا به ،فىأول عهدهبالعملفى السلكالسياسى .. وكان السلك السياسى فى ذلك الحين ، طريق الشبان المدللين من أبناء العلية الاقطاعيين . ولقد كان من أثر نفوذ أسرته أنه ما كاد يحصل على أجازة العلوم القانونية حتى صدر قرار تعيينه فى المفوضية المصرية بالعاصمة النمسوية « فيينا » .

ولم تكن « فيينا » أول الأمر هى الهدف الأصلى الذى توجهت اليه المساعى وتعلقت به الآمال . فان «رياض حسنين» وسائر الشباب الارستقراطى فى ذلك الحين ، كانوا لا يسمعون فى بيئتهم ذكريات يرددها الكهول من اهليهم وهم كالمسحورين الحالمين ، الا كانت مقرونة باسم « باريس » ! **فلا غرو أن كان كل شاب من شبان هذه البيئة المتعلمين واقعا تحت تأثير هذا السحر الغامض « الباريسى » .. وان كان ذلك الغموض ـ فى حقيقة الواقع ـ غموضا نسبيا ، اذا ذكرنا أن القصص والمجلات قد تكفلت للشباب برفع الستار عن هذا الغموض كله أو بعضه ، بما دأبت على تعداده وتكراره من أوصاف باريس ، بمغانيها وغوانيها ، ومعارض فنونها وملاهيها ، وطلاقة الحياة فيها ..**

ولكن الزحام على الوظائف الدبلوماسية فى باريس كان بالغا أشده ، فلم يكن أمام «رياض حسنين» مندوحة من الاستعاضة عن باريس بغيرها . ولما كان قد تردد على سمعه ذكر «فيينا» يجرى على لسان أكثر من واحد من أقرباء والدته ، فقد اختارها فى آخر الأمر ، معتمدا فى اختيارها على ما اجتمع له عن الكثيرين من اشتهارها منذ قديم ، بأنها « باريس أوروبا الوسطى »

وكان « رياض » ـ كما تقدم التعريف به ـ من الشبان المدللين ، وخاصة أن والده الشيخ ـ وهو من كبار الملاك الزراعيين ـ قد توفى منذ سنين عن ولدين هو أكبرهما ، فأحتضنتهما الأرملة الشابة العصرية تحت رعاية والدها المسن

وأقبل الفتى على العاصمة النمسوية ، وهو يحدث نفسه بالأمانى ، وقد تزاحمت على خاطره بغير نهاية ، فوجا بعد فوج ، قريبة وبعيدة ، معينة ومبهمة ، بعضها مما يتحقق بالحس ، وبعضها لا يتعلق بغير الخيال والوهم ، وصاحبنا من هذا جميعه فى تفزز عصبى وقلق نفسى

فهل خيبت «فيينا» ظنه، وأفسدت عليه حلمه؟

كلا . فهذه «فيينا» تستقبله كالغانية متزينة متعطرة، ظاهرة البشر ساحرة البسمة، رخيمة الصوت مليحة النغمة!.. هذه هى «فيينا» بعينها، على حد وصفهم لها: «عاصمة الأناقة والموسيقى والطرب» .. فما من امرأة يرمقها الا وهى رشيقة فى مشيتها، أنيقة فى ملبسها، سليمة الذوق فى اختيار حليها وحلتها، وقفازها وقبعتها وسائر زينتها . وذلك – فى تعليله – هو لا ريب علة هذه الكثرة الملحوظة من الأزياء المبتكرة التى يراها منسقة معروضة فى الواجهات الزجاجية للمتاجر فى شارعى «كارنتز» و «جرابن» على الخصوص .. وكذلك الحال فى معظم من اجتاز بهم من الرجال، فقد كانوا لا يقلون عن النساء الحسان فى حسن الهندام

بل كانت المدينة كلها أنيقة: فالمبانى أنيقة فى هندسة



شارع جرابن المشهور ، بفيينا

بنائها وزخرف عمارتها ، ومنها مبنى الأوبرا الضخمة الفخمة ، وتلك الكاتدرائية القديمة على الطراز القوطى المنسوبة الى القديس اسطفان ، تكسو سقفها رسوم تعاريج من القرميد الملمع مختلفة الألوان ، ثم قاعة البلدية ، والقصر الأمبراطورى العتيق ، والمتحف والبرلمان .. ثم هى أنيقة كذلك تلك الحدائق المنسقة تطالعه من كل جانب ، على مدار الطريق الأكبر المعروف بالحلقة أو الخاتم ، لاستدارته حول قلب المدينة أو بحسب اصطلاحهم فى لغتهم « المدينة الداخلية » .. فضلا عن الأشجار المتشابكة الظليلة المعرشة فوق الشوارع الفرعية ، وأحواض الأزهار فى ملتقى الطرقات ، وأصص الرياحين فوق الشرفات ، وتلك الأفاريز من الخضرة الناضرة ممتدة أمام المبانى العامة والخاصة على السواء

وهؤلاء هم أهل المدينة ـ عاصمة الامبراطورية القديمة ـ ما يزالون ذلك الشعب المتحضر الصميم ، الذى عرف طعم الرفاهة والنعيم . هؤلاء تغص بهم المشارب والمقاهى ، وفى كل منها فرقة موسيقية من الفتيات الحسان ، تعزف لهم أعذب الألحان ، وهم يعبون الجعة فى الأكواب الكبار ، أو يرشفون صنوفا مختلفة الطعوم والصنعة من القهوة اللذيذة الطيبة النكهة ... وفى صحبتهم الغانيات والأبكار كأنهن الأقمار

هذه فتنة « فيينا » فى وضح النهار ، وهى ، هى ـ لا محالة ـ تفوق ذلك أضعافا مضاعفة فى أطراف المدينة وضواحيها ، فى جنح الليل الساهر ، وتحت ستاره الساتر

* * *

• **وما كادت** تنقضى أشهر معدودات على قدوم « رياض » على العاصمة النمسوية حتى كان أعرف بمطاعمها ومشاربها وملاهيها من معظم أهليها . والفضل فى ذلك يرجع الى العدد العديد من الفتيات اللاتى عرفهن ، فقد كانت كل واحدة

تصحبه الى المكان المحبب لها ، الأثير عندها . والذين زاروا البلاد الأوروبية قد أفادوا ولا شك من صحبة هؤلاء الفتيات فى معرفة ناحية أو اكثر من نواحى الحياة فى تلك البلاد ، كما كانوا فى صحبتهن أشد انسا بالطبيعة ، وأرهف شعورا بالفن ، وأحر تحمسا للجمال ، كأنما افادت هذه الأشياء جميعها من حيويتهن ونضارتهن وحرارة شبابهن ، أو كأنما هم الذين تضاعفت استجابتهم للحياة وانفعالهم بها بفضل هذه المشاركة. ولكن هذه الفائدة المتوقعة من اتخاذ « الدليلات » ، تنقلب مضرة موبقة محققة اذا لم يكن للروح والذهن فيها ادنى نصيب . وهذه حال « رياض » طوال هذه الشهور

ولقد كان من شأن هذا التهافت من الفتيات عليه وانجذابهن اليه ، أن توهم فى نفسه ميزة خاصة من وسامة المنظر أو ضلاعة البنية أو سحر الشخصية أو ما يسمونه بالجاذبية الجنسية . وقد كان يذهب به الوهم أحيانا الى أنه جميع ذلك ! ولكنه فى واقع الأمر لم يكن شيئا من ذلك .. وانما هى المحنة ، المحنة التى حلت بهذه الربوع منذ الهزيمة فى الحرب العالمية الأولى . فقد ادى انهيار امبراطورية «آل هابسبورج» الثنائية لانكماش النمسا الى جمهورية لا تزيد رقعتها على جزء من ثمانية مما كانت عليه الامبراطورية !

ولقد تكرر على سمع « رياض » نادرة شاع فى تلك الأيام التنادر بها فى هذا المعنى ، فكان يسمعها فى المقهى ، وفى المطعم ، وفى الملهى ، من النمسويين أهل البلاد أنفسهم كلما جرى على لسانهم ما وصل اليه حالهم . وهم يروون هذه النادرة عن اثنين من أهل التيرول كانا قد فرغا من تناول كأس من « الأبريتيف » فى بار أحد المطاعم ، فاقترح أحدهما :

ـ : « قم بنا نتمشى فى جولة حول النمسا ! »

ـ : « معذرة .. فأنا أريد العودة هنا فى موعد الغداء ، لا قبله ! »

وهكذا أصبحت « فيينا » ، العاصمة القديمة ، أشبه ما تكون بالهامة العظيمة فوق جسم القزم الضئيل الهزيل !

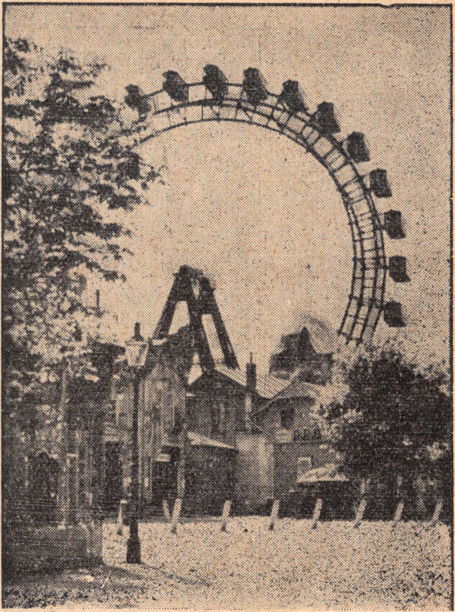
.. ولقد كان على هذا الجسم الضئيل الهزيل توريد الزاد للعاصمة الكبيرة التى لا يقل عدد ساكنيها عن ثلث الجمهورية كلها . ثم زاد المشكلة تعقيدا تدهور سعر النقد حتى أصبح الفلاحون يعمدون الى مقايضة هذا أو ذاك من المحصول الزراعى بهذه أو تلك من السلع الصناعية بدلا من البيع بالنقد، لفقدان ثقتهم بـ « الكرون » النمسوى الذى كان يزداد سقوطا يوما بعد يوم . وهكذا أشتد الغلاء وارتفع سعر كل شىء ، حتى أمسى هذا الشعب ـ وهو ربيب النعمة ، الخلى البال للفن والمتعة ـ يعانى الحرمان وشظف العيش ، ويهدد جموعه شبح الجوع يعضهم نابه ويمسهم سعاره .

ولكن « فيينا » كانت حريصة مع هذا على مظهرها الخارجى الخلاب لأنها تعلم علم اليقين أن هذا المظهر هو الذى يجتذب اليها الأجانب والسائحين من مختلف الآفاق ، ليستحموا ، ويستمتعوا ، ويغتنموا فرص اللذات فى أحضان عروس أوروبا الوسطى ، وذلك كله بأقل الكلفة فى ميزان نقدهم وأزهد الثمن .

وكان معظم « السيدات » اللواتى عرفهن « رياض » أثناء هذه المدة ممن صادفنه ـ أو على الأصح ترصدن له ـ فى شارع (برانز) ، حيث المقاهى الفاخرة تعمر بهن ، وتكاد تخلو الا منهن ، على الرغم من حسن الخدمة فيها ، والموسيقى العذبة المتجاوبة فى نواحيها . ولم يكن ذلك زهدا من أهل « فيينا » ، وهم جميعا أهل طرب وموسيقى ، وانما هى الأزمة الاقتصادية أخذت بخناقهم ، وغلت أيديهم الى أعناقهم كارهين غير مختارين .

وكان « رياض » كثيرا ما تغلب عليه روح صباه ، فتسوقه قدماه الى ميدان « النجمة » ، ومنه يستقل مركبة تجتاز به الطريق الأعظم وعلى جانبيه الصفوف المضاعفة من أشجار

« شاه بلوط » المتكاثفة ، حتى يبلغ الى مدينة الملاهي الشعبية ، وقد طالعته من بعيد تلك « العجلة الماردة » الذاهبة فى الفضاء التى تعد أعظم ارجوحة دائرة فى العالم كله ، اذ يزيد ارتفاعها على الستين مترا ، وتتسع صناديقها الصاعدة الهابطة للمئات من أهل المرح من صغار وكبار !.. وهناك فى مدينة الملاهى الشعبية كان رياض يحلو له أن يصطحب هذه الفتاة او تلك الى العاب السيرك والحواة ومسارح القراقوز ، اذا كانت الفتاة ممن تفتنهن وتأخذ بألبابهن هذه الألعاب ، **ولا يبقى عليه بعدها الا الميل بها الى أحد المطاعم**



العجلة الدائرة ،

أشهر معالم حديقة

ملاهى فيينا

الصاخبة بالأغانى وموسيقى الفالس الراقصة ، ثم الاكثار عليها من الشراب ليتم له ما يريد منها !.. وكان « رياض » يحسب دائما أنه وحده فارس الميدان ، ويغيب عن غروره أن أولئك الفتيات قد مررن بهذا الذى حسبه تجربتهن الأولى أكثر من مرة ، لما هن عليه من شدة الحرمان والحاجة

وكانت مظاهر الحاجة والحرمان مع هذا لا يمكن أن تخفى عليه ، فهى اذا خفيت على السائح العابر الذى يزور النمسا لماما ، فانها لا تخفى على مثله بعد أن اقام فى فيينا زهاء العام

ولقـد استقصى « رياض » ممن هم اقدم عهـدا منه فى المفوضية عن أمر هذه الأزمة الراهنة ، فعلم انها بطبيعة الحال ترجع الى ما بعد الهزيمة ، ولكنها بلغت مداها منذ عام وبعض عام . فقد كانت سياسة النمسا الخارجية تتوخى استجلاب معونة الدول الغربيـة حتى لا يكون من اثر اشـتداد الفاقة واستفحال روح التذمر وضعف السلطة المركزية أن تنهار الجمهورية الديموقراطية النمسوية الجديدة التى يتخذها الغرب حاجزا فى وجه الجارة السوفيتية الكبيرة . ولكن غضبة من غضبات فرنسا العصبية ، تؤيدها السياسة البريطانية ، من جراء مفاوضة لتوحيد الرســوم الجمركية بين دولتى الوسط المهزومتين ـ المانيـا والنمسا ـ لتشجيع التجـارة بينهمـا ... أدت الى سحب الحـكومة الفرنسية لجميع اعتماداتها الماليـة المودعة فى المصارف النمسوية ، بحجـة أن التوحيد الجمركى المقترح ان هو الا خطوة نحو اتحاد دولتى الوسط ، وهو أمر غير مرغوب فيه . وهنا وقعت الضائقة الطاحنة الخانقة بدولتى الوسط ، وظهر أثرها فى أوروبا كلها . وكانت النمسا أشد بلاد الأرض شقاء بها

وكان « رياض » بمزاجه المرح وطبعه الطروب أميل الى التسرية عن نفسه وطلب المتعة . ولكنه كان الى جانب ذلك طيب القلب ، رقيق الطبع ، سريعا الى التحنن والرحمة ،

وكان ـ على عادة ابناء وطنه ـ شديد الاشفاق على الفقراء ، مبذول العطاء للسائلين .. فلما امتد مقامه فى « فيينا » الى الحقبة التى أخذت مئات الأيدى المرتجفة الهزيلة تمتد فيها بالاستجداء ، وطلب العطاء فى قوارع الطرق ، كان « رياض » ـ بحكم العادة ـ يكاد لا يرد سائلا ، حتى اشتهر بين فقراء الحى الذى كان يقطن فيه . فكانوا يترصدون له فى الطريق ، بل كان العجزة منهم ينتظرونه جلوسا على عتبة بابه ، وهو يعطيهم مع ذلك ولا ينتهزهم . وكان ما يعطيه على قلته كثيرا فى حساب نقدهم

وكان جيران « رياض » من أهل البلاد يعيبون عليه بذل العطاء على هذا النحو ، ويرونه تشجيعا على التواكل والاستجداء وعاملا على ازدياد عدد محترفيه ، وكانوا يزعمون له أن من هؤلاء السائلين الفقراء الذين اتخذوا السؤال حرفة ، من اجتمع لهم من المال المخبوء المكتنز ما يجعلهم من أهل الثراء . ولقد طال ترديد ذلك على سمعه ، حتى كان من تأثيره أن انتهر ذات ليلة عجوزا مدت يدها بالسؤال على بابه عند عودته ، ولم يعطها على خلاف عادته . فلما خرج فى الصباح ، وجدها أمام بابه جثة هامدة من الجوع والبرد !

منذ ذلك اليوم تغير « رياض » بعض التغيير ، ودخل الى نفسه بعض الأسى وبعض التفكير . ومن هنا بدأ يرقب الحياة حوله من أكثر من زاوية ، وبدأت تتكشف له من الحياة ناحية بعد ناحية .. ولولا ذلك ، لظلت حياة «رياض» ـ كما رأينا ـ سلسلة متشابهة الحلقات من المغامرات اللاهية التافهة ، ولما كان جديرا بأن يكون بطلا لهذه القصة او لغيرها ..

٢ ـ وهذه بطلة القصة !

◆ ليست هذه أول فرصة تظهر فيها « فراولين تيريزا » بطلة قصة .. ولكن ، من كان يتوقع لها ، لهذه الفتاة الحسناء النمسوية ، التى كانت

البطلة فى أكثر من قصة جرمانية صميمة ، أن تكون بعد ذلك ، فى يوم قريب من مستقبل الأيام ، بطلة قصة مصرية ؟؟

ولكن ، تلك مشيئة القدر ، وكل ما شاء القدر يكون ، وان لم يقع فى الوهم أو تتعلق به الظنون !

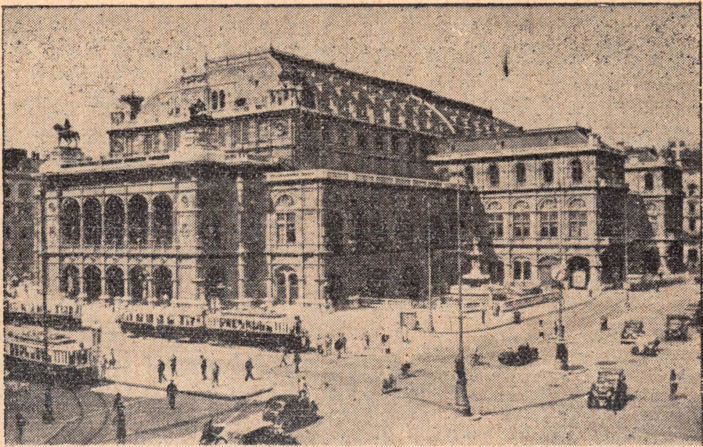
فى ذلك اليـــوم كان « رياض » الموظف فى سكرتارية المفوضية المصرية فى « فيينا » قد وصل متأخرا الى مكتبه على مألوف عادته . فما كاد يستقر عـلى مقعده ، حتى دعاه رئيسه المباشر ، فقام مبادرا اليه ، فلما دخل عليه ، سأله ان كان راغبا فى سهرة بدار الأوبرا ؟ وكان « رياض » لم يدخلها قط ، وان كان قد جاز بها مرارا فى جولاته ، فلم تقترح عليه مرة من المرات واحدة ممن يصحبهن من « سيدات » ذلك الحى المغمور قضاء السهرة فى هذا المعبد الضخم ، معبد الفن الرفيع . ولم يتردد « رياض » فى أن يشكر رئيسه على هذه المجاملة مع ابداء الموافقة . فناوله الرئيس تذكرتين كان قد تلقاهما من مدير الدار على سبيل التحية بمناسبة افتتاح الموسم الغنائى .

لم يكلف « رياض » نفسه الاستعلام عن المسرحية التى سيشهدها تلك الليلة على المسرح الرسمى للعاصمة النمسوية . فقد كان الذى يعنيه هو معاينة الدار من داخلها ، لما تردد على سمعه من عظمتها وأبهة زخرفها ، فضلا عن التطلع الى المقاصير وما تضمه من الغوانى الحور ، فى حلل السهرة المكشوفة الظهـــور والنحور . ثم انها فرصة كغيرها لقضاء الليلة فى صحبة صديقة من صديقاته تغتبط ولا ريب بمثل هذه الدعوة .

ولقد أدهشه اعتذار أكثر من واحدة من صديقاته . ولم يكن ذلك عن زهد منهن فى الموسيقى ، بل لايثارهن على الأوبرا الكلاسيكية أوبريتات « الأرملة الطروب » و « عشق الفجر » وأمثالهما للموسيقار « فرانزليهار » أو موسيقى الفالس الراقصة الخفيفة للموسيقار « جوهان ستراوس » وهى الموســـيقى التى أصبحت من مشخصات العاصمة النمسوية وخصائص روحها المتفترة الحالمة وجوها المتعطر المسكر .

ولولا أن أخذ « رياض » بذراع واحدة من صديقاته صادفها فى طـــريقه الى الأوبرا ، واصطحبها دون سابقة انذار ، لكان من المرجح عدوله عن شهود الحفلة وحده .

وأقبل « رياض » على الدار الضخمة ، المشيدة على طراز فن العمارة الفرنسى فى عصر النهضة ، وكان الماء ينطلق على الجانبين ، من نافورتين يعدان من بدائع الفن . واستقبلته من الدار واجهة عظيمة ذات طابقين من الأعمدة والحنـــايا والعقود المقوسة ، وكان يعلو مقدمة سقفها تمثالان لفارسين على صهوة فرسين



دار أوبرا فيينا المشهورة ، التى أعيد بناؤها بعد أن هدمتها قنابل الحرب الأخـيرة

مطهمين . وقد استرعى نظره أمام مدخل الدار قائمان على شكل الشمعدان ، يطالع الناظر فى أحدهما « سيجفريد » وفى الآخر « دون جوان » ، وهمـا يرمزان — فيما قيل له — الى الأوبرا الحديثة والقديمة .

وبلغت دهشة « رياض » أشدها حين اجتاز مدخل الدار الى داخلها حيث السلم الأكبر والأبهاء والتماثيل والثريات . بل عقدت الدهشة لسانه حين سرح طرفه فى قاعة الاستماع المترامية الأطراف ، وكاد يدار برأسـه حين رفعها الى طبقات المقاصير . وكان وهج الذهب والأرجوان فى كل مكان تحت الأنوار الساطعة .

ولكن كان يخيم على هذا كله مسحة من الكمد والكآبة . لم تكن القـاعة والمقاصير التى تتسع للآلاف ، مزدحمة مزدانة كسابق عهدها بأهل الوجاهة والغوانى الحسان ، بل كانت المقاعد العليا الرخيصة هى وحدها الشـديدة الزحام .

وأخذ « رياض » وصديقته مجلسهما فى الصف المخصص للمدعوين ، وقد علم من البرنامج الذى اشتراه للصديقة عند دخوله أن مسرحيـة الليلة هى « تريستان — و — ايزولد » من أوبرات «فاجنر» . ولما كانت الأوبرا بالألمانية

فقد تلطفت الصديقة فشرحت له بلغة انجليزية ركيكة موضوع الفصل الأول باختصــار قبيل رفع الستار . ولم يكن صاحبنا ممن يدعون الفهم لموسيقى فاجنر ، أو مجـرد الصبر عليها . فما كادت تنطفىء الأنوار ، ثم تعـزف الأوركسترا مقدمة من الموسيقى الفاجنرية المركبة المستصعبة على سمعه ، ثم يرتفع الستار عن مقدمة سفينة بحرية عليها الفارس تريستان والأميرة ايزولد وغيرهما يغنون بلغة غير مفهومة عنده ، حتى بدأ يتململ فى مجلسه ويدافع الملل الذى يتغشاه . ولعله كان يهم بالتثاؤب ، حين لمح على جانبه الآخر فتاة رائعة فى حسنها وصباها ، استغرقتها موسيقى فاجنر ، فاستسلمت بجملة نفسها ومجامع حواسها لما تسمعه وتراه ، وقد أسندت خدها الى راحتهـا ، ومالت برأسها حتى كادت خصلات شعرها الوافر الذهبى تمس وجهه . وكانت لهذا الشعر مثل رائحة الغابة الذكية الطبيعية ، فكان وهو يستنشقها يحس بالعافية ويذهب عنه الكلال ، كما كانت كل شعرة تلمس وجهــه من خصــلات ذلك الرأس الجميل تبعث فيه ما تبعثه اللمسات الكهربائية من هزات تنبه الحس الخذر ، والنفس المتبلدة . عندئذ ، عاودت « رياض » يقظته ، وتنبه اهتمامه لما جاء من أجله ، وان يكن هذا وذاك لسبب طارىء وعلة فرعية ، ولكنها يقظة واهتمام على كل حال .

وكان انتباه « رياض » واهتمامه موزعين بين عابدة فاجنر الحسناء بجواره ، ومسرحية فاجنر فى سمعه وقيد عيانه .. فلما تنادى العاشقان على المسرح :

ـ تريستان ! ـ ايزولد !

ـ هل قدر أن يحيا الحبيبان ؟

كانت السفينة على المسرح قد بلغت الشاطىء .. ونزل الستار ، وأضيئت ـ على عجل ـ الأنوار

وانتفضت الجارة عابدة موسيقى فاجنر الحسناء ؛ فقد كانت اضاءة الأنـوار صدمة لها ، قطعت عليها حلمها ! .. وهبت الصديقة المصاحبة تعتذر ، وتلح فى الاعتذار ، لاضطرارها للانصراف لموعد لابد لها من الوفاء به . ولكنها تلطفت فلم تنصرف الا بعد أن تقدمت الى الجارة الحسناء ترجوها لو تفضلت بالقيام عنها بالشرح للشاب المصرى على قدر الامكان ، ان كان لها المام باللغات التى يعرفها .

ولم تحتفل الحسناء كل الاحتفال بهذا الرجاء ، وان كانت لم ترفضه . وبعد هنيهة التفتت كالمفيق الى « رياض » وسألته الأسئلة المعتادة عن موطنه ، ومتى كان مقدمه الى « فيينا » ، ومدة اقامته المزمعة ، ثم طبيعة عمله . ولعلها وجدت فى أجوبته ما جعلها تطمئن اليه . وقبيل رفع الستار عن الفصل الثانى ، لخصته له فى كلمات . ثم حان رفع الستار ، وخفتت الأصوات ثم انقطـع

الهمس • فانصرفت فجأة عنه بكليتها ، واستغرقت للمرة الثانية فى هـذه الموجة العاتية من موسيقى فاجنر • وتراءت على المسرح الأميرة « ايزولد » وقد خلت الى نفسها ووصيفتها فى حديقة المقاصير الملكية تحت جنح ليلة من الليالى المقمرة الصيفية ، وهى تتغنى بحبها للفارس تريستان ، ذلك الحب اليـائس الجنونى •

وشعر رياض بالجارة الحسناء تتمتع بهذه الموسيقى كما لم يتمتع بها احد ، ولكنه كان يحس كذلك انها كانت تتعذب بها ، بل انه ليكاد يلمح فى الحين بعد الحين رجفة تهز بدنها ، وما يشبه أن يكون حركة تشنجية فى عضلاتها وبالأخص عضلات جيدها ، كأن شيئا يضغط على حلقها ويحاول خنقها ! •• ولقد صح عند « رياض » ما توهمه ، عندما أوفت المأساة الغنائية على ختامها ، وترامت « ايزولد » على جسد حبيبها النازف الجرح ، وقد ارتفعت منها العقيرة فى حشرجة أخيرة : « لينطفىء نور الحياة فينا نحن الأثنين ، متحدين ! » • هنا اخترق سمع رياض من ناحية جارته مايشبه النشيج المخنوق ، فالتفت بغتة الى ناحيتها ، فاذا الزفرات تهز جسدها ، وهى مطبقة بيدها على فمهـا والدموع تغسل وجهها •• فلم يملك « رياض » أن أمسك بذراعها ، وسار بها يشق الطريق بين النظارة أثناء تصفيقهم وقوفا للفنانين ، وكان مستخدمو دار الأوبرا يحنون رؤوسهم ويحيونها قائلين : « فراولن (الآنسة) تيريزا ! » •

وفى خارج الدار انحرف بها الى الفسقية الأثرية الجانبية ، ولما صار فى الميدان استقل معها أول مركبة صادفها ، وأشار للسائق أن يمضى الى طريق حديقة المدينة • وكانت ظلمة الليل صافية رائقة ، والنجوم منثورة فى الفلك متألقة ، وقد التزم « رياض » على غير عادته الصمت والتحفظ ، وكأنما سره أن يلقى امرأة من غير الطراز الذى تكرر عليه حتى ألفه ومله • بل كان يبدو حريصـا كأحرص ما يكون الا تخلف هـذه الحسناء وهمه فيها ، وحسن ظنه بها •

وبعد هنيهة كان الهواء الطلق والفضاء المكشوف قد فعلا فعلهما فى تهدئة الحسناء • فاستأذنها فى أن يدعوها الى قدح كبير من القهوة الساخنة المشوبة باللبن على الطريقة النمسوية ، مع بعض تلك الفطـائر الصغار المعقوفة على شكل الأهلة الشائعة عندهم • وقد كان مقهى الكورسال فى أحضان الحديقة فمالت المركبة بهما اليه • وفى أثناء الحديث معها علم « رياض » انهـا من مغنيات دار الاوبرا ، وكان لايزال ماثلا فى حاضره انحناءات وتحيات الكثيرين من مستخدمى دار الأوبرا لها عند خروجه منذ هنيهة معها • ولكن هذا الذى عرفه الساعة عنها لا يخفف الخفـاء الذى ما برح يكتنف سرها ! ولم تلبث « تريزا » أن استأذنته فى الانصراف الى دارها ، فأبى « رياض » أن يدعهـا

وحدها ، وعرض أن يصحبها . وكانت قد أنست اليه بعد أن جالسته فى دار الأوبرا وفى المقهى واطمأنت الى نظرته لها .

والحق أنها رأت منه ظاهرة غير مألوفة فى الرجال . ولعل « رياض » نفسه لا يدرى كيف كانت هذه الظاهرة له فى تلك الليلة . فقد كان ديدنه فى العادة أن ينظر الى المرأة من فرعها الى قدمها ، ويردد لحظه بين مواضع الاستـدارة والضمور فى قوامها وتكوينها ، ثم يثبت نظـره حيثمـا اشتهى حتى ليكاد نظره يجردها من ثيابها ، وأخيرا يعمد الى الهجوم فيجعل عينيه فى عينيها ، ينقلان اليها فى نورهما ونارهما معانى المناجاة وبث الأشواق والمراودة !

ولكن رياض نسى ديدنه فى هذه المقابلة . لم يتطلع الى شىء مما اعتاد أن يتطلع اليه فى المرأة . لقد شغلته هذه المرأة بنفسها عن حسنها . ومع ذلك وقع فى أسرها دون أن يدرى !

وطال الطريق الى بيتها ، وكان قريبا من قناةالدانوب ، فأخذت تحدثه عن نفسها . وبدأ يفهم رويدا ، رويدا ، ما استبهم عليه فهمه منذ لحظة : فهى على التخصيص المغنية الأولى لدور الأميرة « ايزولد » فى الأوبرا التى شهدها الليلة . ولكنها منذ أسبوعين منقطعة عن الغناء . فلما طال بالجمهور الشوق الى هذه المسرحية التى تعـد هى و « لوهنجرين » أحب الأوبرات عند محبى فاجنر ، لم يسع مدير الدار الا أن يعهد بدور « ايزولد » الى غيرها من كواكب المغنيات . ثم تقول تيريزا : « لقد رأيت كيف خنقتنى العبرات وأنا أستمع الى المسرحية وأشهدها . لا تحسب ذلك حسدا منى أو منافسة نسائية . انما هى عبادتى لهذا الدور ، غيرتى على ملابسة هذه الشخصية ، شخصية الأمـيرة الارلندية ، وجنونى بأن أحيا معها حياة حبها البائس الجنونى » !

فاندفع « رياض » يقول فى سذاجة : « اذن حسبك غياب الأسبوعين وعودى الى الأوبرا يكون لك دورك المحبب كما كان ، تعيشين فيه كمـا تشائين ، وتغنيه كما ترتضين »

وهنا ، فى حركة مضطربة ، استوقفت الحسناء المركبة . لقد شارفت قناة الدانوب ، وهذه هى الدار .. ونزل « رياض » قبلها ، ليقدم ذراعـه عند نزولها ، وان تكن فى غير حاجة لها ، كما يفعل أهل الكياسة من المتحضرين. وقد نزلت هى حين نزلت مهدودة القوى متهالكة ، واحتاجت الى ذراعه حقيقة مادية لا مظاهرة مجازية .

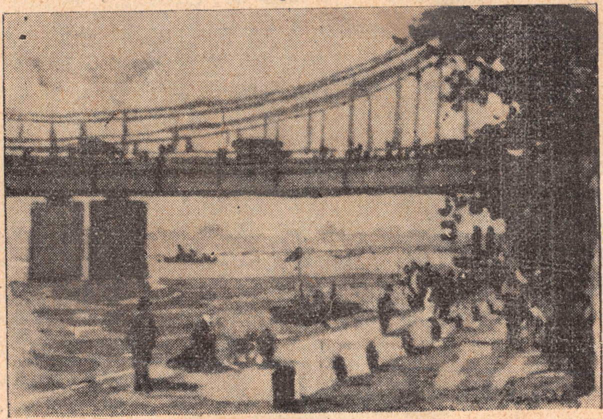
وتقدمت الى البيت تفتح بابه فى تباطؤ وضعف بمفتاحها ، حتى اذا حواها استدارت الى الفتى فى حزن ، قائلة : « انه أمر الطبيب . وأخشى ما أخشاه أن تكون أوتار صوتى تالفة »

وأوصدت دونه الباب ، وهو يسمع نحيبها المخنوق وزفراتها المتقطعة !

٣ ـ مفاجأة !

• **كان** الهواء لايزال رطبا باردا ، مبللا بالندى ، حين غادر « رياض » منزله مبكرا غداة سهرة الأمس . وكان يسرع الخطى ، وعلى وجهه سيماء الاهتمام ، واشتغال الخاطر ، وقد أخذ فى طريق غير طريق المفوضية . وبعد أن قطع فيه شوطا بعيدا ، وهو على تلك الحالة من العجلة يغذ فى سيره ويستحث خطاه ، تطلع الى الأفق فتراءت له من بعيد هبوة لاتزال على قناة الدانوب تكاد تحجبه عن النظر وتواريه . فتوقف ، وكأنما تنبه الى خطأ . ثم نظر فى ساعته ، ولعله شك فى أمرها ، فقد جعلها الى أذنه يتسمع سيرها ، ثم أدار مفتاحها دورة أو دورتين على الرغم من اطمئنانه الى ملئها .

واستأنف السير متأنيا ، خطوات ، حتى آنس على جانب الطريق مقهى ، مال اليه . وطلب قدحا كبيرا من القهوة الساخنة الممزوجة باللبن ، مع بعض الفطائر الصغار على شكل الأهلة ـ وكان ذلك ولاشك فطوره ـ وظل فى جلسته بعدها



قناة الدانوب

قلقا متوفزا ، ينتظر على أحر من الجمر . وكان يراجع الساعة بين لحظة وأخرى ، كأنما يستعجل عقاربها .. وفى آخر الأمر ، هب على قدميه واقفا ، ثم انحدر الى الطريق مستأنفا سيره السريع .

وكانت الشمس قد ارتفعت ، وظهرت تحت أشعتها قناة الدانوب قد انجابت عنها هبوتها ، وامتدت القناة أمام النظر متموجة ساطعة كأنها جسم غادة فارعة تجردت من غلالتها .

وفى منحنى الطريق على ضفة القناة ، ألفى ((رياض)) نفسه تجاه بيت ((تيريزا)) ، فتوقف، ثم اجتازه مسافة ثم عاد اليه، ووقف . وطالت وقفته مترددا .. لقد جاء يزورها على غير موعد . جاء يطمئن . يطمئن عليها من حالة اليأس التى ختمت بها فى الأمس سهرتها

لهذا جاء . وهل كان يسعه الا أن يجيء !.. لقد بات ليلته وصوت نشيجها ، نحيبها المخنوق ، يعاود سمعه فيطرد طيب الكرى عن جفونه ..

ان هذه الزيارة من حقه ، حقه غير منازع .. ثم ، ألا يكون رجلا ساقط المروءة ، ان تخلف عن زيارة الفتاة المنكوبة ، عن السؤال عنها ، وعرض خدماته عليها ؟

وعندئذ ، وقبل أن يعود اليه تردده ، اندفع « رياض » الى الباب ، فدق جرسه . وانقضت هنيهة ، فكاد ان يعدل ، ويؤثر الأوبة . لولا أن انفتح الباب عن سيد عجوز وقور ، وبعد أن سأله عمن يريد فى تأدب وفتور ، قاده فى دهليز مفروش الى غرفة خافتة النور مسدلة الاستار ، وطلب اليه الانتظار

دخل « رياض » وحده غرفة الانتظار وهـو يتعثر من الاضطراب والخجل ، لهذا التطفل على وسط غريب عنه . وأدركه الندم ، ولكن كان قد فات الأوان . فلما استقر به المقام ، وأخذ يدير النظر حوله ، بدت عليه بادرة دهشة ، ثم

أخذت هذه الدهشة تزيد ، ويدخل عليها عارض من البهجة ، كلما تنقل طرفه فى جوانب الغرفة . . لقد وقعت عيناه فى نواحى الغرفة على أطباق نحاسية محفورة بالنقوش العربية والآيات القرآنية ، ثم على حاجز من الخشب المخرم على طراز المشربية ، وعلى هذه المنضدة وتلك مكعبات من النحاس الاصفر على شكل الأهرام ، وتمثال صغير من العاج لرأس نفرتيتى المشهور ، وآخر من الأبنوس الصقيل ، لجارة من القارة الافريقية حسناء كأنها فينوس السوداء ، وبعض الصناديق الصغار المنزلة بالزخارف الهندسية من الصدف . وحتى السقف ، تدلت منه قناديل زجاجية مطلية بالميناء فى صبغة زرقاء لازوردية ، وغير ذلك من التحف المصرية العربية التى أضفت على الغرفة جوا شرقيا نسى معه « رياض » ماكان منذ هنيهة يحس به من الاستيحاش والغربة ، بل أخذ يداخله شعور بالارتياح والأنس ، كأنما نجمت بينه وبين أهل هذا البيت صلة من صلات الرحم وواشجة من القربى !

وغاب « رياض » عن نفسه ، وغمرته نشوة الذكرى والحنين الى الوطن ، فسرح به خياله فى القاهرة ، عاصمة بلاده الاسلامية ، متطلعا الى مآذنها العارجة الى السماء ، متجولا يشق طريقه فى شوارعها المزدحمة الوطنية حول الأزهر المسجد الجامع الأكبر ، حيث كل حى من هذه الأحياء مختص بصناعة من الصناعات ؛ كالنحاسين والجمالية والصاغة ، ثم مخترقا تلك السوق الحاشدة بممراتها المسقوفة الضيقة التى تضم متاجرها المتلاصقة من الطرائف والتحف والعطور الشرقية ماجعلها كعبة السائحين الوافدين من أقطار الأرض على مصر الخالدة .

وكان الفتى المصرى شارد اللب فى هذه الرحلة البعيدة من بلاده ، حين طرقت أذنه أصوات ووقع أقدام . . وقبل أن يفيق الى نفسه ، دخلت « تيريزا » مستطلعة ، ومن ورائها الشيخ الوقور . فلما تطلعت الى « رياض » وعرفته ، مدت

يدها وصافحته ، شاكرة مرافقته مساء البارحة لها ، واهتمامه هذا الصباح بزيارتها والسؤال عنها . ثم قدمته الى والدها الشيخ . فلما ذكرت له أنه مصرى ، أبرقت أساريره ، وهش للشاب المصرى وربت على كتفه وأقبل عليه وهو يشير الى مجموعة التحف التى عنده ومعظمها من مصر . وكان الشيخ يتكلم أكثر من لغة غير لغته ، وقد ذكر فى التعريف بنفسه أنه يتاجر فى العاديات والتحف ، ويستورد الكثير من وادى النيل شماله وجنوبه ، وقال كالمزهو بنجاحه ان هذه التجارة التى زاولها من قديم درت عليه أرباحا طائلة . وبغتة ، سكت كمن ارتج عليه ، ثم أشاح بوجهه واستطرد : « ولكن ... »، وتغير صوته وصارت له نبرة عميقة حزينة ، « ولكن ... الأزمة ، هذه الأزمة المستحكمة منذ سنين ... كان لابد مع نضوب موارد البلاد وقلة المال وارتفاع اسعار الضروريات أن يتضاءل الاقبال على هذه الكماليات . أصبحت فى حكم العدم ، هذه التجارة الجميلة ! »

وأمسك تاجر التحف والعاديات ، وتمالك نفسه . ثم تلفت حوله وأقبل على « رياض » وهو يشير بيديه : « لقد أخلينا المتجر ، وخرجنا منه خاسرين ، ولكننا كسبنا زينة البيت كما ترى ..! » . وضحك ضحكة عالية مغتصبة

وتدخلت « تيريزا » ، فأخذت تسأل « رياض » : كيف اهتدى بسهولة الى المنزل ؟ هل يقطن بعيدا ؟ هل يتلقى من مصر رسائل أهله بانتظام ؟ وما الى ذلك من الأسـئلة التى لاغرض لها من ورائها غير تغيير مجرى الحديث . ثم عادت فاعتذرت الى « رياض » عما تكلف بسببها فى الأمس واليوم من مشقة وتعب . وتنبه « رياض » الى أن الفتاة لابد أن تكون على أهبة الخروج ، فهى فى كامل زيها وزينتها ، مشتملة بمعطفها ، وعلى رأسها قبعة صغيرة شاهدة على ذوقها واناقتها .. فوقف معتذرا عما يكون قد تسبب فيه من تأخيرها عن

موعدها . فوافقته على أنها حقيقة على موعد ، على موعد مع الطبيب . فعرض الشاب المصرى فى تردد وتأدب عليها — وهو ينظر الى والدها مستأذنا — أن يصحبها فى السيارة التى جاءت به

وعندما هم « رياض » بالانصراف معها ، حياه والدها فى لحن غريب ورطانة أعجمية ، بتلك التحية المصرية الشائعة : « سعيده ! » .. ثم بادر بالتفسير قائلا أنه كان فى زيارة قصيرة لمصر منذ سنوات طوال ، حيث قضى مع المرحومة زوجته شهر العسل فى « ميناهاوس » ، الفندق القائم على سطح الأهرام . وامتزجت مصر فى تلك اللحظة بذكرى زوجته ، وخشيت « تيريزا » من بوادر دمعته ، فحيت والدها ،وجذبته للخروج حتى لايفوتها موعد الطبيب

ومضت بالاثنين السيارة ، بعد أن أبلغت « تيريزا » عنوان الوجهة المقصودة الى السائق ، وطلبت اليه السرعة

وانطلقت السيارة مسرعة ، ولكنها لم تقطع شوطا حتى تمهلت ، وبعدها توقفت ، ثم التفت السائق الى الراكبين مشيرا بيده المعروقة المضطربة الى الأمام . فأطل «رياض» و«تيريزا» ، كل من النافذة التى تليه فى السيارة ، فاذا الطريق مكتظ بالمئات من منظمات الشباب النازى النمسوى فى الزى واللون الخاص بهم المميز لهم ، وهم يحملون اللافتات ويوزعون النشرات ، وقد تعرضت لهم واصطدمت بهم شراذم من العمال الاشتراكيين ، ثم ظهرت من بعيد فرقة وفيرة العدد والعدة من رجال الشرطة ، تحمل على الفريقين ، وتشتد فى تشتيت الجمعين ، وتقبض على القادة من الحزبين .

ولم ينتظر السائق امر السيد او السيدة ، ولم يحفل حتى باستئذانهما ، بل عمد فى سرعة وقوة — بعد التراجع بالسيارة قليلا — الى ادارة عجلة قيادتها ، وانطلق مخترقا الشوارع الجانبية ، ثم استقام على طريق آخر من الطرق الكبيرة يؤدى

الى الوجهة المقصودة وان كان أبعد شقة

وأخيرا نزلت « تيريزا » و « رياض » أمام عمارة فاخرة، واستقلا المصعد ، فلما أحتوتهما ردهة الطبيب ، علمت « تيريزا » من المساعد فوات دورها ، وأن عليها الانتظار الى النهاية . وبعد ساعة طويلة خلت الردهة الا منها و«رياض»، واقبل الطبيب وقد فرغ لها ، فبادرته بالاعتذار ، وقدمت له صديقها المصرى ، ثم عادت تكرر معاذيرها ، مفصلة أسباب تأخيرها . فما انتهت من وصف مظاهرة الشباب النازى واصطدامه بالعمال وتدخل الشرطة ، حتى انتفض الطبيب النحيل ، وتوقدت نظراته من خلف عويناته المركبة على أنف بارز دقيق ، وانطلق — وقد فارقه الهدوء العلمى — يخوض مع « تيريزا » فى حديث محتوم سياسى . ولعله تذكر بعدها أن « رياض »من رجال السلك السياسى فى المفوضية المصرية ، فقد عمد بعد هنيهة الى الكلام بالفرنسية فى دفاعه عن فكرته ليتأكد من متابعة الدبلوماسى المصرى الشاب لكل ما يقول فى تفصيله وجملته

وكان الطبيب لا يكل ولا يمل من تكرار هذه العبارات ، دون تغيير الا بعض التقديم والتأخير فى الفقرات : « **على من يعتمد هذا القزم العنيد « دلفوس » رئيس الوزارة ؟ على من يعتمد فى محاربة النازيين النمسويين ، بطريقته العقيمة ؟ كيف يخطر فى وهمه بعد ما أنزله بخصومهم الاشتراكيين من التشريد والقمع الدموى الشديد أن يأمن على النمسا من خطر النازيين ومن ورائهم برلين الهتلرية تمدهم بالمال والدعاية والتدابير الاجرامية ؟! سوف لا يغنى عنه هؤلاء الأجلاف الذين جمعهم حوله من أبناء الفلاحين ، بسرابيلهم المتخذة من جلود الحيوان ، وقبعاتهم الخضراء بلون ريش الببغاء . لن يغنى عنه هؤلاء . لقد أبلوا شر البلاء فى مأساة فبراير الدموية لأنها ضد الاشتراكية . أما النازية ، أما النازية ، فهم لا يضمرون لها**

ـ مع الأسف ـ كل هذه الكراهية ولا بعضها ! انهما كالتوأمين، وان كانا متخاصمين »

وأخيرا نجحت تيريزا ورياض بعد طول المصابرة واعمال الحيلة فى استدراج الطبيب الى غرفة الكشف الطبى ومباشرة العلاج الذى بدأ ـ منذ مرضت تيريزا ـ يجريه على أوتار صوتها بالمس الكهربائى . وكان الطبيب طوال الوقت يمط شفتيه ويهز رأسه مظهرا يأسه . وكان رياض أثناء ذلك يلاحظه ، وهو لا يدرى أن كان هذا اليأس مبعثه الموقف السياسى او حالة المريضة !

وأخذ الطبيب بعدها بيد المريضة لتستريح بعض الوقت فى غرفة مجاورة وحدها ، توقيا من الكلام ، ومن التعرض للهواء البارد فى الخارج .. وبقى رياض والطبيب خاليين لا ثالث معهما . وعندها استعلم رياض عن حالة المريضة ، فعلم من الطبيب انه لم يطرأ للآن على أوتار صوتها تحسن يذكر ، وانه غير متفائل ، ولولا أنه يخشى على تيريزا من الصدمة لكان قد صارحها !

وكأنما كانت الصدمة مدخرة لرياض . فما كاد يسمع بأن حالة تيريزا ميؤوس منها ، حتى بلغ من تأثره أن أجهش بالبكاء، وكان يغالب دموعه على غير جدوى ، وقد اطبق بكفيه على وجهه من الاستحياء . وارتبك الطبيب أول الأمر ، ثم تقدم بعد هنيهة منه ، وربت على كتفيه المرتجفتين من غلبة النشيج ، فرفع الفتى المصرى العاطفى اليه وجهه وهو مبلل بالدموع ، بعضها ذائب يجرى كالسيل ، وبعضها يتحدر فوق خده قطرات كالكريات الصغيرة . والتقى نظر الشيخ والفتى مليا . ثم قطع الصمت ، صوت الشيخ الأجش يهمس : « قل، أتحبها ؟ أصدقنى القول » .. فهز الفتى المصرى رأسه ، ثم عاد يهزه أكثر من مرة ، توكيدا

ـ اذن تزوجها . لا امل فى رجعة صوتها اليها ، فتزوجها !

أتسمع ؟ تزوجها ، لعل الحب أن يعوضها ..

وطرق سمعهما وقع اقدام تيريزا . لقد رابها ما ترامى الى أذنيها من صوت كالبكاء فى غرفة الطبيب . فلما دخلت ، كان رياض قد جفف دموعه . ولكنها لم يفتها احمرار عينيه ، فأدركت فى الحال جليـــة الأمر : لا أمل فى الشـفاء ! هى الحقيقة ، الحقيقة الفظيعة عرفتها . وأبت عليها كبرياؤها أن تظهر أنها عرفتها ، فلا تملك عنـدئذ نفسها من الضعف والتهالك

بل هذه هى واقفة على عتبة الباب منصوبة القامة ، قد ارتسمت على فمها ابتسامة كالابتسامة المحفورة على تمثال من الحجر . ثم حيث الطبيب برأسها وأومأت الى رياض أن قد حان الانصراف

وفى السيارة ، ظلت تيريزا ورياض صامتين كالقبرين وهما متجاوران . وكانت السيارة ــ بأمر تيريزا للسائق ــ منطلقة بأقصى ما يمـكن من السرعة فى الشارع الـكبير وكأنها تنهب الأرض نهبا ، وتلتهم ما على الجانبين التهاما . ولم يتنبه رياض الى نفسه الا حين أشرفت السيارة على قناة الدانوب ، فنظر الى ناحيـة تيريزا ، فاذا هى على حالها كالدمية البديعـة الجمال صامتة جامدة . فاستجمع مع هذا اطراف شجاعته وقال فى صوت مضطرب متلجلج : « تيريزا !.. تيريزا ! » . وعند ندائه الثانى التفتت اليـه ، فمضى يقـول وقد زاد اضطراب صوته وتهدجه : « أود لو قبلت لى رجاء .. » . فأومأت برأسها تستوضح وهى صـامتة جامدة . فاندفع يهمس فى صوت ضعيف ، وقد تلاحقت أنفاسه كالمبهور : « انى أحبك ... فهل ترضيننى زوجا ؟ »

كانت هذه الكلمة مفاجأة غير منتظرة ! فظهر الاضطراب على تيريزا ، وعلى أثره خف ذلك المظهر الصارم ، مظهر الجمود الحجرى . ثم تنازعتها حيرة ، بدأت تعذبها وتستبد بها ..

انها فى حيرة من مدلول هذا العرض !.. فقد كان يتعين حمل هذا الكلام على انه مصارحة غرام ، لو انه جاء فى مناسبة غير مناسبة اليوم . أجل ، من يدريها أن الغرام ، هو الباعث عليه ؟!

وتثور ثائرة الكرامة لنفسها والاعتزاز بفنها ، فتنكر أن يطلب أحد – كائنا من كان – زواجها ، رحمة بها ورثاء لها !

وظلت تيريزا حائرة . ماذا هى فاعلة ؟ ماذا هى قائلة ؟.. وكانت السيارة قد بلغت دارها ، وهى ما برحت واقفة .. وفى لحظة واحدة ، تغلب على تيريزا شعورها الطبيعى السليم ، فرأت أن هذا العرض من الفتى المصرى هو – على الحالين – عرض كريم .. واذا هى تعتمد على يده المتكئة على مقعد السيارة ، وقد تعجلت النزول قبله ، وهى تغمغم شاردة الفكر مرتبكة متأثرة : « سنتحدث فى هذا ، فى فرصة أخرى .. طابت ليلتك ، يا صديقى ! »

٤ – فى انتظار المعجزة !

◆ لم يكن يتصور « رياض » أنه يحب « تيريزا » لهذا القدر ، والى هذا الحد ! .. كيف يمكن أن يبلغ به هواها هذا المبلغ بين عشية وضحاها ؟ هوى خاطف جارف لاعهد له به ! بل هو من القوة بحيث كان يروعه ويدخل الخوف عليه . ولقد أخذه العجب من نفسه أن يكون له – دون علمه – كل هذه الطاقة العاطفية !

وعبثا كان « رياض » يقبل على نفسه يحاورها ويداورها ، ويعرض عليها شتى الذكريات لمن عرفهن واتصل بهن من الغانيات ، لعل فى المعارضة بين هذه العلاقات وبين هذا الحب المفاجىء الذى استبد به وتسلط عليه ، تخفيفا من وطأته ، وكسرا لحدته ، وتهوينا من شأنه ، وتشويها لقداسته . ولكن ، عبثا كانت هذه المحاولات ! .. فقد ظل خيال « تيريزا » لا يفارقه ، كأنه فى كل جارحة من جوارحه . وكذلك صوتها عشية البارحة وهى تودعه ، فقد ظل يتكرر على سمعه طوال الليلة قولها : « طابت ليلتك ، يا صديقى ! » وكانت « يا صديقى » خاصة تتكرر وحدها مرارا فى كل مرة ، مع المزيد فى رقة النبرة وعذوبة النغمة !

ولما كان « رياض » قد امتنع عليه فى تلك الليلة الرقاد وطال به السهاد ، ولم يستغرق فى النوم الا قبيل الصبح ، فقد خرج متأخرا ، بيد أنه لم يلبث فى مكتبه الا ريثما أشعر بوجوده ، ثم انصرف لايلوى على شيء ، ميمما دارها للعيادة ، شأن الصديق ٠٠ ولكن لم يتحقق أمل « رياض » فى مقابلة «تيريزا» ، فقد أبلغه والدها أنها خرجت منذ هنيهة بعد أن نبهت الى أنها ستعود متأخرة ، وقد لا تعود الليلة ٠٠

وقضى « رياض » يومه هذا ومعظم ليله كسيف البال معذب الخاطر ، متحيرا ، جم الوساوس ٠٠ وبعد يومين ، توجه فى الموعد نفسه الى دارها ، فتلقى الاجابة نفسها من والدها ٠وتكرر ذلك أياما متوالية ، حتى بدأ يهجس فى نفسه أن مايسمعه كل يوم من والدها هو من قبيل التماس المعاذير لا غير ، وأن زياراته غير مرغوبة فى حقيقة الامر ! ٠٠ فتخلف أياما ، ثم خانه الصبر فذهب ذات يوم الى دارها مبكرا ، فما كاد يدق جرس بابها حتى كانت أمامه بين مصراعى الباب ، وهى فى زيها وزينتها على أهبة الخروج ٠٠ فارتبك ، ثم كاد لا يصدق عينيه حين تراءت له وكأنما سرها أن تراه ، فقد انفرجت أساريرها ، وهشت له ،وأحسنت لقياه ٠ ثم سألته ان كان فى وقته متسع فيصحبها بقية يومه الى حيث هى ذاهبة ٠ فكان جوابه بطبيعة الحال بالايجاب، وهو يود لو تمتد تلك الصحبة الى بقية عمره !

وفى الطريق ، علم من « تيريزا » أنهما سيستقلان القطار من محطة الغرب الى (سالسبورج) ٠ ولم يكن يخطر لرياض فى وهم أن الرحلة بعيدة الشقة ، تستغرق ست ساعات أو تزيد فى القطار السريع ! ٠٠ ولكن لماذا السفر ؟ ٠٠ هذا هو السؤال الذى كان يخالجه ويلح عليه وهما فى الطريق الى محطة الغرب ٠ فلما تحرك بهما القطار ، أخذ « رياض » يرقب يمنة ويسرة فى شيء من المتعة ٠ ثم طلعت عليهما من اليسار حديقة شاسعة مترامية الاطراف ، أشبه ما تكون بحدائق « فرساى » ، هى حديقة قصر « شونبرون » الامبراطورى ٠ وهنا تكلمت « تيريزا » فذكرت لرفيقها ما حل بهذه الحديقة الغناء أثناء الحرب وفى أيام المجاعة ، فقد زرعوا فيها البطاطس وأصناف البقول والخضر ! ٠٠ ثم انطلق القطار فى سرعة يهبط الأودية ويعبر الجسور ، ويلم بالبحيرات والغابات ، وينساب بين الربى والآكام تعلوها القصور الأثرية فى الكثير من الأحيان ٠

وطالت المدة ، والقطار ينهب المسافات فى جريه الحثيث ، وصوته الرتيب ، فخشيت « تيريزا » أن يتسرب الى نفس « رياض » الفتور والملال ، فأخذت تحدثه ، وجاء فى سياق الحديث ذكر أبيها ، فانساقت فى الكلام عنه ، وما كان من شدة تعلقه بأمها وفرط حبه لها . مع فتورها من ناحيته وقلة مجاوبتها ٠



حديقـــــة قصـــر «شـــونبرون» الامبراطورى

ثم ذكرت له طرفامن نشأتها ، وكيف أخذت عن أمها ميلها للموسيقى والغناء، وما كان لأمها من الأثر البعيد فى تشجيعها على هذه الدراسة والارتياض بها الى الحد الذى يحصر الهمة فيها ويصرف عما عداها .

وبعد سكتة قصيرة ، ذكرت « تيريزا » نكبتها فى أمها التى عاجلتها المنية . وما كان عقب الحرب من ظهور بوادر الكساد فى تجارة والدها الأثرية . ثم أردفت تقول كالحالمة : « ولم تعتم – بعد قليل – أن بزغت نجمة صغيرة أشعت على تلك الغواشى المدلهمة أشعتها الذهبية . وكنت أنا هـذه النجمة ، فقد أصبت النجاح فى أكثر من مسرحية غنائية فى دار الأوبرا ، فانصلحت حالنا المادية وكنت سعيدة بحياتى الفنية . كنت سعيدة .. »

واضمحل صوتها وانقطع ، وكأنما اعتقل لسانها فلم تستأنف القول . وساد صمت مثل صمت القبور .

وبعد تناولهما الغذاء فى القطار ، إقبلت تيريزا على بعض الصحف التى

اشترتها فى محطة (ليتز) الواقعة فى منتصف المسافة ، وبعد قليل رفعت رأسها وأخذت بأسباب الحديث مع « رياض » فيما يتصل بالشئون الداخلية والخارجية فى السياسة النمسوية ، وتناول الحديث ـ فيما تناوله ـ موقف الأحزاب السياسية ، واستطرد الى ذكر ماكان يردده على سمعهما منذأيام طبيب فيينا فى هذا الصدد ٠ وقد انساقت تيريزا فى الحديث عن أفكار الطبيب الى الحديث عن شخصه من قبيل التفسير والتعليل ، فذكرت أن الرجل مخلص فى كراهته للنازية ، ولـكنها كراهة لا تخلو مع ذلك من مبرراتهـا الشخصية ، فالرجل طبيب شهير ناجح ، وقد جمع من صناعته ومن بعض المضاربات المالية ثروة طائلة هو شديد الضن بها والحرص عليها ٠ ومن ثمة كان هـذا الفزع من شبح النازية ! ولما لم يدرك « رياض » وجه العلاقة بين شبح النازية ، وهذه الثروة الخصوصية ، قالت تيريزا مستدركة مافاتها ذكره ، وهو أن الطبيب، وان يكن كاثوليكيا ومنحدرا من والدين كاثوليكيين ، الا أن هناك ـ فيما يقال ـ شبهة اتصال فى شجرة نسبه بعرق يهودى عند الجد الرابع ، وذلك يعرضه فى حكم النازية الى الاضطهاد والمصـادرة ! ٠٠ ثم خلصت تيريزا من ذلك ـ بعد سكتة وجيزة ـ الى القول بأن من كانت هذه حاله من القلق والفزع المستندين الى أساس من الواقع ، لاينتظر منه العكوف بكليته على مقتضيات مهنته من التدقيق فى الفحص وعدم التخلى عن الأمل فى نجاح العلاج ٠ ٠

وهكذا انكشف لرياض ـ فى اشفاقه المستسلم وحزنه المقطوع الرجاء ـ أنه أمام طبيعة تختلف عنه ، فان تيريزا لم تفقد الامل فى الشفاء ومعاودة الغناء ٠ لقد راعته هذه الشجاعة وأعجبته ، وان كانت باعدت بين حلمه بالزواج ٠ انه من صدق حبه لها يؤثر ما فيه رضاها وتحقيق مناها !

وقبل أن يبلغ القطار آخر الرحلة كان رياض قد علم من تيريزا أنها تتردد على طبيب اخصائى فى (سالزبورج) ، وهو وان كان يصطنع العلاج نفســه بالمس بالكهرباء ، الا أنه يجريه فى فترات متقاربات مع الاطالة فى الجلسات ، وما برح حتى أمس الاول كبير الامل يمنى مريضته بعاجل الشفاء ٠

وذهب الاثنان توا من محطة سالزبورج الى عيادة الطبيب ٠ وكان هذا على خلاف طبيب فيينا ، فى عنفوان الفتوة ، ضليع التركيب وثيق البنية ، فى نظرته خيلاء وفى حركته عزيمة ومضاء ٠ وما كادت تيريزا تحييه وتقدم رياضا اليه ، حتى كانت على مقعد الفحص الطبى ، وقد تركز النور فى حلقها ، وأكب الطبيب الشاب على فحص أوتار صوتها ، وبعد لحظة ، كان يســاعد تيريزا على النهوض ٠ ثم قال فى بساطة كلمته ، ولم تفارق العزيمة حركته ، ولا الخيلاء نظرته : « يحتاج الامر الى جراحة صغيرة ٠ موعدنا الغد فى الساعة العاشرة ٠ سيكون كل شىء بعدها على ما يرام » ٠

ولم ينتظر الموافقة من أحد • واكتفى بأن مد اليها يدا ثابتة قوية ، وشد على يدها مشجعا مودعا •

فلما صارا فى الطريق ، نظر رياض اليها ، وقد انتابه التردد ، وعاوده الاشفاق • فلما لم يجد غير الاصرار والعزيمة فى عينيها ، أمسك عن التعقيب ، وسألها عما هى فاعلة الليلة • فقالت أنها حرة التصرف فى قضاء بقية اليوم والسهرة معه اذا شاء ، وبعدها تأوى الى بيت عمتها للمبيت كمألوف عادتها فى زياراتها لسالزبورج •

وكانت المدينة الجميلة الصغيرة التى لا يتجاوز سكانها الاربعين ألفا ، دائبة الحركة ، دائمة الطنين ، كأنها خلية النحل • فهى قد أصبحت العاصمة الصيفية للموسيقى ، لا فى النمسا فحسب ، ولا فى القارة الاوروبية فحسب ، بل فى الكرة الارضية كلها • فقد كان يتقاطر عليها من أجل مواسمها خلق كثير منهم الملوك والامراء وأصحاب الملايين وكواكب السينما والمؤلفون وعشاق الفن وأدعياؤه من سائر الآفاق • وكان يقوم على رأس هذه الحركة الفنية فى تلك الأيام المخرج المسرحى « ماكس رينهارد » • كما كان يتهافت على الاشتراك فى احياء المواسم النخبة الممتازة من الموسيقيين ومشاهير المغنيات والمغنيين ذوى الأجور المرتفعة ، وكانوا يرتضون أجرا دون أجورهم حبا فى هذا الجو الفنى ، وقد تولى قيادة الأوركسترا أكثر من مرة المايسترو الايطالى « توسكانينى » ذو الشهرة العالمية • ولقد ساعد نجاح هذه المواسم المسرحية والموسيقية فى الهواء الطلق فى تخفيف الضائقة التى كان يعانيها ـ وخاصة فى أشهر الصيف ـ الموسيقيون والممثلون ، وكان قد زاد فى عددهم نزوح الكثيرين من أهل الفن من ألمانيا الهتلرية •

نسيت تيريزا نفسها وسط هذه الحركة الموسيقية ، وكان الموسم الموسيقى على الأبواب ، ولم يبق على افتتاحه رسميا غير شهر أو بعض شهر • وقد رغبت تيريزا الى رياض أن يصحبها الى ساحة القبة حيث تجرى فى ذلك الموعد تجربة لبعض المسرحيات أمام الكنيسة الكبرى المشيدة على طراز عصر النهضة الايطالى ، وقد استعاض المخرج عن الستار المسرحى الخلفى بواجهتها المنبسطة العالية من ناصع الرخام • وكانت المسرحية تدور على مأساة قديمة ، مأساة الثرى الفاجر المتلاف

وآثرت تيريزا بعد ذلك أن يكون عشاؤهما من الشطائر على عجل ، حتى ينطلقا دون تأخير الى مشهد مجاور ، الى تلك الساحة القديمة المنحوتة فى الصخر لتكون مشهدا للطعان بين الفرسان منذ ثلاثة قرون ، وقد أصبحت اليوم بتدبير عبقرى فنان ، مسرحا تعرض عليه المعركة بين الانسان والشيطان فى أوبرا « فاوست » خاصة ، حيث يستعان بالتجاويف المنقوبة فى الصخر

على تفخيم ما تجب له روعة الأداء من الأصوات الهاتفة من السماء •

ثم لم تشأ تيريزا أن تأوى الى فراشها قبل أن تستمع الى مناجاة ليلية من « موزار » فى فناء قصر كبير الأساقفة القديم ، حيث امتزجت فى نفسها وحسها أنغام « موزار » المتألقة الفضية وومضات النجوم النورانية تحت جنح هذه الليلة الصافية من ليالى الصيف • وكان « رياض » - على الرغم من هذه الصحبة الحبيبة اليه الأثيرة عنده - قد بلغت روحه التراق ، من شهود كل هذه الحفلات الفنية فى يوم واحد ، فهو مع تذوقه للفن لم يبلغ هذا المبلغ فى حبه ، فضلا عن أنه ليس من أهله •• وفى النهاية نادت « تيريزا » على مركبة من مركبات الخيل التى يجرها جواد فرد ، واستأذنت « رياض » أن تنصرف وحدها الى منزل عمتها ، معتذرة اليه عما كان من أنانيتها فى تكليفه شـهود أكثر من حفلة ، مما قد يضيق به ويشق عليه • فكان جوابه على الفور « انه سـعيد بصحبتها ، وأنه يجد فى هذه الصحبة أحسن العوض » •

وأرادت تيريزا وداعه ، ولكنه أصر على وجوب ملاقاتها فى الغد عند الطبيب، وبقائه بجانبها الى ما بعد اجراء الجراحة لها ، حتى يطمئن على نجاحها وسلامتها•

◆ وفى الغد ، فى السـاعة العاشرة ، كان فى غرفة الانتظار فى عيـادة الطبيب ، رياض ومعه سيدة عجوز هى عمة تيريزا • وكانت تيريزا فى تلك الساعة مخدرة فى غرفة العمليات بين يدى الجراح وهو يجرى جراحته والى جانبه المساعد والممرضة • وكان اليوم مشبوب الحر يكاد يزهق الأنفـاس • ولكن النسيم الحار كان يتسلل الى غرفة الانتظار من نافذة منفرجة الشبابيك ، يحمل شفاعة عطرة من أريج شجر الفتنة الحاد الفاغم ، فيشيع منه فى جو المستشفى شعور بالتفتر وخور الحواس ، يخفف من حدة الجزع وتوتر القلق عند الزوار المنتظرين •

وطال الانتظار بعض الوقت ، فلم تطق عمة تيريزا استمرار الصمت ، فأخذت سبيلها الى الحديث مع رياض ، مبتدئة - بطبيعة الحال - بوصف مقدار حبهـا لابنة أخيها تيريزا ، ثم استطردت الى ذكر الحالة التى صارت اليها النمسا ، وانتقلت من ذلك الى أهل سالزبورج خاصة ، وكيف أصبح معولهم فى المعاش طوال العام على ما يحاولون كسبه قبيل المهرجان وابانه فى شـهر أغسطس من كل عام • وأخيرا خرجت العجوز من العموم الى الخصوص ، فذكرت أنهـا كمعظم العائلات فى سالزبورج تحرم نفسـها من حجرات مسكنها لتؤجرها للوافدين على المهرجان ، حتى يجتمع لها من حصيلة ضيافتهم ما تستعين به على التفريج من الضائقة طوال العام • وهى تضرع الى الله بهذه المناسبة أن يعجل لابنة أخيها بالشفاء ، ثم تعقب بأن احدى حجراتها مشغولة بتيريزا أثنـاء العلاج ، فلعل الله أن يستجيب الدعاء حتى لا تضيع عليها فرصة تأجيرها قبل

انقضاء الموسم ٠

ولما كان رياض فى اعتماده على ثروة أهله لم يخبر الضيق المالى ، فقد امتعض من هذا التفكير المادى ، ولا سيما بين أعضاء الأسرة الواحدة ٠ وقام - وهو لا يتمالك نفسه - الى ادارة العيادة ، فاحتجز فى المستشفى الصغير اللاحق بها حجرة للمريضة حتى آخر شهر أغسطس ، وعجل بدفع أجرها مقدما للمدة كلها ٠

ولما عاد الى غرفة الانتظار ، كانت قد انتهت الجراحة ، فحملت المريضة الى حجرتها بالمستشفى وهى كالنائمة ، قد زادت فتنة على فتنتها ٠ وبعد أن ألقى رياض عليها نظرة مشفقة ، خرج دون أن يلقى التحية على عمتها ٠ وكان قد أزف موعد قيام القطار الذى سيقله الى فيينا ، ولكنه أبى الا أن يرى الطبيب على عجل ، ينشد عنده الطمأنينة ٠ فأقبل الطبيب عليه بقامته المديدة وشعره الأشقر وعيونه الزرقاء الرمادية وطلعته الجرمانية ، وكان - كالعهد به - ممتلئا ثقة وعزيمة ، وقبل أن يتوجه اليه رياض بالسؤال ، قال له وهو يشد على يده :

- لا تدع القطار يفوتك ٠ صدقنى ، صدقنى ٠ صوتها سيعود كما كان وأحسن مما كان !

ولحق رياض قطار الشرق السريع قبل قيامه بدقيقة أو دقيقتين ، وارتمى على المقعد متهالكا من الاعياء ، وقد تنفس الصعداء ٠ وبعد أن أصاب بدنه قسطا من الراحة والاستجمام ، بدأت نفسه حديثها معه ، ومراجعة ما مر له مع تيريزا منذ هنيهة ، وفى الأمس القريب ، وفى الأمس البعيد ٠ وأخذت المخاوف والآمال تتقلب عليه ، فيذهب كل مذهب مع الأحلام ، وتعرض له من هنا ومن هناك الأوهام ٠

وكان « رياض » فى هذه العربة من القطار وحيدا أو كالوحيد ٠ وكيف لا يخلو القطار بعد سالزبورج من الراكبين أو يقل - على الأقل - زحامه ، وهى - لا فيينا - فى هذه الآونة من السنة كعبة الوافدين ؟ وكانت جلبة العجلات فى سيرها السريع تصك سمعه وتصدعه ، الا أنه كان يلطف من شدتها كونها متشابهة متساوية رتيبة ٠ ولم تلبث هذه الجلبة أن تعودها رياض ، فصارت طبيعية ، صارت جزءا من المناظر الطبيعية التى تمر به وتتعاقب متطايرة حوله ، بل جزءا مما يتردد فى صخب وغموض فى حنايا صدره ٠ وكان رياض مهدود القوى من طول السهر بالأمس وشدة القلق فى صدر اليوم ، فأخذ النعاس يغالبه من غير أن يغلبه ٠ ولكنه كان لا يسهو عن نفسه لحظة ، الا انقلبت فى سمعه جلبة العجلات المتقطعة الرتيبة ، الى ما يشبه تلك المقطوعات المشددة الحبيبة ، التى ترددت على لسان الطبيب : « صدقنى ، صدقنى ٠٠ صوتها

سيعود ، كما كان ٠٠ وأحسن ، وأحسن مما كان ٠٠ صوتها سيعود ٠٠ »

وكان رياض يتناوب عليه السرور والابتئاس لهذه الترديدات ، فقد كان يخامره شعور عميق بأن عودة صوتها ، ستردها الى فنها ، وتضعف أمله فى زواجها ٠ ولكنه فى هذه الساعة ، ولم يمض على الجراحة الا القليل ، كان يفكر فى المريضة أكثر مما يفكر فى نفسه ، وكان يؤثر تحقيق أملها على تحقيق أمله !

وظلت هذه الترديدات فى سمعه بقية الطريق ، تعلو على جلبة القطار حينا وتخفت حينا ، كما يطفو ويرسب الغريق فى لجة البحر الصاخب ٠ وهكذا كان رياض يتخبط فى أمله كالغريق ، فهو غير مطمئن كل الطمأنينة الى أن بشارة الطبيب أمر واقع أكيد ، ولكن جلبة العجلات المتقطعة الرتيبة كانت تعاوده ثم تعاوده من جديد ، مرددة على سمعه تلك المقطوعات الحبيبة التى ترددت على لسان الطبيب :

– صدقنى ، صدقنى ٠٠ صوتها سيعود ، كما كان ٠٠ وأحسن ، وأحسن مما كان ٠٠ صوتها سيعود ٠٠

٥ – هزائم وانتصارات ٠٠

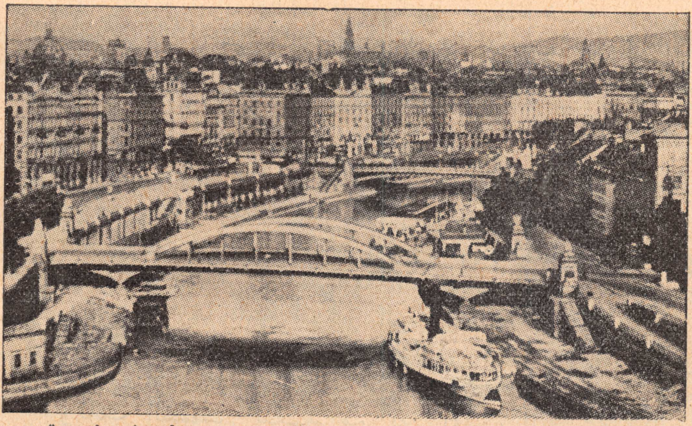
• **كان** رياض جالسا الى مكتبه فى المفوضية ، وفى يده المرتجفة رسالة يقرؤها ، وعينه اليها لا تفارقها . وكان يلتهم سطورها فى عجلة ولهفة حتى أتى على آخرها . ثم عاد – دون أن يرفع رأسه – الى قراءتها ثانية وثالثة ، وكان فى كل مرة أكثر تمهلا ، يتوقف عند كل فقرة ، ويكاد يتمعن فى كل كلمة، كمن يتلمس فيها هنا أو هناك لفظة يمكن تأويلها ، أو تحميلها فوق محمولها ، بما يوافق مناه ويرضى هواه !

انها رسالة من تيريزا حملها البريد من (سالزبورج) مطوية على اصدق الشكر له على ما أظهره من الاهتمام بالجراحة التى أجرتها وما بذله لتوفير الراحة لها فى المستشفى . وكانت الرسالة لا يخرج مضمونها عن ذلك ، وهى مصوغة فى قالب رقيق مهذب مؤدب من مصطلحات الشكر الرسمية

وكانت الشمس تنفذ من بين أفلاق الستائر الرقاق الهفهافة ، وتلقى على المنضدة من أشعتها الذهبية كالباقات

من الأزاهر الصفر . وكان على المنضدة قدح من القهوة الشرقية لازالت تتضوع بقيته بنكهة « الحبهان » الطيبة الذكية . فاستلقى رياض بكرسيه الى الوراء ، بعد أن أخرج العلبة الصغيرة الفضية ، وأشعل سيجارته المصرية ، وجعل ينظر الى ذوائب الدخان الرمادية المتصاعدة ، وقد سرحت معها أفكاره فى حلم من أحلام اليقظة

ودخل الخادم الغرفة مستأذنا يرفع قدح القهوة ، فاعتدل رياض فى كرسيه وقد أفاق من حلمه ، وتناول ورقة من ورق الخطابات الصقيل ، وبعد تأمل طويل أودعها فى عبارة متحفظة كل عطفه ومشاعر قلبه . وختم الرسالة برجاء موافاته بمعلومات مفصلة عن صحتها وعن أخبار الجراحة ونتيجتها . وانفذ الرسالة الى تيريزا فى اليوم نفسه . وبعد أيام جاءت التفاصيل ، وكانت مطمئنة بل مبشرة . فأخذته لها هزة من الفرح ظهرت على أسارير وجهه واشتملته من



رصيف « سان جوزيف » فى فيينا وبجواره باخرتان من البواخر النهرية التى تجذب السياح

فرعه الى قدمه

وعند انصرافه من المكتب ، مال فى طريقه الى مطعم فاخر تناول فيه ما لذ وطاب من الطعام والشراب ، كأنه احتفال بالبشرى . **وكان وحده ، فلم يلبث أن داخله شعور بالوحدة ، ما عتم أن تعدى الحاضر الى المستقبل ، فتحرك فيه وسواسه من فقدان تيريزا وانصرافها عنه للفن . وهنا راجعه كرم طبعه وطيبة قلبه ، فلم يعجبه من نفسه هذه الحال من الأنانية القاسية العاطلة من المروءة والانسانية**

وأخذ رياض يجاهد نفسه ، وخطر له أن يزور والدها ليبلغه البشرى ان كانت لم تبلغه ، وليقضى معه ساعة أو بعض ساعة فى مشاركة وجدانية يتضاعف بها سروره وايناسه فيغلب بهما على همه ووسواسه ، ولكن ... كانت الغلبة للوسواس . فقد آثر رياض أن يزور الطبيب الذى كان يائسا من شفائها زيارة المتحدى . وهذا التحدى طبيعى فى هذه الحالة . بيد أنه كان من ورائه باعث قد يكون خفيا على رياض فى باطن وعيه ، وهو الأمل فى أن يصر الطبيب على يأسه حتى يجد رياض فى ذلك التشكيك بعض الراحة من وسواسه ولو الى حين !

وفى طريقه الي عيادة الطبيب ، اجتاز رياض ميدان دار الأوبرا وهو مطرق لا يرفع رأسه الى هذا المعبد القائم للفن ، كأنه يخشى أن يزيد فى شجونه . ثم اخترق الشوارع حول القصر الامبراطورى ، تلك الكتلة المعمارية الهائلة الجاثمة فى وسط المدينة ، الى أن صار عند البرج الأبيض وهو حد القصر القديم من ناحية ميدان القديس ميشيل . ومن هنا اتجه الى الميدان المعروف بميدان الملعب ، حيث القصر التاريخى الذى انعقد فيه ـ بعد هزيمة نابليون ـ مؤتمر فيينا برياسة الوزير النمسوى الداهية مترنيخ ، وهو اليوم بعد قرن من الزمان قصر الرياسة فى الجمهورية

النمسوية الصغيرة المستحدثة

ولقد استرعى نظر رياض فى الحال ازدحام خلق كثير فى الميدان ، بينهم عدد من الشرطة ، وكثيرون من حزب الفلاحين المنتسب الى الرياسة بقبعاتهم الخضر وسراويلهم من الجلد . وكان عدد هؤلاء يتزايد على طول الطريق حتى دار التمثيل ، مما دعا رجال الشرطة الى مدافعتهم على قدر المستطاع واتخاذ الاجراءات لمنع المرور

وقبل أن يصبح المرور ممتنعا كل الامتناع ، جاهد رياض أن يشق طريقه فى هذه الجموع ، حتى بلغ شارع الجامعة حيث عيادةالطبيب ، وهو من امر الزحام الذى رآه فىعجب. ودق الجرس ، ثم دقه ، ولا جواب . فأمعن فى دقه ، **فاذا صوت متهدج أجوف أعوج ، يفجأه من ثقب الباب : — ((من أنت ؟ ماذا تريد ؟)) . فزاده ذلك عجبا واستغرابا . ولكنه مع ذلك جعل فمه على ثقب الباب وذكر اسمه ، وزاد عليه التعريف بأنه من موظفى السكرتارية بالمفوضية المصرية. وعندها انفتح الباب عن وجه شاحب كالصحيفة البيضاء ، ثم يد ممدودة مرتعدة تجذبه وتغلق الباب خلفه . ولم ينبس الطبيب بكلمة حتىكانت غرفة العيادة موصدة الأبوابعليهما. وعندئذ هتف الطبيب :**

— ماذا جاء بك فى هذه الساعة ؟

فلما فتح رياض فاه ليروى الذى جد فى أمر تيريزا ، لم يدعه الطبيب يتم كلامه ، وصاح مستنكرا :

— اين كنت اليوم ؟ متى تركت المفوضية ؟

— قبل الواحدة بقليل . لماذا ؟

— ألم تسمع اذن اذاعة الراديو . لم تسمعها ، ومن الأكيد ان احدا لميحدثك عنها . لو انها كانتاذاعة اغنية او اوبريت جديدة من طراز الأرملة الطروب ، او لو كانت خبرا عن ممثلة او راقصة ، لكان اكثر من واحد من اهل فيينا قد

حدثك عن الاذاعة الطريفة . بل كان يعيدها عليك اكثر من مرة . هكذا أهل فيينا . لا تعنى السياسة هنا غير محترفيها . هكذا كان اهل فيينا . انهم ابدا هكذا ..

وظهر الفضول فى وجه رياض ، فاردف الطبيب يقول فى انفعال وهو يخافت صوته : « لقد اعلنت الاذاعة أن حكومة دلفوس قد استقالت وسيتولى السلطة الدكتور رينلين . هذا نص الاذاعة . أنه حدث خطير . لا من اجل دلفوس . ان شخص دلفوس لا يعنينى فى شىء . ولكن استيلاء رينلين اليوم على السلطة ، ذلك الثعلب المعروف بزلفاه وحظوته أخيرا عند النازيين ، معناه شىء واحد ، أن الحكم قد صار هنا للنازية . صار الحكم هنا للنازية » !

وكان صوته فى هذه الكلمات الأخيرة كصوت المخنوق . وبعد صمت وجيز ، عاود القول فى لهجة أقرب الى الهدوء : « ولكن هنالك أمر لا أفهمه . لقد أذيع هذا الخبر المقتضب فى الساعةالواحدة مرة واحدة ، ولم يتكرر بعدها ، ثم صمتت الاذاعة صمت القبور حتى هذه الساعة ! »

وقفز الطبيب من كرسيه على دق الجرس الخارجى دقات كالمتفق عليها . وعاد بعد قليل وهو يرجف كالقصبة فى مهب الريح . واستند هنيهة الى الباب بعد ان اوصده ، وحملق فى وجه رياض ، وهمس كأنه فى حشرجة الموت : « قتلوا دلفوس . لقد بدأت النازية حملتها الدموية هنا »

وجمد رياض فى مكانه . وعلى حين فجأة اندفع الطبيب اليه فى حركة هستيرية : « ماذا تنتظر ؟ أنت فى مأمن فى حصانتك الديبلوماسية ، أجل . ولكن ، تيريزا ، تيريزا التى لها بين اهل الفن هنا اصدقاء كثيرون ممن تضطهدهم النازية . أتحسبها تأمن على نفسها ؟! » .. ثم أضاف كالمخاطب نفسه : « من ذا يأمن ؟ » . وقد غلبت على صوته رنة الرثاء . ثم تماسك ، كمن عقد النية على عزم ، وتمتم : « لابد من

عمل شيء »
وأحس رياض أن الرجل يود الانفراد ، فنهض مستأذنا ، فمد الطبيب اليه يده المعروقة وهو يقول : **« لقد أتيتنى اليوم من أجلها ، ولا شك عندى أنك تحبها ، خذها بعيدا من هنا . ان كثيرين غيرها سيفعلون فعلها ، عاجلا قبل فوات الأوان . الغربة مصير حزين ، ولكنها ليست وحدها . بلادك جميلة فيما قرأت ، وعلى حد ما سمعت . عد الى بلادك واصحبها معك . لا تدعها . خذها معك ! »**

وبات رياض تلك الليلة بأنعم حال ، وقد أخذت تعاوده الآمال فى الظفر بمن يحبها ، فى هذه الظروف القاسية التى جعلت الفرصة مؤاتية . ونام تلك الليلة ملء جفونه ، ولم يستيقظ الا والشمس قد ارتفعت وانقضى صدر النهار . فأسرع الى ثيابه يرتديها ، ولم يبلغ المفوضية الا قبيل الظهر

وكان رياض مطمئنا الى الاخبار ، ولكنه تناول مع ذلك ملف القصاصات وترجمتها الذى جرى العمل على اعداده كل يوم للاطلاع على ماجريات الأمور . فاذا الأمور على غير ما كان متوقعا : فقد نجحت المؤامرة النازية فى قتل دلفوس فى مقر عمله ، بعد اعتقال حرسه والموجودين من اعوانه وخدمه . ولكنه كان قد سبق الى فض الاجتماع معزملائه ، فاستولوا على السلطة من بعده ، وكان منهم خلفه على الرياسة فى اليوم نفسه . واستأنفت الحياة سيرتها فى فيينا وفى سائر الجمهورية الديموقراطية النمسوية . وهكذا ضاعت الفرصة على النازية ، وضاعت على رياض آماله الغرامية

ولما غادر رياض مكتبه ، كان على غير الحال التى اقبل بها . كان كاسف الوجه ، مضطرب البال ، مشغول القلب . ومر به أكثر من أسبوع ، لم يتلق اثناءه كلمة من تيريزا ، فأعاد الكتابة اليها ، فلما انقضى أسبوع ثان ، أبرق لها بعزمه

على الحضور الى سالزبورج فى عطلة الاسبوع للاطمئنان عليها .. فجاءته منها برقية انها بخير ، وانها ستكتب له عن موعد عودتها الى فيينا فى القريب

وفى ذات يوم فى أواخر شـهر أغسطس تلقى الرســالة الموعودة ، فاذا هى مرسلة من فيينا نفسها بالبريد العاجل ، وفيها دعوة لدار الأوبرا بتاريخ اليوم نفسه ، ومعها قصاصة اعلان عن الحفلة برز فيه اسم الأوبرا « ترستان وايزولد » واسم مغنية الدور الأول « تيريزا ستيجر » ، ومع الورقتين بطاقة تيريزا وعليها عبارة بخطها الدقيق الأنيق : « سأكون فى انتظارك بمقصورتى بالمسرح بعد الحفلة » . **ولم يصدق رياض عينيه ، وأعاد النظر فى الاعلان وفى البطاقة بين يديه ، وهو بين التصديق والتكذيب ، وكان كيانه يهتز كله للصدمة السارة . ان الأمل الجديد فى شفائها لم يكن غريبا عنه ، الا أنه كان قد ألفه فكرة عالقة ، ولم يتوقعه حقيقة واقعة ، كما انه لم يكن يتوقع أن يتجسم الأمل على هذا النحو من السرعة**

وكان أول خاطر ورد عليه ، بعد أن أفاق لنفسه من صدمة الدهشة وهزة الفرحة ، أن يستقل سيارة تطير به اليها . ولكنه عاد فذكر اشتغالها ولا ريب بالاستعداد وأخذ الأهبة لما هى قادمة عليه الليلة . وعندئذ رأى الأحجى به والأنسب لها العدول عن الذهاب الى الحديث تليفونيا مهنئا ومتمنيا . وأخيرا انتهى الى ارجاء الأمر كله الى الموعد المضروب

* * *

• **كان** الزحام على دار الأوبرا ذلك المساء قد بلغ مداه وانتهى الى منتهاه . فلم تكن تقع العين على مقعد شاغر فى الصالة أو المقاصير . وكانت الشرفة العليا تعانى من كثرة المتفرجين من الأوساط والمعسرين كظة المتخوم . ولم يكن الزحام مقصورا على الجالسين ، بل كان من ورائهم فى المؤخرة

والجوانب من الصالة والشرفات صفوف متراصة من الواقفين. وكان رياض يتلفت هنا وهناك ، الى الغوانى عاريات النحور فى ابهى حلة ، والى السادة وقد استبهمت شخصياتهم فى ثياب السهرة . وفى بعض الصفوف استرعى نظره فريق قد انحسر الشعر عن رؤوسهم ، واسترسلت اللحى الكثيفة على صدورهم ، وهم يكثرون من هز الرؤوس والايماء والتلويح ، ولا يكفون عن المناظرة والكلام . فلم يخطىء رياض معرفتهم ، انهم النقاد الفنيون

وانطفأت الأنوار الا بعضها ، وأخذت تخفت الأصوات ، وكان آخرها أصوات النقاد الفنيين فى الصالة ، ولغط المزدحمين فى الشرفة العليا وقد تراءت زحمتهم فى الظلام كتلة واحدة كأنها الوحش الخرافى هائل الجثة متعدد الرؤوس

وارتفع الستار عن المشهد الأول ، فى ساعة الأصيل ، وقد لاح ــ فى صفرة الشمس الغاربة ــ جانب من مقدمة سفينة عظيمة تمخر البحر ، وعلى الاريكة الممدودة تتكىء غادة هيفاء ، ممشوقة القد ، رائعة الحسن ، مهيبة الطلعة ، وعليها اكليل من شعرها الغزير الذهبى ، استرسلت غدائره على اعطافها . ويسمع صوت فتى من الملاحين ، كأنه آت من فوق صارى السفينة ، يغنى بلحن شجى ، حتى اذا بلغ من غنائه الى قوله : « يا غادة ارلندة المستوحشة الطبع النفور ، الرقيقة القلب العطوف » ، اعتدلت الأميرة الارلندية الراقدة ، وألقت حولها نظرة غاضبة ، وارتفع صوتها فى حدة : « من هذا الذى يجترىء على ؟ » . ثم فى تؤدة متعالية ، توجه القول الى وصيفتها : «براجان ! انت هنا ؟ قولى ، اين بلغت السفينة بنا؟»

وهنا ، وثب قلب رياض فى صدره واشتد خفقه . لقد تعرف فى « ايزولد » على تيريزا وسمع صوتها . واتجه انتباه رياض الى وقع الفناء عند تلك الجموع الحاشدة من السامعين ، فهو يعلم علم اليقين انهم أعرف بالموسيقى ، ولهم بذلك شهرة

فى العالمين . ولم يكن رياض ليغيب عنه ما كانوا عليه عند رفع الستار من التوجس وقلق الانتظار ، ثم ماكان منهم عندما استهلت ((تيريزا)) الغناء بأولى كلماتها فى الحوار ، من استرسالهم فى جلستهم وتنفسهم الصعداء ، لزوال القلق عنهم وشعورهم بالرضى والارتياح

وظلت هذه الجموع من السامعين مقبلة بأسماعها وابصارها وحواسها ، تتتبع كل نغمة ولحن وحركة فى هذه المأساة ، وكانت واسطة العقد فى هذا كله شخصية « ايزولد » الأميرة الارلندية ، أو على الأصح « تيريزا » ، فقد كان رياض لا ينسى لحظة انها تيريزا على رغم مشاهد ووقائع الأوبرا الفاجنرية

وانتهى الفصل الأول بين عاصفة من التصفيق المتصل ، وقد زادت جلبته وحرارته حين خرجت تيريزا وزميلها الفارس العاشق للتحية ، ثم عادت الى الخروج وحدها استجابة لهتاف الألوف من المعجبين . ولم يكن لهؤلاء أجمعين فى فترة الاستراحة ، سواء فى أماكنهم أو فى المقاصف ، من حديث غير تيريزا ، وكيف أنها أبدعت فوق ابداعها المعتاد ، وفاقت نفسها صوتا وحسن اداء وتمثيل

وعلى هذا المنوال ، كان الحال فى الفصل الثانى والثالث . وعند نزول الستار على الختام وسطوع الأنوار ، انسحب رياض بينما كانت الدار كلها تضج بالجلبة العالية من التصفيق والهتاف ترسلها هذه الألوف الحاشدة ، فى حماسة جائشة .. فتجتاح حفرة الأوركسترا الى المسرح كالموجة العاتية المتجددة .. ولم يجد رياض مشقة فى الاستدلال على باب الممثلين واجتيازه ، بفضل بطاقة تيريزا التى معه . وفى صعوده السلم ، جاز بجانب المسرح الفسيح العميق ، وقد اطفئت معظم أنواره ، وبدا شاحبا ، مفقود الروعة مشوش النظام ، وقد تفرق العمال فى ساحته يجرون بعض المناظر الى مخازنها ، على حين ارتفعت المناظر الأخرى الى سماء المسرح ، فظهرت

ارجاؤه فى عريها اكثر عمقا وانفساحا ، وانتشر التراب فى جوه وارضه

ولما بلغ رياض الى مقصورة تيريزا ، كانت قد فرغت فى تلك اللحظة من آخر تحياتها للجمهور ، فاعتذرت له وصيفتها، وطلبت منه الانتظار هنيهة . وقبل أن تمضى تلك الهنيهة ، كان النقاد وافواج المعجبين على الباب يريدون تحيتها ، والوصيفة تستمهلهم متلطفة معهم . ثم جاء مدير الدار ، وكان بدينا ، متقدم السن ، مسترخى اللحية ، قد ضاقت عليه سترته ، وقصرت رقبته ، وارتفعت فوقها بنيقته ، وكان يتصبب عرقا . فأسرعت الوصيفة الى باب المقصورة تفتحه للمدير العام بعد أن اعلنت قدومه . لقد أتى المدير العام يهنئها ويشد على يدها ويقبلها . ومن ورائه تسلل النقاد وسائر المعجبين ، ولم يشأ رياض أن يدخل فى جملتهم

وبعد محاولة فى اثر محاولة من الوصيفة ، انصرفت هذه الجموع . وغابت الوصيفة بعدها فى المقصورة طويلا ، فلما خرجت ، لمحت رياض وكانت قد رأت البطاقة التى معه ، فعادت الى تيريزا تبلغها وتستأذن له . فلما دخل المقصورة انصرفت الوصيفة ، فاذا تيريزا مستلقية على المقعد الطويل الوثير مهدودة القوى متهالكة . **وكانت شاحبة الوجه ، واجمة، مروعة النظرة ، وقد جعلت منديلها الصغير الحريرى الى فمها ، وأومأت بالجلوس الى رياض دون أن تتكلم . وبعد قليل سعلت ، ثم أخذتها نوبة سعال جاف قصيرة هزت كيانها . فأشارت الى منديل آخر على منضدة الزينة . فلما ناولها اياه ، رفعت المنديل عن فمها ، ودسته فى حقيبتها خفية ، ولكن رياض كان قد رأى ما حاولت ان تخفيه : بقعة حمراء طرية من الدم !**

وانذعر رياض ، وجزعت نفسه ، وكاد يجن من الاشفاق . ثم هب على قدميه ، مربد الوجه ، مرتعد المفاصل ، لا يدرى ماذا يفعل من أجلها ! وهم أن ينادى الوصيفة ، وأن يرسل

فى طلب الطبيب . فأومأت اليه ان لا يفعل . وتساندت عليه حتى نهضت ، وسارت متعثرة خطوتين الى منضدة الزينة ، وفتحت درجها الأوسط عن علبـة مستطيلة من المعـدن ، وأخرجت منها حقنة مهيأة . ثم تساندت على رياض ثانية الى حيث المقعد الطويل ، وغرزت الأبرة فى جانب فخذها واستفرغت ما فى الحقنة ، ثم رقدت مكانها ، وقد تناولت يد رياض بين يديها ، وظلت ساكنة ، مسبلة العينين كالنائمة

واستبدت الظنون برياض ، وذهبت به كل مذهب . وقام بوهمه أن تكون تيريزا قد عمدت الى قتل نفسها . فانخلع قلبه ، واحس برأسه يدار به ، وجمد الدم فى عروقه وكاد ان يصعق

وأحست تيريزا بأن يد الرجل التى أطالت حبسها ـ من حيث لا تعى ـ بين يديها ، ترتعد ويشتد ارتعادها ، وقد جمد الدم فى عروقها وبردت اطرافها . فانتبهت ، وادارت رأسها دفعة ، ورفعت الى رياض عينيها . فلم يملك رياض حين لاقت عيناه عينيها ، أن أفاق الى نفسه ، وتيقظ الى الحيوية فى نظرتها وحركتها ، وأحس الحرارة التى تتقد فى يديها ، فأدرك على الفور بطلان ما توهمه ، وغلبه الشعور المفاجىء بالأمل بعد اليأس ، فاذا به يجهش بالبكاء ، وقد فاضت مسارب عينيه ، وتحدرت دموع الفرح على خديه

واعتدلت تيريزا فى المقعد الطويل ، وقد انقطع نزيف حنجرتها وزال خطره ، بفضل هذه الحقنة التى اوصى بها الطبيب . . وتلفتت المغنية الشهيرة حولها ، الى صورها المعلقة على جدران المقصورة ، تمثلها فى حلل التمثيل المزركشة فى أدوارها الكثيرة ، وعلى الأخص فى دور « ايزولد » . ثم تطلعت الى رياض مليا ، وقالت فى صوت خفيض ، ولكنه صارم رهيب كأنه حكم القدر :

« انى بلغت الليلة غاية ما تتمناه مغنية فى هذه الدار ، وهذه خير فرصة لفراقها ، لأن فراقى لها اليوم سيكون فى وهم

الناس محض اختيار . فاذا كنت لا تزال عند طلبك الزواج منى ، فلنترك صباح الغد هذه الديار ، الى مصر ، بلادك الجميلة »



تاراس بولبا

للروائى الروسى الأشهر : جوجول



تلخيص : كليم أبو سيف

هذه القصة .. حافلة بالبطولات والمآسى !

◆ اتجه الكتاب الروس ، فى الحقبة التى اشتد فيها فساد العهد القيصرى ، الى التغنى بالبطولة ، لاستثارة الهمم وشحذ الحوافز . وبينما اتجه بعضهم الى القصص الرمزية تهربا من الواقعية ، نجد كتابا مثل « جوركى » قد مزجوا - فى قصصهم البطولية - الواقع بالخيال ، كما يرى القارىء من النماذج التى قدمتها « مطبوعات كتابى » فى عددها « رجال ونساء » . على أن ثمة كتابا آخرين لجأوا الى التاريخ ينقبون خلاله عن مناسبات البطولة ليستمدوا منها الوحى .. ومن هؤلاء « جوجول » ، الذى استهوته روح الحرب والصراع لدى « القوازق » - وهم أشهر عنصر أنجب الفرسان البواسل فى التاريخ كله - فأبدع تصويرها فى القصة التى يلخصها « كتابى » فيما يلى ، والتى تعتبر من أمجد ما كتب ..

◆ « **والآن** ، استدر يابنى ! يا الهى ، كم تبدو مضحكا ! لماذا تلبس ثياب الكاهن هذه ، بحق الشيطان ؟ »

بهذه الكلمات استقبل « بولبا » الشيخ ولديه - الطالبين بكلية اللاهوت فى (كييف) بمجرد عودتهما الى بيت ابيهما بعد غياب طويل .. وكانا فتيين مفتولى السواعد ، يتحسسان طريقهما الى الحياة فى حذر ، كما يفعل امثالهما من سائر طلاب الأديرة .. فلا عجب فى أن يستشعرا شيئا من الضيق من جراء هذا الاستقبال الذى تلقاهما به أبوهما ! ومع ذلك فان الوالد لم يكف عن السخرية ، حتى بدأ الابن الأكبر يثور ، فصاح : « كفى سخرية يا أبى الصغير ! » .. وكان جواب الشيخ : « ها قد بدأ الغرور يداخلك .. لماذا تريدنى على ان اكف عن السخرية ؟ » .. **فأجابه الفتى : « لأننى لن أتوانى عن ايذائك اذا أوغلت فى سخريتك ، رغم انك أبى ! »**

ولكن الأب لم يكف ، والابن لم يحتمل .. فلم تمض هنيهة

حتى كان الاثنان مشتبكين فى صراع عنيف ، ولما ينقض على لقائهما وقت يذكر !.. ووقفت الأم العجوز المسكينة عند باب الحجـرة ترقبهما وهى ولهى ، ذاهلة ، تردد فى اضـطراب : « لقد فقد الشيخ عقله ! ان ولدى يعودان الى المنزل بعد غياب طال عاما كاملا ، فلا يجد أبوهما وسيلة للاحتفاء بهما خيرا من هذا الصراع المقيت ! » .. وهنا توقف بولبا عن العراك ، وقال وهو يسوى من ثيابه : **« اقسم انه مصـارع عظيم ! لسوف يكون جنديا باسلا يرفع من قدر القوزاق ! »**

وسرعان ما كان الأب والابن متعانقين ، وقد راح الأب يقول : « مرحى أيها الصنديد ! اصطرع مع الآخرين بمثل هـذه القوة ولا تحن هامتك لأحد ! » .. ثم تحـول مخاطبا ابنه الأصغر : « وانت ايها الأبله ! » . فصاحت الأم ــ التى كانت تقبل الصغير فى حنان : « هلا كففت عن هذا العبث القبيح ؟ » . ولكن بولبا ظل سادرا فى سخريته : « انك ابن مدلل .. ابن أمك ! » . ثم تأمل ولديه وقال : « خير ما أصنعه بكما هو أن أرسلكما الى معسكر «الستش» فى الاسبوع القادم ، فهناك العلم الصحيح ! » .. فانهمرت الدموع من عينى الأم ، وهتفت فى جزع : « اذن فهما لن يبقيا معنا غير أسبوع ؟ » .. ولكن الأب صاح : « كفى أيتها العجوز ! ان الرجل القوزاقى لا يقضى وقته مع النساء ! »

* * *

◆ **وأقام** بولبا مأدبة لجيرانه وزملائه القـدامى فى جيش القوزاق ، احتفالا بعودة ولديه .. وفى غمرة المرح ، اعلن انه قد اعتزم ارسال الولدين الى « الستش » (وهو اكبر معسكر لتدريب الجنود القوزاق ، فى مقاطعة زابورجيا) .. ورفع الشيخ كأسـه مترعة بالفودكا ، قائلا : « فى صحتك يا ولدى أوستاب ، وفى صحتك يا ولدى اندريه .. اذهبا

واسحقا الأتراك والتتار ، فاذا أبى البولنديون الملاعين الا ان يشتركوا فى القتال ، فلا تتوانيا عن سحقهم هم الآخرون! » .. ثم اشتدت به سورة الحماس والشراب ، فصاح : « **أقسم بشرفى ان أسافر معكما ، فماذا عساى صانعا هنا بحق الشيطان ؟.. اننى رجل من القوزاق ، وليس فيما أمارس هنا من أعمال ما يليق برجل قوزاقى ! »**

ولعبت الخمر برأس الشيخ فراح يحطم الكؤوس والزجاجات ، والزوجة تتأمله فى أسى دون ان تجرؤ على النطق بكلمة واحدة .. فقد كان عناد تاراس بولبا لا يقاوم ، اذ كان ينتمى الى ذلك الطراز من الناس الذين تميز بهم القرن الخامس عشر .. تلك الحقبة التى اجتاح فيها المغول روسيا الشمالية فأعملوا فيها السلب والقتل والتخريب بفظاعة حملت الكثيرين على النزوح عن أراضيهم ، ولم يبق سوى كل من اوتى شجاعة تفوق الخيال .. **وكذلك كان تاراس بولبا !**

ولقد وحد الخطر ابناء القوزاق ، وجمعهم وألف بينهم الحقد على الغزاة والكفاح الدائب المضطرم .. فقد اعتبر القوم أنفسهم جنودا فى حرب مستمرة مع عدو جبار ، فكانوا دائما على استعداد ، ما أن يهيب بهم الداعى حتى ينطلقوا على صهوات جيادهم ، وسيوفهم مشهرة فى ايديهم ، ليقاتلوا المغول والتتار !.. وهكذا كان بولبا يرى فى رحيله مع ولديه الى معسكر « الستش » للتدريب ، واجبا قوميا .. فانهمك يعد العدة لرحلته الطويلة ، ويختار مرافقيه ، وقد تبدد أثر الشراب من رأسه !

وما لبث الجميع ان استسلموا للنوم ، الا انسان واحد ، ظل مسهدا .. **تلك هى الأم التعسة التى تسللت الى حيث رقد ولداها ، وراحت تتفرس فى وجهيهما ، وتتحسس رأسيهما ، وتبكى بدمع سخين** . ولم يكن فى الدنيا امرأة تستحق ما كانت هذه الأم جديرة به من رثاء ، اذ انها لم

ترتشف من السعادة سوى قطرات قلائل باعد الزمن بين كل قطرة منها والأخرى .. فقد كان تاراس بولبا ـ حين تزوجته ـ شريدا ، لايكاد يستقر به المقام فى منزل الزوجية حتى يهجره من جديد الى ميادين القتال ، او الى المشارب والحانات .. وكان فى اويقات وجوده الى جوارها يوسعها تعذيبا واساءة ، حتى ذبلت قبل الأوان ، وشاخت فى فترة الشباب ، وتركز كل وجودها وحياتها فى ولديها .. فى الولدين اللذين سينتزعان من أحضانها بعد لحظات ويغيبان عنها الى مصير مجهول !

وقبل أن يشبع بصرها من التزود من وجهى ابنيها ، استيقظ تاراس بولبا فجأة ، وقد تبدد عنه كل أثر للخمر ، فأيقظ ولديه وأتباعه ، تأهبا للرحيل .. وانعقد لسان الأم بينما كانت دموعها تنساب فى صمت وهى تملى عينيها بمنظر ابنيها ، فقال بولبا : « باركى ولديك أيتها الأم ، وصلى لله كى يمنحهما الشجاعة حتى آخر لحظة من حياتيهما .. تقدما من أمكما يا ولدى ، فان صلاة الأم وقاء للاولاد على الأرض وفى السماء ! »

★ ★ ★

• **وباركت** الأم ولديها وضمتهما الى صدرها ، ثم أحاطت عنقيهما بأيقونتين صغيرتين .. وما ان رأتهما يمتطيان جواديهما ، اقتداء بأبيهما ، حتى امسكت بركاب جواد ابنها الأصغر ، وهى تبكى فى نشيج يفتت القلوب . ولكن الركب لم يلبث أن انطلق . وراح الولدان يودعان ملاعب طفولتهما وهما يمران بها !.. فلنتركهما لخواطرهما ريثما نوجز اخص ماكانا يمتازان به :

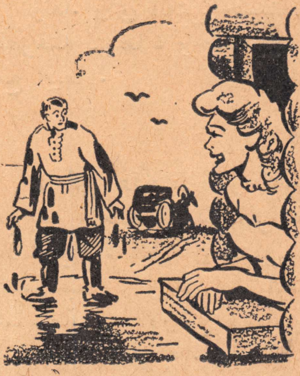
كان تاراس بولبا قد حرص على ان يرسل كلا من ابنيه ـ اوستاب واندريه ـ الى اكاديمية (كييف) بمجرد بلوغه

الثانية عشرة ، جريا على عادة نبلاء ذلك العصر .. وكان الولدان غاية فى البداوة والخشونة ، اذ أنهما تربيا تربية حرة لا أثر فيها للزجر والتهذيب ! .. وكان اوستاب دائم الهرب من المدرسة — فى عامه الأول بها — فكان يرد اليها فى كل مرة ويجلد فى غير رحمة . وأخذ يتعمد اضاعة كتبه ، حتى ضاق به أبوه ذرعا ، فأقسم ليسجننه عشرين عاما فى أحد الأديرة ، ولا يدعه يرى مسقط رأسه فى (اوكرانيا) طوال حياته ، اذا هو لم ينجح فى الامتحان .. وكان الولد يدرك قيمة وعيد أبيه ، فنشط فى الدرس ، واستطاع ان يبز أقرانه فى النجاح !

ومع ما اتسم به الفتى من غلظة وفظاظة كانا طابع طلاب العلم اذ ذاك ، الا انه امتاز عن زملائه بنبل اخلاق وقوة عزم ورجولة مستكملة مبكرة .. فضلا عن انه كان صريحا ، طيبا ، حديدى الارادة ، صعب المراس فى النزال

أما أخوه الأصغر « اندريه » فكان يختلف عنه اختلافا كبيرا .. كان أرهف منه احساسا ، وأعمق عاطفة .. وكان يقبل على دروسه فى شغف ونشاط .. وقد أوتى ذهنا مبدعا ، ماكرا فى ابتكار الحيل وحبك الأحابيل . لذلك فانه كثيرا ما كان ينجو من العقوبة بفضل الاعذار التى كان ينتحلها ، على خلاف « اوستاب » الذى كان يمتثل للعقاب — اذا اخطأ — دون ان يلجأ الى حيلة تنجيه !.. وكان ابرز ما امتاز به اندريه عن أخيه ، هو انه اوتى عواطف متأججة نزاعة الى الهوى .. وطالما تخيل مثله الأعلى فى فتاة فاتنة ممشوقة القوام ، يبادلها الغرام !

ولقد حدث ان هرب « اندريه » يوما من المدرسة ، وفيما كان سائرا ، اوشكت عربة احد النبلاء أن تدوسه ، فثار الحوذى ، وألهب ظهر الفتى بسوطه . واذ ذاك غلا الدم فى عروق الفتى ، فأمسك بعجلة العربة ليعوقها عن السير . فما كان من الحوذى الا ان ساط الجياد فمرقت العربة



كالاعصار ، وأوشك اندريه ان يضيع لولا ان افلت العجلة فهوى على وجهه فى الوحل .

وقبل ان يتمالك نفسه ، اذا بضحكة عذبة ترن فى ارجاء الفضاء . وتطلع اندريه ، فأبصر فى نافذة احد القصور فتاة رائعة الجمال ، تكاد لا تتمالك نفسها لفرط الضحك ، مما كان يزيدها فتنة ودلالا !

وبعد لأى ، استطاع إندريه ان يعرف ان الفتاة كانت ابنة حاكم مقاطعة (كوفنو) البولندية ، وانها قدمت مع ابيها لقضاء أيام فى (كييف) ، فلم يحجم فى الليلة التالية عن أن يتسلل فى جنح الظلام ، فيتسلق احدى الأشجار ، ويخاطر بحياته لينفذ الى حجرة البولندية الحسناء .. وعقل الذعر لسان الفتاة ، فراحت تتفرس فيه وهى صامتة .. وكأنما أفاق الفتى من تهوره ، فأطرق الى الأرض حياء ، وجمد بلا حراك . ثم تبينت الفتاة انه لم يكن سوى فتى الأمس الذى تلطخ وجهه بالوحل ، فعاودتها الضحكة الموسيقية من جديد .. ولكنها استغرقت فيها ـ فى هذه المرة ـ فى خلاعة ومجون بالغين ، جعلا اندريه يزداد ارتباكا .. وفى غمرة الارتباك والخجل ، راحت الفتاة تداعبه بما عرف عن البولنديات من خفة ونزق وعدم مبالاة !.. وفجأة ، ارتجفت ذعرا اذ دوت على الباب طرقات ، فبادرت تخفى الفتى تحت السرير ، حتى اذا اطمأنت الى ابتعاد الخطر ، اوفدته مع جارية لها ـ من اسيرات التتار ـ لترشده الى سياج الحديقة .. ولكن الحرس فطنوا الى اندريه فتجمعوا عليه وأوسعوه

ضربا !

ولقد رأى الفتى حسناءه البولندية مرة أخرى مصادفة ، فعرفته لتوها ، وحيته بابتسامة حلوة .. ثم غادرت (كييف) مع أبيها !

★ ★ ★

• **كل** هذه الأفكار كانت تراود ذهن اندريه وهو منطلق معابيه وأخيه وسائر المرافقين ، فى تلك الرحلة التى استغرقت ثلاثة ايام ، قبل أن تنتهى بهم الى « الستش » ، أو معسكر التدريب .. وكان هذا المعسكر عبارة عن اقليم ، او منطقة شاسعة من الأرض ، يأوى اليها القوزاق فى زمن السلم ، استعدادا للحرب !.. فكانت تضم أفواجا من القوزاق تباينت مشاربهم ، واختلفت ظروفهم .. ولم يكن يربطهم سوى الرغبة المشتركة فى الكفاح ضد الأتراك والتتار . وكان أهلها فريقين : اما متسكعون يقضون الوقت فى الحانات والصخب ، واما عاملون يمارس الواحد منهم حرفة اويفتح متجرا ليغالب الملل ، وليتكسب دريهمات ينفقها على الشراب .. فكأنما كان الاقليم بأسره مهرجانا حافلا بالصخب والصياح والغناء والرقص والشجار !.. وكان المرء اذا مانزل به ، قطع كل صلاته بمسقط رأسه وأسرته وماضيه ، ليعيش فى مجتمع خلا من كل القيود والقوانين .. مجتمع كان كل ما يلزم المرء – كى ينضم اليه – ان يجتاز امتحانا بسيطا امام حاكم الاقليم المنتخب : « **هل تؤمن بالسيد المسيح ؟** » .. « أجل » .. « **وهل تذهب الى الكنيسة ؟** » .. « أجل » .. « **اذن أرنا كيف ترسم علامة الصليب** » .. فاذا رسمها صحيحة ، قال الحاكم : « حسنا ، اذهب فأقم فى المكان الذى يحلو لك ! » . وهكذا كان من اعجب المتناقضات ان تلك المجموعة الضخمة من الناس – الممعنة في الشراب والشغب – كانت متمسكة

بالدين المسيحى ، وبالمذهب الأرثوذكسى بوجه خاص .. فكان حتما على المقيمين فى « الستش » ان يجتمعوا كلهم للصلاة . **كانت الصلاة والعقيدة المسيحية والمذهب الأرثوذكسى أمورا – فى حياتهم – يتشبثون بها الى حد التفانى ، ويفصلون بينها وبين مادرج عليه القوزاق من تشرد وعربدة وفوضى !**

وانفرد اليهود فى تلك الجمهورية الصاخبة بالتجارة وحب الكسب ، فكانوا هم أصحاب الحوانيت التى تبيع كل مايحتاج اليه السكان ..

هذا هو « الستش » الذى كان له فى نفوس شباب القوزاق تأثير يفوق السحر . وسرعان ماغاص اوستاب واندريه فى خضمه ، فتأقلما بجوه ، ونسيا كل ماعداه ، حتى .. أمهما ! ولم يمض وقت طويل حتى لفتا اليهما الأنظار بما كان لهما من بسالة وجرأة نادرتين . ولكن تلك الحياة الصاخبة غير المجدية لم ترق فى عينى تاراس بولبا ، فهو لم يترك بيته ومزارعه ويأت بولديه ليتحولا الى سكيرين خاملين . **لذلك ذهب يوما الى الحاكم واقترح عليه حث القوزاق على التخلى عن خمولهم ، والتأهب لمحاربة الأتراك والتتار ، ولكن الرئيس رفض قائلا انهم اقسموا لسلطان الأتراك ان لايشنوا عليه حربا !..**
وأثار هذا الموقف بولبا ، فاتفق مع اصدقائه على خلع ذلك الرئيس ، وبثوا ضده من التحريض ما انقلب الى ثورة .. واختير فى مكانه رئيس جديد من اصدقاء بولبا الحميمين .. كل ذلك لأن بولبا شق عليه ان لايستمتع ولداه بنزهة يشهدان فيها حربا تطيح بالآف الرؤوس ، وقد تطيح برأسيهما هما أولا !

* * *

• **وفى** صبيحة اليوم التالى ، تشاور بولبا مع الرئيس الجديد ، فقال هذا : « اننا لانملك ان نحنث بيميننا للسلطان ،

فعلينا ان نخترع سببا يبرر هذا الحنث ! » .. واتفقا على ان يجمعا القوم ، وان يذكيا حماسهم بأسلوب لايكشف عن تحريض سافر . وما ان عقد هذا الاجتماع ، حتى نهض الرئيس وأخذ يرثى للقوزاق الذين انساقوا الى الاقتراض من اليهود ، حتى غرقوا فى الديون .. واردف قائلا : « ثم ان كثيرا منكم لم يزل من السذاجة بحيث انه لايعرف شيئا عن الحرب .. وانكم لتعلمون أن من المستحيل على الرجل القوزاقى أن يقضى شبابه دون ان يصطلى نيران الحرب .. ولكن لايذهبن بكم الظن الى اننى أحرضكم على خرق السلام ، وانما .. هو مجرد حديث !.. كذلك يتضرج وجهى خجلا عندما أضطر الى ان أذكركم بأن لدينا كنيسة مقدسة ، ولكنها لاتزال خالية من الزخرف .. **وأكرر لكم اننى لا أحرضكم على قتال الأتراك ، فقد أقسمنا للسلطان يمين الولاء ، ولكننى بذكائى المتواضع أقترح ان يبحر الشباب منكم فى قوارب لكى « يطهروا » الأناضول بعض الشىء ! »**

وكان حديث القتال والدين خليقا بأن يلقى هوى لدى القوزاق لاسيما وان معظمهم كانوا سكارى ، فسرعان ما استخفهم الحماس ، واضطر الرئيس الى « الانصياع لرغبة الشعب » ! ودبت الحركة والحياة فى كل مكان ، وقد انصرف الجميع الى التأهب للجهاد . وفيما هم كذلك ، اقبل قارب يحمل عددا من القوزاق فى حالة يرثى لها ، وراحوا يشكون من أن اليهود استولوا على كنائس القوزاق ضمانا للديون التى لم يسددها القوزاق بعد .. وراحوا ينعون على الكنيسة الأرثوذكسية تداعيها ، بينما كانت الكنيسة الكاثوليكية ـ التى تنتمى اليها بولندا غريمة القوزاق ـ تثرى وتتألق !

وكأنما كان حديث الرجل وقودا جديدا أضيف الى النار التى أججها تاراس بولبا والرئيس الجديد .. **واندفع القوم**

كالوحوش الضـارية يطاردون اليهود المقيمين بينهم ، فمن هؤلاء من اختبأ فى براميل « الفودكا » الفـارغة ، ومنهم من استتر بثياب النساء ! .. ولكن هذا أو ذاك لم ينقذهم من القوزاق الذين راحوا يذبحونهم ويلقون بهم فى نهر (الدنيبر) .. وفى غمرة المجزرة ، تعلق يهودى يدعى « أبانكل » بقدمى تاراس بولبا هاتفا : « انقذنى بربك ! لقد عرفت اخاك رحمة الله عليه ، ومنحته يوما ثمانمائة دينار ليدفعها للاتراك كى يطلقوا سراحه من الأسر ! » .. وشعر بولبا بأن للرجل دينا فى عنقه ، فقاده الى عربته الخاصة ، ثم أمر بعض رفاقه بحراسته !

وتحولت حماسة القوزاق عن الأتراك الى البولنديين ، فان تفوق الكنيسة الكاثوليكية على الكنيسة الأرثوذكسية فى الغنى بدا فى نظر المهتاجين دليل اتهام ضد البولنديين ! وسرعان ما انتظمت صفوفهم ، وشرعوا فى زحفهم . **وتذكر بولبا فى تلك الأثناء اليهودى الذى أنقذه ، وشدما كانت دهشته حين تبين انه قد تسلل من العربة ، وراح يتنقل بين الجنود يبيعهم بعض السلع التى تحايل على تهريبها قبل الرحيل ، غيرحافل بما كان يتعرض له من خطر !** .. وبهت بولبا لما فطر عليـه اليهود من جشع لا تقف فى سبيله قيود ولا سدود !

* * *

• **استولى** الهلع على سكان المنطقة الشمالية الغربية من بولندا ، عندما انتشرت انباء الزحف القوزاقى .. وكانت جحافل القوزاق المتوحشين تزحف ليلا وتتربص نهـارا ، وتفاجىء من المناطق مالم يكن ظهورهم فيها متوقعا . وكان أشجع الشبان فى نظر القوزاق هم اكثرهم وحشية ! ولكم اغتبط بولبا حين رأى ولديه يبرعان فى فنون الفروسـية

والقتال ، حتى طار صيتهما بين القوم .. **وبينما امتاز اوستاب بقدرته الفذة على ضبط أعصابه فى مواطن الخطر ، كان اندريه نزقا لايحجم عن خوض المهالك لاتفه الأسباب ، غير مكترث للعواقب !**

ووجدت الجحافل الزاحفة مقاومة عنيفة من مدينة (دوبونو) البولندية ذات الأسوار المنيعة ، فاكتفى القوزاق بأن فرضوا عليها حصارا شديدا

وفى ذات ليلة ، انطلق اندريه يجوس خلال المعسكرات النائمة وهو يعانى قلقا مبهما وانقباضا قاتلا لم يدرك لهما مبررا .. واستعرض ماكان قومه يرتكبون من فظائع وأهوال ، فلم يزده ذلك الا أسى وضيقا .. وانتهى به التجوال الى عربة فى طرف قصى ، استلقى فوقها ، ولكن النوم أبى ان يكحل عينيه .. وفيما هو مسهد ، أبصر شبحا يدنو منه ، حتى صار الى جواره ، وانحنى يتفرس فى وجهه . وتبين اندريه أن للشبح وجها فى شحوب الموتى ، وشعرا أشعث كثيفا ، تهدل على كتفيه ، فقفز الشاب مستويا على قدميه ، ممسكا بندقية . ولكن الشبح وضع اصبعه على شفتيه يحذره من الكلام .. وتبين الشاب أنه أمام امرأة ! .. ولم تكن هذه المرأة سوى الجارية التى كانت فى خدمة البولندية الحسناء التى فتنته فى (كييف) !.. وعلم منها ان الفتاة فى المدينة المحاصرة - اذ كان ابوها قد عين حاكما لها - وانها لم تذق طعاما منذ يومين بعد ان نفدت مؤونة القوم حتى اضطروا الى ان يأكلوا الطين !.. واستطردت الخادم : « **لقد رأتك الآنسة من أعلى الأسوار ، وسط جحافل القوزاق الزاحفة ، فعرفتك لتوها ، وقالت لى : اذهبى الى ذلك الفارس وسليه ان يأتى الى هنا ان كان يذكرنى . فاذا أبى فليعطك كسرة خبز لأم عجوز لا أطيق ان أراها تموت جوعا .. قبلى قدميه .. ان له اما عجوزا هو الآخر !** »

وخيل للشاب ان بركانا من المشاعر المضطرمة قد تفجر بين جنبيه . ومالبث أن عرف ان الخادم تسللت اليه خلال سرداب فى جوف الأرض ، فأسرع الى العربات المحملة بالمؤن ، وقد استيقظ الماضى فى أعماقه ، وتمثلت له الفتاة الساحرة التى ذهب جمالها بعقله !.. وتذكر ان لدى أخيه اوستاب كيسا مليئا بالخبز الأبيض ، فتسلل وسرقه ، ثم حمله ومضى مع المرأة خلال السراديب الحالكة الظلمة !

* * *

• **كان** الاعياء قد بلغ بالخادم اقصاه ـ لضعفها وهزالها ـ عندما بلغت بأندريه نهاية السرداب ، فسارا فى طريق تناثرت فيها جثث الموتى الذين فتك بهم الجوع .. وصادفهما رجل مجنون انقض على القوزاقى وهو يصيح : «خبز !» ، فمست الشفقة قلب الشاب ، وألقى اليه بقطعة من الخبز ، واذا الرجل ينقض عليها كالمسعور ! وما ان انشب أسنانه فيها ، حتى ندت عنه حشرجة اسلم بعدها الروح !.. **وبهت اندريه للمناظر التى وقعت عليها عيناه .. يا للهول ! كيف تهدر الآدمية على هذا النحو الوحشى البشع ؟ .. وقالت له الخادم ان الجوع لم يرحم أحدا ، حتى الحيوان !.. وان المدينة كانت توشك ان تستسلم لولا أن تلقت نبأ بأن النجدة فى طريقها اليها !**

وبلغ الشاب والخادم دارا ذات طابقين ، فتقدمت الأخيرة وراحت تجتاز بهوا بعد بهو ، وحجرة بعد حجرة ، واندريه يتبعها .. ثم دفعت به الى غرفة ما ان دخلها ، حتى اغلق بابها خلفه !.. وفى الطرف الأقصى للحجرة ، لمح اندريه امرأة لاتكاد تقوى على الحراك لفرط انفعالها .. وتبادلا النظرات ، فخفق قلب الشاب اذ رأى ان فاتنته لم تعد تلك العابثة

اللعوب التى التقى بها فى مخدعها بمدينة (كييف) ، وانما انضجها البؤس ، فأشاع فى أنوثتها هدوءا وحنانا ! ومالبثت الفتاة ان قطعت حبل الصمت الواجم قائلة : « الله وحده هو الذى يستطيع ان يكافئك ! » .. وانعقد لسان اندريه ، ولكنه لم يلبث أن غالب ضعفه وارتباكه وهتف : « مرينى بما تشائين يا مليكتى ! سلينى ان أصنع المستحيل وستجديننى أفعله ولو دفعت حياتى فى سبيل ذلك ! » .. وودت الفتاة ان تبادله عواطفه ، لولا ان تذكرت ان مصيرا آخر مقدورا عليه ، لا مهرب له منه ، اذ كانت عشيرته وراءه تتحفز للانتقام من قومها ، فليس له الخروج على طاعة القوزاق ..

واجهشت الفتاة بالبكاء عندما تذكرت كل ذلك ، ثم هتفت : « ألا ترانى أجدر مخلوقات الله بالرثاء ! أيها القدر القاسى ، انك جلادى الذى لايرحم !.. لقد تهالك أمراء ونبلاء من وطنى يخطبون ودى ، ولكنك أيها القدر اوصدت قلبى دونهم ، واردت لى ان أحب شخصا غريبا عنى وعن قومى .. شئت لى ان أحب عدوا وأنا على أبواب الموت !» .. وخفق قلب اندريه لوعة ، ثم هتف : **« كيف يكتب على أجمل امرأة فى العالم ان تلقى هذا المصير المفجع ؟.. أقسم بشرفى انك لن تموتى ، واذا فشلت القوة والصلاة فى تجنيبك المصير المشئوم ، فسنموت معا ، وسأغمض عينى قبلك ، وأنا جاث عند قدميك ! »**

وحاولت الفتاة أن تذكره بوطنه وقومه ، ولكنه صاح : «بل انت وطنى ، فويل لأى قوزاقى يجرؤ على انتزاعه منى ! » .. وانفجرت الفتاة باكية ، وهى ترتمى فى احضانه .. وتاه لب الشاب ، فلم يفطن الى الهتافات الصاخبة التى تصاعدت من الطريق ، وضجيج الطبول ، حتى اندفعت الخادم الى الحجرة صائحة : « لقد نجونا !.. لقد وصل جنودنا الى المدينة ومعهم

المؤن وأسرى مكبلون من القوزاق ! » .. ولكن الفتى والفتاة لم يصغيا اليها ، بل ظلا متعانقين ، وقد امتزجت روحاهما .. وهكذا قدر على فارس القوزاق ان يفصم جميع العرى التى كانت تربطه بعشيرته !

* * *

• **لم** يستطع أحد من القوزاق ان يعرف كيف تمكنت النجدات من ان تنفذ الى المدينة المحاصرة .. كل ماعرف هو ان الفرقة القوزاقية التى كانت مرابطة أمام الأبواب الرئيسية للمدينة نسيت ظروفها ، فأسرف أفرادها فى احتساء الخمر ، وبذلك مكنوا الأعداء من رؤوسهم !.. ولم يشأ قائد القوزاق ان يضيع الوقت فى اللوم ، بل راح ينظم قواته لخوض معركة انتقامية رهيبة ، تغسل بالدم مالحق بالقوزاق من عار !

وكان تاراس بولبا فى تلك الأثناء مستغرقا فى التفكير فى ابنه اندريه الذى لم يدر له مصيرا .. وما لبث أن فوجىء باليهودى « أبانكل » ينبئه بأنه استطاع ان يلج المدينة ، اذ شاء القدر أن يكون قائد الامدادات — التى تلقتها المدينة المحاصرة — من عملائه الذين تثقل كواهلهم الديون التى قدمها اليهم من ماله ! .. **وكانت مفاجأة قاسية لبولبا أن ذكر له اليهودى أنه رأى « أندريه » وراء الأسوار .. « رأيته موفور الصحة والبهاء ، فى ثياب عسكرية موشاة بالذهب ، وقد زوده حاكم المدينة بأقوى جنوده ! »** .. ولم يشأ عقل الاب ان يستوعب هذا القول أو يصدقه فى البداية .. وثار على اليهودى الذى « أوحى » اليه بأن ابنه انضم الى صفوف الاعداء ، وخان قومه . ولكن « أبانكل » راح يقسم أغلظ الايمان على صدق قوله ، وذكر له أن ابنه سيتزوج من ابنة حاكم المدينة اذا مابر بالعهد الذى قطعه على نفسه .. فقد أقسم الشاب أن يطرد

القوزاق جميعا عن المدينة !.. ثم كانت الضربة القاصمة حين استطرد اليهودى قائلا : **((ولقد قال لى : يا ابانكل ، قل لأبى وأخى وللقوزاق جميعا ان أبى لم يعد أبى ، وان أخى لم يعد أخى ، وان عشيرتى لم تعد عشيرتى ، واننى سأحاربهم جميعا حتى آخر قطرة من دمى !))**

وكاد تاراس بولبا ان يفتك باليهودى لولا أن فر هذا من وجهه ، وتركه يئن تحت خزى العار .. على أنه لم يلبث ان أفاق الى الظروف المحيطة به وبقومه ، فأسرع يقود فرقته لاحقا بجحافل القوزاق الزاحفة على المدينة من جديد . ودارت معركة طاحنة ، دون هوادة ولا رحمة ، ولجأ فيها الغزاة الى أفظع الاساليب البربرية . وبرز أوستاب فى المعركة فسحر الألباب ببطولته !.. على ان القوزاق عجزوا عن اقتحام المدينة فى ذلك اليوم ، اذ استخدم البولنديون نيران المدافع التى لم يكن للقوزاق عهد بها .. حتى اذا هبط الظلام ، كف الفريقان عن القتال ، وسرعان ما استسلم القوزاق للنوم ، وظل تاراس بولبا وحده مسهدا يتذكر ((أندريه)) وخيانته لوطنه وعقيدته وعشيرته !

★ ★ ★

• **لم** يكن النهار التالى قد انتصف ، عندما فوجىء القوزاق المرابطون أمام مدينة (دوبونو) بنبأ هبط عليهم هبوط الصاعقة .. فقد انتهز التتار فرصة انشغالهم بالقتال ، فأغاروا على ((الستش)) وذبحوا اغلب من تخلف فيه من اهله ، واسروا من أسروا ، ونهبوا كنوزه ومؤنه وذخائره .. ورأى القائد الاعلى ان يرتد القوزاق عن المدينة البولندية ، ليتعقبوا التتار . **ولكن تاراس بولبا لم يتقبل هذا الرأى ، وألح فى معارضته . وانتهى الامر الى أن انقسم القوزاق فريقين : فريق تهيأ**

للانطلاق وراء التتار ، وفريق بقى تحت قيادة بولبا .. وحرص الراحلون على أن يتحركوا فى جنح الليل حتى لايفطن البولنديون الى تناقص أعدائهم ..

على أن اليهود كانوا قد سعوا — فى تلك الاثناء — الى المدينة بنبأ انقسام القوزاق ، فشد ذلك من أزر البولنديين ، وشرعوا يتأهبون لهجوم جائح . وفطن بولبا الى نواياهم ، فجمع جنوده وراح يستثير هممهم ، فاندفعوا الى المعركة كالأعاصير الهوجاء ، وكادوا أن يكسبوها لولا المدافع التى راحت تحصدهم حصدا . ولكن بولبا صمم على القتال حتى آخر رجل . واستطاع ببطولته الخارقة أن يذكى حماس قومه ، حتى غلبوا اعداءهم ، واندفعوا الى ابواب المدينة .. واذا بالابواب تفتح ، متكشفة عن فرقة ضمت زبدة فرسان العدو ، وعلى رأسهم « أندريه » وقد أحاط ذراعه بعصابة طرزتها يدا حبيبته .. وكاد تاراس بولبا ان يجن حين رأى ابنه يندفع كالسهم الى وسط جيش قومه ، فصاح به كالمجنون : « ماذا تصنع ؟.. انهم اخوتك وأهلك يا ابن الشيطان ! » .. ولكن اندريه أغمض عينيه وأصم أذنيه !

وأوعز تاراس بولبا الى بعض فرسانه ان يستدرجوا أندريه الى الغابة ويعزلوه عن جنوده . ونجحت الحيلة .. وما أن فطن الشاب الى موقفه حتى التفت فاذا به وجها لوجه أمام أبيه .. واذا بنظرات الشيخ النارية تذيب صقيع تهور الشاب .. وانسابت مياه هذا الصقيع المذاب على نيران شجاعته فأطفأتها !.. وقال بولبا بعد صمت قصير : « والآن يابنى .. هل خف البولنديون الى نجدتك ؟ » .. وظل اندريه صامتا جامدا كالصنم ، فقال أبوه : « هأنتذا ترتكب خيانة منكرة ، اذ تغدر بعقيدتك وبعشيرتك . ترجل عن جوادك ! »

وترجل أندريه كطفل وديع مطيع ، وهو شارد اللب ..

وتراجع الأب ، ثم سدد اليه بندقيته ، فابيض وجه الشاب كالثلج .. وانطلقت رصاصة من البندقية ، فهوى الشاب على الأرض ، وفارق الحياة !.. ووقف تاراس بولبا يتأمل وجه ابنه الذى مات على يديه .. **وأقبل أوستاب متسائلا : « ماذا صنعت يا أبى ؟.. أأنت الذى قتلته ؟ »** .. **وغمغم الأب : « أجل .. أنا الذى قتلته .. انا قتلت ولدى ! »** .. وفيما هو شارد اللب ، أقبل رسول يعلن وصول نجدات جديدة الى البولنديين ، وتساقط القوزاق شهداء فى ميدان القتال ، فصاح بولبا بصوت كالرعد : « الى الجياد ! » .. وهمز جواده فمرق كالسهم وأوستاب خلفه ، ولكن كمينا من البولنديين انقض عليهم ، فراح اوستاب يقاتل فى استبسال لامثيل له ، حتى القى أحد البولنديين عليه حبلا فى نهايته طوق كبير التف حول عنقه وانتزعه عن جواده .. وصاح بولبا : « أوستاب ! » .. ولكن بركانا من القذائف فغر فاه ، وزلزل الأرض تحت قدميه .. وهوى الشيخ فاقد الوعى !

★ ★ ★

• **عندما** أفاق بولبا من غشيته وارتد الى وعيه ، عرف أن نفرا من رجاله ظلوا يهيمون به فى الغابات منذ أسبوعين وهو مثخن بالجراح ، فاقد الرشد يهذى .. وكان العدو قد رصد مكافأة قدرها الفا دينار ذهبى لمن يقبض عليه ويسلمه للبولنديين . وتذكر الشيخ ابنه « أوستاب » ، وتمثل آخر منظر شهده فيه ، فهب من مكانه كالمسعور ، وهو يهذى فى هياج ، حتى اضطر رجاله الى ان يوثقوه على ظهر جواده ، الى أن بلغوا به معسكر « السنتش » بعد أيام وليال طوال ..

واستطاع الشيخ أن يقاوم الحمى بفضل عناية زملائه ، ولكنه لم يكف ليل نهار عن البكاء وهو يردد : « اوستاب !

.. ولدى ! » . وما لبثت لوعته أن حملته على أن يجتاز البحر الاسود ، ثم انطلق أسبوعا كاملا على ظهر جواده ، حتى بلغ مدينة (اومان) ، فيمم لفوره شطر بيت « أبانكل » اليهودى الذى كان فى تلك الأثناء قد لقى حظوة لدى البولنديين ،بفضل القروض التى كان يقدمها اليهم ، والربا الذى كان يمتص به ثرواتهم ، حتى لم يبق فى (أومان) شبر الا ارتهنه أو اشتراه ! وما ان رأى « أبانكل » الشيخ القوزاقى ، حتى تذكر المكافأة التى رصدها البولنديون لمن يأتيهم به حيا .. ولكنه — على غير عادة اليهود — شعر باستحياء من جشعه ! وبادره الشيخ قائلا : **« لقد سبق لى أن أنقذت حياتك .. وقد جاء دورك لتؤدى لى خدمة !.. اننى اريد ان تأخذنى الى (وارسو) لكى أراه مرة أخرى .. أرى « أوستاب » ابنى !.. واننى لأعرف أن هناك الفى دينار لمن يقبض على ، ولكننى سأمنحك خمسة آلاف ، اليك منها ألفين مقدما ! »**

وزاغت عينا اليهودى لرؤية الذهب ، فراح يتجسس كل قطعة ويفحصها ويعضها بأسنانه ليستوثق من انها عملة جيدة !.. وعاد بولبا يقول : « كان فى وسعى أن اذهب بنفسى ، ولكننى لست بارعا فى اصطناع الحيل .. اما انتم معشر اليهود ، ففى وسعكم أن تضللوا الشيطان نفسه ! » . وراحا يستعرضان الحيل ، ومالبث اليهودى ان هتف : « لقد خطر لى خاطر .. ان البولنديين يشيدون حصونا وقلاعا ، وينقلون لذلك كميات



ضخمة من مواد البنـــاء ، لذلك سأخفيك فى عربة محملة بالطوب »

وهكذا وصل بولبا الى (وارسو) ، ودلفت به العربة الى « الشارع القذر » ـ كما كان يسمى حى اليهود ! ـ ثم استقرت فى فناء أحد المنازل . ومالبث « أبانكل » أن أقبل على «بولبا» فأخبره بأن ابنه معتقل فى أحد سجون المدينة ، وانه لابد من رشوة الحراس ، ليمهدوا للأب لقاء ابنه .. على أن ابانكل مالبث أن عاد بأقسى نبأ متوقع : فقد علم ان البولنديين قرروا اعدام الأسرى القوزاق فى اليوم التالى ، بعد أن يعذبوهم .. وأردف اليهودى قائلا أنه اتفق مع ضابط صغير على أن ييسر لبولبا رؤية ابنه ـ فى الفجر ـ على ان يتنكر فى زى « كونت » أجنبى !

* * *

• **ووصل** بولبا مع ابانكل الى باب السجن عند الفجر .. وكاد أمر الشيخ أن يفتضح حين ثار على حارس الباب الذى سمعه يسب القوزاق ، ولكن ابانكل أسرع الى تلافى الامر ، فدفع للحارس مائة دينار .. وما أن استولى الحارس على المبلغ ، حتى طردهما مهددا بأن يصيح فيخف رفاقه الى القبض عليهما .. ولكن بولبا لم ييأس ، بل أصر على الذهاب الى ساحة التعذيب ، عسى أن يلمح ابنـه ، وليرى كيف ينكل البولنديون بالقوزاق العزل من أسراهم

وكانت الساحة غاصة بالناس .. فقد كان التعذيب من المناظر التى يتسلى البولنديون بمشاهدتها فى تلك العهـود البربرية ! وكانت مشاهدة افتنان الجلادين فى قطع أوصـال ورؤوس الضحايا ، تستهويهم وتثير حماسهم واعجابهم !.. وسيق القوزاق الى الساحة فأقبلوا رافعى الرؤوس ، يسيرون فى غير وجل الى مصيرهم البشع الرهيب .. **وكان أوستاب فى**

الطليعة !.. ترى أية مشاعر عاتية عربدت فى صدر تاراس بولبا عندما وقع بصره على ابنه أوستاب وهو يتقدم زملاءه الى الجلاد ، ليكون الأول فى تجرع مرارة الهول؟!.. واجال الشاب بصره فى زملائه ، ثم رفع ذراعيه الى السماء وهتف بصوت تردد فى جنبات الساحة : « الهى ، لاتسمح لهؤلاء الزنادقة بأن يسمعوا أنة واحدة تنفلت من صدر قوزاقى ! » .. وطأطأ الأب رأسه الأشيب وتمتم : « أحسنت ياولدى ! »

ولسنا فى مقام وصف الأساليب البربرية التى كانت تتبع فى التعذيب ، ولكن أوستاب احتمل كل ماكتب عليه فى جلد خارق ، فلم تند منه أنة واحدة .. حتى عندما أخذوا يدقون عظامه واحدة فواحدة !.. **ولكنه ـ حين بلغت القسوة ذروتها ـ أجال بصره فى الجماهير المحيطة به ، وتمنى فى تلك الساعة الرهيبة أن يرى بجانبه رجلا شجاعا لايهتز فرقا أمام أبشع الأهوال .. ومن يكون ذلك الطود الآدمى سوى أبيه ؟.. فما أن نضب معين صبره ، حتى صاح فى لوعة : « ابى ! اين انت ؟ اتراك تسمعنى ؟! »**

« أجل ! أسمعك ! » .. انطلقت الكلمتان كأنهما قصف الرعد فى الساحة ! وبهت القوم ، بينما اندفع الفرسان الى مصدر الصوت .. وعندما أفاق أبانكل من غشية الذعر ، لم ير أثرا لبولبا بجواره .. فقد اختفى كومضة خاطفة !

★ ★ ★

• **على** أن بولبا لم يلبث أن ظهر بعد حين .. ولم يكن فى هذه المرة وحيدا ، فريسة للشجون والأحزان ، بل كان على رأس جيش نظامى تألف من مائة وعشرين ألف مقاتل من القوزاق ، مكتملى العدة والسلاح .. **كان الجيش فى هذه المرة يضم شعب القوزاق بأسره ، وقد هب ليسترد كرامته المهيضة ، وينتقم من البولنديين ، ويمحو من الوجود نفوذ اليهود ، وربا**

اليهود ، والاستغلال اليهودى !.. وعلى الرغم مما اشتهر به بولبا من قوة المراس ، فان بطشه ازداد أضعافا مضاعفة ..

واشتعلت نيران الحرب من جديد .. وكانت حربا هوجاء ، مدمرة ، طاحنة ، أثبتت كتب التاريخ ما اكتنفها من وحشية تفوق ماعرفته أظلم عهود البشرية . واجتاح الجيش القوزاقى معاقل البولنديين ومدنهم ، فلم يكن يدع فيها حجرا على حجر ، ولم يكن يبقى فيها على نفس يتردد فى صدر كائن حى !.. وعبثا حاول البولنديون ان يعقدوا صلحا ، وأخيرا لجأوا الى رجال الدين الارثوذكس — من القوزاق — فلم يستطع القادة أن يرفضوا طلبا لرؤسائهم الدينيين .. وقبلوا جميعا الصلح ، ولكن تاراس بولبا رفضه وراح يحذر قومه من غدرالبولنديين ، فلما أبوا أن يستمعوا اليه ، حطم سيفه وهو يصيح : « وداعا ! .. وكما أن شطرى هذا السيف لن يلتقيا ويعودا سيفاواحدا ، فكذلك لن نلتقى — انا وأنتم أيها الرفاق — على الأرض بعد الآن ! »

وانطلق فتبعه رجال فيلقه الذين ابوا ان يتخلوا عنه ، كما انضم اليهم كثير من جنود الفيالق الأخرى ، فقادهم بولبا لينتقم من البولنديين .. وشاء القدر أن تتحقق نبوءة القائد الشيخ ، فلم ينقض وقت طويل ، حتى نقض البولنديون عهدهم ، وحنثوا بأيمانهم . وكان بولبا فى تلك الأثناء سادرا فى أغاراته ، فاشتد عنفا فى هجومه ، واجتاح مدن بولندا حاملا الدمار والهلاك أينما اتجه .. الى أن حاصره القائد البولندى « بوتوشكى » على ضفاف نهر (الدنيستر) ، فنشبت بين الجيشين معركة مروعة دامت أربعة أيام .. **وعندما أوشك النصر أن يكتمل لبولبا ، فينجو برجاله من الحصار ، اذا به يصيح فجأة : « قفوا أيها الجند .. لقد فقدت غليونى وعلبة تبغى ولا أحب أن يقعا غنيمة فى أيدى البولنديين ! »**

وترجل الشيخ وراح يبحث بين الأعشاب عن غليونه وتبغه ،

واذا بكتيبة من الأعداء تداهمه ، وتقبض عليه رغم مقاومته العنيفة .. وما أن رأى نفسه أسيرا ، حتى صاح بصوت منكر: « تبا لك أيتها الشيخوخة ! » ، وأجهش الجبار بالبكاء !.. ثم تمالك جأشه عندما تذكر رجاله . وكان الأعداء قد أوثقوه بسلاسل من حديد فى قمة شجرة ضخمة ، دقوا اليها يديه .. وبينما كانوا يتشاورون فى أبشع ألوان النكال ليوقعوها به ، تبين من مكانه ميدان المعركة ، ورأى أن لجنوده منفذا من ناحية النهر ، فراح يصيح بهم ليرشدهم .. ولم يكف عن الصياح حتى عاجله أحد الأعداء بضربة على رأسه من مطرقة ثقيلة ، فأظلمت الدنيا فى عينيه ، ولكن .. بعد أن رأى رجاله ينجون !

وعندما أفاق من غشيته ، صاح بأعلى صوته : « وداعا أيها الرفاق !.. تذكرونى ، وتعالوا الى هذه البقعة فى الربيع القادم لتقضوا وقتا طيبا !.. وانتم ايها البولنديون ، هل تظنون ان هناك هولا فى الوجود يتهيبه القوزاق ؟! » .. وكان البولنديون قد أشعلوا نارا فى حطب كدسوه تحت الشجرة ، فتعالى اللهب الى بولبا ، ثم اندلع وراح يأكله شيئا فشيئا ، ولكن .. لم تكن فى الأرض قوة أو نار تستطيع أن تنتزع أنة أو زفرة من صدر القوزاقى الجبار !

عندما يرفع الستار..



روائع المسرح العالمى
(التمثيلى.. والغنائى)

عزيزى القارىء ..

قدمت لك فى هذا الباب المسرحيات العالمية الآتية :

◆ خطايا الحب ◆ نزاهة الحكم ◆ سلاح المرأة ◆ فولبون ◆ جيوكندا ◆ كلام الناس ◆ مدرسة الفضائح ◆ سيرانو دى برجراك ◆ لعبة الحب والموت ◆ مروحة الليدى وندرمير ◆ فاوست ◆ أوديب الملك ◆ فى سبيل الحب ◆ وليم تل ◆ الأم ◆ الملك يلهو ◆ الجنس الآلى ◆ الابن الاكبر ◆ هرنانى ◆ ترويض النمرة ◆ الحياة نفاق ◆ أغلال الحب ◆ المنافق ◆ بيت الليل ◆ علموهم الحب ◆ زوج مثالى ◆ سالومى ◆ مدرسة الارامل ◆ برهان الحب ◆ لوسيد ◆ كيف نقع فى حبائلهن ◆ أحزان هان ◆ حلاق اشبيلية ◆ تشيترا ◆ كاليجولا ◆ هوراس ◆ حوادث سعيدة بالجملة ◆ الهاربة من الفضيحة ◆ رجل الاقدار ◆ جوديث ◆ نيكراسوف ◆ أنباء مثيرة

واليوم ، أقدم لك أشهر مسرحية ساخرة كتبت حتى اليوم :



المسرحية الذائعة الصيت ، للكاتب المسرحي الساخر :

موليير

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

البخيل .. بين السخرية منه ، والرثاء له !

♦ تعرضت شخصية «البخيل» ـ فى آداب جميع الشعوب ، وفى كافة العصور ـ لحملات لاذعة مقذعة ، واتخذها ذوو السخرية والفكاهة من الكتاب ، هدفا للمزاتهم ونكاتهم ونقدهم الساخر .. ولعل اكثر ما كتب ـ فى هذا الصدد ـ خلودا فى الأدب العالمى ، هو ماجاء فى « البخلاء » للكاتب العربى « الجاحظ » ، وفى « اولولاريا » للكاتب الرومانى « بلوطس » ، وفى « البخيل » لأمير الأدب المسرحى والفكاهى فى فرنسا «موليير» . ومسرحية « البخيل » هى التى نلخصها لك فيما يلى . وهى تعتبر من أروع الأمثلة الناطقة بما كان لموليير من براعة فائقة فى مزج الفكاهة بالفن والشعور الانسانى ، فى آن واحد .. ففى الوقت الذى يضحكنا فيه من « البخيل » ، نجده يستدرجنا ـ فى رفق ودون ان نفطن ـ الى الرثاء له !

وقد ترجمت هذه المسرحية الى جميع اللغات الحية ، ولا تزال تعتبر مثالا للأدب المسرحى والفكاهى الرفيع

الفصل الأول

• **وقعت** « ايليز » ـ ابنة هارباجون ، الشيخ البخيل ـ فى هوى « فالير » الشاب الذى انقذها من الغرق .. ولكن الشابين كانا فى هم دائم بسبب حبهما . فلقد تحايل « فالير » حتى التحق بدار هارباجون كخادم ، ليكون على مقربة من حبيبته ، ولكن احدى الخادمات اكتشفت أمر العاشقين ، فأصبحت ايليز فى خوف من ان تفضح الخادمة السر فتعرضها لنقمة الأب ولوم الأسرة ، وألسنة الناس ! **اما فالير ، فكان يخشى ان يوسوس الشح الى الأب بأن يدفع بابنته الى اول « عريس » ، قبل ان يتمكن هو ـ اى فالير ـ من ان يتصل بأهله .. اذ كان الشاب قد فقد اهله ، أو هم الذين فقدوه ! ولكن ثمة بارقة من امل بدت فى تلك الأثناء ، فكان يرتقب أنباء منهم وهو نافد الصبر !**

ويتفق العاشقان على ان تسعى « ايليز » الى اكتساب تأييد شقيقها «كليانت» .. وقبل ان تصارح الفتاة شقيقها ، اذا به يبادرها بحديث يعلن فيه تمرده على سلطان أبيه الذى يخال أن الأبوة تمنحه سلطانا على عواطف أبنائه !.. **ويعترف كليانت بأنه أحب غادة تدعى ((ماريان)) ، ترعاها أم صالحة تكاد تكون مريضة دائما ، وتحظى من ابنتها بكل حب ومودة** .. ويستطرد الشاب قائلا انه قد عرف ان الأم وابنتها تعيشان فى ضيق : «تصورى ياشقيقتى العزيزة مدى السرور الذى لابد وان نستشعره عندما نصلح حال اولئك الذين نحبهم ، فنقدم اليهم - فى رفق - معونة بسيطة تفى بالمطالب المتواضعة لأسرة صالحة .. ثم تأملى مدى حنقى حين أجد نفسى - بفضل بخل أبينا - عاجزا عن تذوق هذه الغبطة ، وعن أن ابين لتلك الجميلة اى دليل على حبى ! »

ويسأل كليانت اخته أن تساعده ، بأن تسعى بنبأ حبه الى ابيه ، ويؤكد لها أنه سيفارق الدار اذا اعترض الأب على ذلك الغرام .. « لقد دبرت مالا لهذا الغرض ، واذا كانت أحوالك ياشقيقتى مشابهة لاحوالى ، واذا شاء أبونا ان يقف ضد رغباتنا ، فسنهجره معا ونخلص نفسينا من الطغيان الذى فرضه علينا بخله الذى لا يطاق ! »

* * *

• **ويبادر** الشقيقان الى الانزواء ، اذ يقبل هارباجون على الحجرة ، وفى اعقابه «لافليش» ، الخادم الخاص لكليانت. ويصيح الشيخ فى غضب آمرا الخادم بمبارحة الدار فى الحال ، متهما اياه بأنه يرقب فى انتباه كل صغيرة وكبيرة من حركاته ليرى ما اذا كان ثمة ما يستطيع سرقته ! .. فيقول لافليش : **« وكيف - بحق الشيطان - يتسنى لاى امرىء ان يسرقك ؟ او انت من النوع الذى يدع دانقا يسرق منه ؟! انك تخفى كل**

شىء وراء أبواب وأقفال تحرسها ليل نهار !» .. ويهم الخادم بالانصراف ، فيصيح به البخيل : « انتظر .. ألم تخطف شيئا ؟ » .. ويصر على تفتيشه ، فيتمتم الخادم لنفسه وهو مستسلم : « آه ، ما أجدر رجل كهذا بأن يمنى بكل الذى يخشاه ! لكم اسر لو اننى استطعت ان اسرق ماله ! »

هارباجون : ماذا ؟! ماذا تقول ؟

لافليش : أقول فليقض الطاعون على البخل والبخلاء !

هارباجون : ومن الذين تعنيهم بذلك ؟

لافليش : وفيم تزعج نفسك ؟ اتظننى اتكلم عنك ؟ هل تمنعنى من ان اسب البخلاء ؟

هارباجون : لا ، ولكننى سأمنعك من التمتمة والوقاحة .. سأجلدك اذا تفوهت بكلمة أخرى ! (يخرج الخادم ، ويبقى هارباجون وحيدا ، فيستطرد قائلا) ياله من وصيف كالكلب المتسكع ، لا يفتأ يعترض طريقى .. انها ليست مسألة هينة ـ بالتأكيد ـ ان يحتفظ المرء بمبلغ ضخم فى داره ، وانه لسعيد ذلك الذى يستغل نقوده بالربا ، فلا يستبقى معه الا الضرورى اللازم لنفقاته !.. **ان المرء لا يعانى قدرا بسيطا من الحيرة حين ينقب فى البيت كله عن مخبأ امين ، خاصة واننى لاطمئن الى الخزائن ، بل اعتبرها مجرد اغراء واضح للصوص .. فهى أول شىء يسطون عليه !**

ويمضى الشيخ البخيل فى حديثه الى نفسه ، دون ان يفطن الى ان ابنه وابنته منزويان فى احد الأركان ، فيكشف عن انه كان يدفن فى ارض حديقته ثلاثين الفا من الفرنكات !.. وما ان ينتبه الى وجود ابنيه حتى يجزع ، ولكنهما يتظاهران بما يطمئنه الى انهما لم يسمعا حديثه ، فيقول : « انما كنت أحدث نفسى عن الصعوبة التى يعانيها المرء ـ فى ايامنا هذه ـ فى الحصول على نقود .. ويسرنى أن أنبئكما بذلك حتى لا تخالا اننى قلت ان لدى ثلاثين ألفا من الفرنكات ! » .. وهنا

يقول كليانت ان لا داعي لكل هذا ، فانه واخته يعرفان ان اباهما يملك ثروة كافية

هارباجون : ماذا ؟! أنا عندى ثروة كافية ؟! ان الذين يقولون هذا انما يفترون على كذبا .. انهم ليسوا سوى عصبة من الأوغاد .. انه لأمر عجيب ان يغدر بى ولدى ويصبحا من أعدائى !

كليانت : هل القول بأن لديك ثروة يجعلنا من اعدائك ؟

هارباجون : اجل ، فمثل هذا القول ، والتبذير الذى تنتهجه ، سيكونان السبب فى ان يأتى القوم يوما فيقطعوا رقبتى – فى دارى – اعتقادا منهم بأننى أكدس الذهب !

ويمضى فى ثورته ، فيقول لكليانت ان تقليده لأبناء الطبقة العليا سيغريه يوما على ان يسرق أباه ، ان لم يكن قد أغراه بالفعل ! والا فمن اين له بالمال الذى ينفقه على مظهره !.. واذ يجيب الشاب بأنه يقامر ويدخر ارباحه لنفقاته ، يتجه حنق الأب اتجاها آخر ، فيقول : « **كان خليقا بك أن تودع أرباحك لتستثمر بفائدة بسيطة ، فتكون عونا لك فى الأيام المكفهرة !** » .. ويلمح الأب ابنيه يتبادلان النظرات ، فيهتف : « ما معنى هذا التغامز ؟ »

كليانت : انما نبغى ان نتحدث اليك عن الزواج يا ابت !

هارباجون : وعن الزواج أيضا احب أن اتحدث اليكما !.. نبئنى ، هل لاحظت شابة تدعى ماريان ، تقيم غير بعيد عن هنا ؟

ويسأله رأيه فيها ، فيطنب الشاب فى وصف رقتها وذكائها وأخلاقها .. ويجيب عن أسئلة أبيه بأنه يراها خير فتاة تصلح لأن تكون زوجة .. فيقول الأب البخيل : « هناك عقبة بسيطة ، اذ أخشى انها لا تملك من المال ما يطمع فيه المرء »

كليانت : آه ! ان المال غير جدير بالاعتبار اذا كان المرء يبغى

الزواج من فتاة لائقة

ولا يلبث الأب ان يسفر عن غايته ، اذ يقول : « ان لطفها ورقة مسلكها قد أسرا قلبى ، فعقدت العزم على الزواج منها اذا استطاعت ان تقدم لى صداقا معقولا ! » .. ويقع النبأ على الشاب وقع الصاعقة ، ولكن ثمة صاعقة أشد وأقسى .. فما ان يغادر كليانت الحجرة ليغالب اضطرابه ، حتى يقول هارباجون لابنته ايليز انه **ـ فى الوقت الذى اعتزم فيه ان يتزوج ماريان ـ اعتزم أن يزوج كليانت من أرملة ثرية ، وان يزفها هى ـ ايليز ـ الى السيد انسيلم ، وهو رجل رزين ، عاقل ، حريص ، لم يتجاوز الخمسين من عمره .. وله ثروة يجرى ذكرها على كل لسان !**

ايليز : اننى خادمة السيد انسيلم المطيعة ، ولكننى ـ بعد اذنك ـ لن أتزوجه !

هارباجون : وانا عبدك المطيع ، ولكننى ـ بعد ذلك ـ سأزفك اليه فى موعد لا يتجاوز الليلة !

وتعارض الفتاة ، وتصر على الرفض ، بينما يصر الأب على تأكيد عزمه ، فتهدده بأنها تؤثر أن تنتحر على أن تتزوج مثل هذا الرجل .. **ويلمح هارباجون خادمه « فالير » ـ حبيب الفتاة ـ فيدعوه ليكون حكما بينهما** .. ويحاول الشاب أن يتحايل على الأمر ، فيحبذ رأى هارباجون ، ولكنه يقترح افساح فرصة لايليز لتستوثق من ميولها ، فيصيح الأب : « بل هذه فرصة يجب انتهازها فى الحال ، لا سيما وان الرجل يوافق على أن يتزوجها دون أن تقدم اليه صداقا ! »

فالير : بدون صداق ؟ .. ليس لى فى هذه الحال أن أزيد على ماقلت .. ومن الصحيح أن ابنتك قد تبين لك ان الزواج مسألة أهم مما يخطر ببالك ، وأنه ينطوى على سعادة المرء أو شقائه طوال حياته ..

هارباجون (مقاطعا فالير) : قلت بدون صداق !

فالير : انك على حق ، وفى هذا فصل الخطاب طبعا .. ولكن هناك من قد يقولون لك ان لرغبات الابنة قيمتها التي تجعلها جديرة بالاعتبار فى مثل هذه المسألة ، وان هذا الفارق الكبير فى السن والطباع والمشاعر يعرض الزواج لأحداث جد محزنة ..

هارباجون : بدون صداق !

ويمضى الشاب ـ فى لهجته الديبلوماسية ـ يذكر الأب بأهم مافى الزواج من اعتبارات تفوق المال . وفجأة ، ينبعث نباح كلب ، فيتجه بصر الأب نحو الحديقة ـ حيث كان يخفى الثلاثين ألف فرنك ـ ثم يقول : « أغلب الظن ان ثمة من يبغى السطو على نقودى » . ويسرع بالخروج ، فيخلو الجو للعشيقين ، واذ ذاك يبرر فالير تمشيه مع هارباجون فى رأيه برغبته فى تجنب اغضابه .. **« فان معارضة رأيه كفيلة بافساد كل شىء .. وهناك عقول لايمكن علاجها بالصراحة ، وطباع تنفر من كل مقاومة .. تظاهرى بالموافقة على رغباته ، تصبحى أكثر تمكنا من الظفر بغايتك ! »**

ايليز : ولكن .. هل نسيت هذا الزواج يافالير ؟

فالير : يجب أن تطلبى ارجاءه ، واصطنعى المرض .. (ويمضى فى الحديث دون ان يفطن الى عودة هارباجون الى الحجرة) وستكون حيلتنا الأخيرة هى الفرار .. **(يلمح هارباجون)** أجل ، خليق بالابنة أن تطيع أباها .. فاذا أضيفت الى رغبته الحجة الكبرى : « دون صداق » ، وجب على الابنة أن تتقبل ماينعم به عليها !

ويغتبط هارباجون بحديث فالير ، فيخوله كل سلطاته على ايليز ـ سلطات الأب على ابنته ! ـ أملا فى ان يقنعها بالنزول عند رغبة أبيها !

الفصل الثانى

• **فاذا** كان الفصل الثانى ، رأينا كليانت يتباحث مع لافليش ، فما ان يعرف هذا ان الشيخ عاشق مدنف ، حتى يدهش ، ويصيح : « اى شيطان وسوس له بذلك ؟ وهل خلق الحب لمن هم على شاكلته ؟! ولكن ، لأى سبب تكتم حبك عنه ؟ »

كليانت : لكى لاأثير شكوكه ، ولكى أحتفظ بحرية أثنائه عن زواجه ، اذا دعت الحاجة !

ونفهم من حديثهما أن كليانت كان فى حاجة ماسة الى خمسة عشر ألفا من الفرنكات ، وقد أوفد خادمه ليبحث عمن يقرضه هذا المبلغ ، فلايجد لافليش سوى مراب فرض شروطا تضمنت كثيرا من العنت ، كما طلب فائدة تجاوزت ٢٥ فى المائة ، زاعما انه سيقترض بدوره المبلغ من شخص يتقاضى فائدة عالية .. وفوق هذا كله ، فلن يتسلم كليانت سوى اثنى عشر الف فرنك من المبلغ ، على أن يأخذ بالثلاثة آلاف فرنك الباقية متاعا واثاثا حدد المرابى بيانها !

كليانت : ليقض عليه الطاعون ، ذلك التعس ، قاطع الرقاب ! أن الوغد يقيدنى ويشهر سكينا على عنقى !.. تأمل ماينحدر اليه الشبان بسبب الجشع اللعين الذى يستبد بآبائهم .. ومع ذلك يعجب الناس حين يتمنى الأبناء موت آبائهم !

وتكون المفاجأة الكبرى ، حين يتكشف ـ بعد دخول الأب الغرفة ـ ان الشخص الذى ذكر المرابى انه سيقترض منه المبلغ بربا فاحش ، هو بعينه « هارباجون » والد كليانت !..

ويصيح الشيخ الشحيح : « أفهو أنت الراغب فى أن يقضى على نفسه بقرض كهذا ؟ » .. فيجيب الابن : « واذن فأنت ذلك الساعى الى الاثراء بمثل هذا الربا الاجرامى ! »

ويتبادل الاب وابنه التقريع والشتائم ، فيصيح الأب : « اغرب عن بصرى ايها الوغد ! » .. ويجيب كليانت : « من

الذى تظنه اكثر اجراما .. ذلك الذى يبتاع بأى ثمن نقودا هو فى حاجة اليها ، أو الذى يبتز نقودا لانفع لها عنده ؟! »

وما يكاد كليانت ينصرف ، حتى يفد ، « فروزين » وهو وسيط على علاقة بالشيخ البخيل ، فيستمهله هذا ريثما يذهب فيطمئن على أمواله . وتتاح بذلك فرصة يخلو فيها الزائر الى لافليش ، فيقول الاول انه يدبر للشيخ صفقة يطمع من ورائها فى مكافأة !

لافليش : منه ؟ آه ! دعنى أنذرك بأن النقود نادرة كل الندرة فى هذه الدار ! انك لا تعرف السيد هارباجون بعد .. ان السيد هارباجون هو أقل الكائنات البشرية انسانية ، وأصعبهم مراسا واشدهم شحا !... و « العطاء » كلمة يبلغ من نفوره منها انه لا يقول قط : « اننى اعطيك » ، وانما يقول : « اننى اقرضك » !.. **وقصارى القول انه يحب المال اكثر مما يحب السمعة والشرف ، بل والفضيلة .. ومجرد رؤية شخص يطلب مالا كفيل بأن يثير هياجه !**

★ ★ ★

• **وينصرف** الخادم عند عودة السيد ، فيخلو هذا الى « فروزين » الذى يبادر قائلا : « لعمرى ، انك لتبدو على خير ما يرام !.. بل انك فى اكمل مظاهر الصحة ! » ، فيتساءل هارباجون : « من ؟ أنا ؟ »

فروزين : ابدا لم ارك من قبل حاضر اللون ، منتعشا ، متألقا ، بهذا الشكل !

ويعود البخيل الى تساؤله : « أحقا ؟ » ، فيجيبه فروزين : « يا للعجب ! .. انك لم تبد قط فى حياتك بمثل الشباب الذى تبدو به الآن .. اننى لارى رجالا فى الخامسة والعشرين يبدون أكبر منك سنا ! »

هارباجون : ومع ذلك فانني قد تجاوزت الستين بكثير يا فروزين !

فروزين : آه ، وأى بأس فى الستين ؟! .. انها زهرة العمر ، وانك لعلى أعتاب أبدع فصول عمر الانسان !

هارباجون : هذا صحيح ، ولكنى ارى اننى لو كنت اصغر مما أنا بعشرين عاما ، لما كان فى ذلك أى ضير !

فروزين : أتراك تمزح ؟ .. انك لست فى حاجة الى هذا الفرق ، فانت من ذلك الصنف الذى يعيش الى سن المائة !

ويسأل هارباجون : « أهكذا تظن ؟ » ، فيجيب فروزين : « بالتأكيد .. انك اوتيت كل ما يوحى بذلك : ارفع رأسك قليلا ، آه ، أجل هكذا ! ان لديك الكفاية من علامات العمر الطويل .. انها لتبدو بين عينيك ! » .. ويعود الشيخ البخيل فيسأله فى لهفة : « أو أنت على يقين من هذا ؟ » ، فيجيبه الآخر : « بلا شك .. أرنى يدك . لعمرى ، ما اوضح خط الحياة فى كفك ! » .. ويتساءل هارباجون وكأنه يريد ان يستوثق : « أين ؟ » ، فيشير فروزين الى خط الحياة فى كف الرجل ويؤكد له أنه سيعيش الى ما بعد المائة ، بل ما بعد المائة والعشرين ! .. ولا يلبث هارباجون ان يسأله : « وكيف تسير مسألتنا ؟ »

فروزين : أفتراك بحاجة الى السؤال ؟ .. هل رآنى أحد أسهم فى صفقة دون أن أبرمها ؟! .. **لقد أوتيت موهبة رائعة فى التوفيق بين الرؤوس ، حتى اننى لأعتقد ان بوسعى ـ اذا ما عقدت عزمى ـ ان أزوج سلطان تركيا من جمهورية البندقية !!**

ويسأله البخيل فى لهفة عما اذا كان قد خاض مع ام ماريان أى حديث يتعلق بما ينبغى أن تسعى لتوفيره لابنتها من صداق مناسب .. « ذلك لان المرء ـ رغم كل شىء ـ لايتزوج من فتاة ، مالم يكن فى وسعها أن تمنحه شيئا ! »

فروزين : ما الذى تعنيه ؟ .. ها هى ذى فتاة ستجلب لك اثنى عشر ألفا من الفرنكات فى العام !

ويتساءل هارباجون فى جشع : « اثنا عشر الف فرنك فى العام ؟ » ، فيجيب فروزين : **« اجل . فهى ، اولا ، قد نشأت وتعودت ان تقتصد فى طعامها . وهذه ــ على مر الأعوام ــ ليست بالمسألة التافهة !.. أما ماسيتوفر عنها يصل الى ثلاثة فرنك ، على الأقل !.. وهى بجانب ذلك لا تبغى من الثياب سوى ماهو جد بسيط ونظيف . وهذا يوفر عليك ما يزيد على أربعة آلاف فرنك فى العام !..** ثم ان لديها نفورا فظيعا من لعب الميسر ، وهذه خلة ليست شائعةبين النساء فى أيامنا هذه .. فلنقدر الوفر الذى سيأتى عن ذلك بخمسة آلاف فرنك : خمسة آلاف فرنك فى العام من عدم اللعب ، وأربعة آلاف من الثياب والمجوهرات ، فيكون المجموع تسعة آلاف فرنك .. وثلاثة آلاف فرنك نضعها جانبا من حساب المأكولات .. أفلا يكمل ذلك الاثنى عشر الف فرنك فى العام ؟ »

هارباجون : اجل ، انه مبلغ لا بأس به . ولكن من السخف ان تسألنى أن أقبل المبالغ التى لا تنفقها العروس على انها صداق لها ! .. لست أعترف بشىء لم أتسلمه . يجب أن أتلقى فى يدى شيئا !

فروزين : يا للسماء الرحيمة ! لسوف تتلقى كثيرا ، وقد اخبرتانى ــ الأم وابنتها ــ عن بلد لهما فيه ضيعة ستكون انت سيدها !

ولكن هارباجون لا يقنع بذلك ، بل يصر على ان يرى تلك الضيعة ، ثم يقول : « ولكن هناك شيئا آخر يقلق بالى يا فروزين ... ان الفتاة فى مقتبل الشباب ــ كما ترى ــ والشابات عامة لا يملن الا الى اقرانهن فى السن من الرجال .. وانى لأخشى الا يروق لها رجل فى مثل عمرى ، وهذا قد يؤدى الى بعض متاعب عائلية بسيطة ، لا تبعث على الرضى ! »

فروزين : آه ! أية فكرة خاطئة تساورك عنها ! .. ان هناك نقطة غريبة يجدر بى أن أحدثك عنها .. ان لديها نفورا فظيعا من كل الشبان ، فهى لا تميل لغير الشيوخ !

هارباجون : أحقا ؟

فروزين : هكذا هى .. انها لا تطيق رؤية أى شاب ، ولكنها لا تغتبط قط قدر ماتغتبط حين ترى شيخا مليحا ذا لحية مهيبة .. وكلما كان كبيرا فى السن ، زادت فتنته فى عينيها لذلك أحذرك من أن تظهر أكثر شبابا مما أنت اذا ذهبت اليها . اذ لابد للمرء أن يبدو فى الستين كى يروق لها ! .. ولقد حدث منذ أربعة أشهر فقط ، ان كانت على أهبة الزواج ، واذا بها تعدل فجأة لأنها اكتشفت ان حبيبها لم يتجاوز السادسة والخمسين ، ولأنه أبى ان يستعمل « نظارة » عند توقيع عقد الزواج !

هارباجون : ان هذا لأمر غريب حقا !

★ ★ ★

● **ويمضى** فروزين فى حديثه مغاليا ، فيقول : « بل هناك ما هو أغرب ، ففى غرفتها بضع صور ولوحات ، فماذا تظنها تمثل ؟ » .. ويجيب بنفسه عن سؤاله ، فيزعم انها لا تمثل الآلهة الشباب ، وانما هى تمثل شيوخ الارباب القدماء ، فيهتف هارباجون : « انه لأمر يدعو للاعجاب ! .. أبدا ما كان ليخطر بذهنى ! لكم يرتاح بالى اذ اعلم ان هذا مزاجها .. والواقع اننى لو كنت امرأة لما أحببت شبانا ! »

فروزين : اننى أصدقك .. فلست أتصور ان يحب أحد مثل هذه الخزعبلات التى يسمونها شبانا !.. من لى بمن يبصرنى بما فيهم من جاذبية !

هارباجون : هذا ما أقوله فى كل يوم . أية جاذبية فيهم بأصواتهم الرفيعة ، وبالشعيرات الثلاث النابتة فى لحاهم ،

وبصداريهم المزركشة ؟!

فروزين : انك الآن رجل حقـا .. فان فيك شيئا يروق للعين ! ولا بد للرجل الذى ينشد الحب أن يكون على شكلك وشاكلتك !

ويتساءل هارباجون وقد هزه الطرب : « افترانى كما ينبغى ؟ » .. فيهتف فروزين : « أجل ،وحق السماء ! انك لفاتن ! » .. وهنا يقول هارباجون بارتياح : « الحمد لله ، فأنا جد لائق لها !.. وليس يزعجنى سوى سعالى ، الذى ينتابنى بين آن وآخر ! »

فروزين : هذا ليس بعيب .. انك تسعل بعظمة !

هارباجون : وهل رأتنى ماريان ؟

فروزين : كلا ، ولكننا كثيرا ما تحدثنا عنك ، وما توانيت قط عن ان أزدهى فخرا بك !

ويشكره هارباجون ، فيقول فروزين : « انما أريد ان أسألك صنيعا بسيطا » .. فيعتدل هارباجون ويصغى فى توجس ، بينما يستطرد الآخر قائلا : **« اننى فى شغل بقضية أوشك أن أخسرها من أجل مبلغ بسيط من المال ، وفى وسعك ان تمكننى بسهولة من كسبها اذا أنت تكرمت وساعدتنى »** .. ثم يمضى متملقا : **« انك لن تصدق ماسيكون من اغتباطهـا عندما تراك ! »** .. ويعود الى التظاهر بالاغتباط وهو يقول : « ان فوديك الناميين ــ على النمط القديم ــ سيقعان من نفسها موقعا حسنا ، كما انها لن تتمالك نفسها من السرور عندما ترى ساقى سروالك (بنطلونك) الضيقين المحكمين ! »

هارباجون : أحقا ؟ .. كم أنا مغتبط لسماع هذا القول منك

وفى لباقة ينتقل فروزين الى الحديث عن قضيته والقرض الذى ينشده : « حقا ياسيدى ، ان هذه القضية جد مهمة لى » .. ويستعيد المظهر الواجم وهو يقول : « لسوف يقضى على اذا

أنا خسرتها ، وفى وسعك بمعونة بسيطة أن تنقذنى » .. ويتحول الى البشاشة ثانية وهو يقول : « لكم تمنيت أن ترى مدى ابتهاجها عندما كنت أحدثها عنك .. كان الفرح يشع من عينيها وأنا أسرد عليها خصالك الطيبة ! »

هارباجون : لقد افعمتنى سرورا يافروزين ، وانى لأوكد لك اننى اكن لك اعمق عرفان بالجميل !

فروزين : انما ألتمس منك ياسيدى ان تمنحنى المساعدة البسيطة التى سألتك اياها !

وهنا يغيض السرور من أسارير الشيخ البخيل ، ويسترد مظهره الجاد الرزين ، بينما يستطرد الآخر قائلا : « انها ستمكننى من ان أستوى على قدمى من جديد . ولسوف أظل مدينا لك بالصنيع الى الأبد ! » .. ولايجد البخيل بدا من المراوغة والاسراع بالتخلص من الرجل ، فيقول : «مع السلامه !.. سأنصرف الى اتمام بعض الرسائل ! »

فروزين : أؤكد لك ياسيدى انك لن تجد مثل هذا مأزقا تساعدنى فيه

هارباجون : سأصدر الأمر لتكون عربتى مستعدة كى تقلك الى السوق

فرزوين : ما أريد ان أزعجك بأمر كهذا ، لولم أكن فى أشد حالات الاضطرار ..

هارباجون : وسأحرص على ان نتناول العشاء فى ساعة مبكرة ، حتى لا تتكبد اية مضايقة !

فروزين : لا تضن على بالجميل الذى أرجوه منك . انك لن تتصور ياسيدى مدى السرور الذى ...

هارباجون : لابد لى من الانصراف ، فهناك من ينادينى .. ولسوف أقابلك فيما بعد !

الفصل الثالث

• **ويبدأ** الفصل الثالث بمنظر هارباجون وقد جمع خدمه وراح يصدر اليهم تعليماته لاعداد البيت للحفلة التى اعتزم اقامتها لعقد الزيجات الثلاث التى دبرها .. وهو يقول لاحدى الخادمات : **« اننى أعهد اليك بتنظيف أرجاء البيت . واحذرى – فوق كل شيء – من ان تعنفى فى مسح الأثاث خشية أن تبليه ! »** .. ويقول لاثنين من الخدم : « وأكل اليكما أمر غسل الكؤوس ، وتقديم الشراب ، على ان لا تقدماه الا حين يبرح الظمأ بالقوم !.. وأصبرا حتى يتكرر طلب الشراب اكثر من مرة ، وضعا نصب أعينكما ان تخلطاه بقدر كبير من الماء ! » ، واذ يقول أحد الخادمين ان بمؤخرة « بنطلونه » ثغرة يخشى ان يراها الضيوف ، ينصحه البخيل قائلا : **« اجعل ظهرك دائما تجاه الحائط ! »**

ويتحول الى ابنته فيوصيها بأن تلاحظ ما سوف يرفع عن المائدة من بقايا الطعام ، تفاديا لتبديده .. « وفى الوقت ذاته ، تأهبى لاستقبال الفتاة التى أعتزم اتخاذها زوجة ، فلسوف تأتى لزيارتك ، ولتصحبك الى السوق » .. ثم يقول لابنه : « أما أنت أيها الابن العاق – الذى بلغ من طيبتى ان غفرت له ما حدث – فاحذر ان تبدى لها وجها متجهما .. فنحن نعلم أساليب الأولاد الذين يتزوج آباؤهم مرة ثانية ، ونعرف بأية نظرات يرمقون تلك التى تسمى : امرأة الأب ! »

ويدعو هارباجون خادما اسمه جاك ، فيقول هذا : « الى من تريد ان تتحدث ياسيدى : ألى حوذيك ، أم الى طاهيك ؟ فأنا أقوم بالمهمتين ! » .. واذ يبدى السيد رغبة فى ان يحدثه بوصفه الطاهى – فى البداية – يخلع جاك معطف الحوذى ، فيبدو فى الزى التقليدى للطاهى !.. واذ ذاك يقول البخيل : « لقد وعدت بأن أقيم مأدبة عشاء الليلة ، فهل ستقدم لنا طعاما



شهيا ؟ »

جاك : اذا انت منحتنى مبلغا وفيرا !

هارباجون : يا للشيطان ! نقود دائما ! وكأنما لا حديث هناك سواها : نقود ، نقود ، نقود ! انها حجتهم الكبرى .. نقود !

جاك : وكم شخصا سيجلس الى المائدة ؟

هارباجون : ثمانية او عشرة .. ولكن عليك ان لا تحسب حسابا لاكثر من ثمانية .. فان مايكفى ثمانية ، يكفى عشرة !

ويشرع الطاهى فى التقدير ، فيبادر البخيل بوضع يده على فم الرجل هاتفا : « امسك أيها التعس !.. لسوف تلتهم مواردى ! » . ويتدخل فالير ـ حبيب ايليز ـ متزلفا الى السيد ، فيقول لجاك : « أفتعتزم أن تفجر بطونهم ؟! اتظن ان السيد دعا القوم بقصد قتلهم بالطعام ؟ .. **اننا ـ وفقا لقول الأقدمين ـ نأكل لنعيش ، ولسنا نعيش لنأكل !** »

هارباجون : آه ، أحسنت قولا !.. تعال اعانقك لهذا القول !.. تذكر ان تكتب لى هذه الكلمات حتى آمر بحفرها على رف مدفأة قاعة المائدة بحروف من ذهب !

ويهم بأن يدلى الى جاك بتعليماته بشأن العربة ، فيسارع الخادم بارتداء معطف الحوذى .. ثم يشكو الى سيده ان الجياد قد هزلت حتى لم تعد تصلح لشد العربة ، لأنها لا تنال كفاية من الغذاء . وهنا يتدخل « فالير » من جديد ، متطوعا لأن يدعو شخصا من الجيرة يتولى العناية بالجياد ، وقيادة العربة . واذ ذاك يثور جاك ، ويحدث البخيل عن تغامز

الناس عليه ، وسخريتهم به ، حتى انهم ليزعمون انه يتشاجر مع خدمه فى رأس كل سنة ، التماسا لحجة تعفيه من ان يمنحهم اية هبة بمناسبة العيد .. ويتمادى جاك فيقول له : **« ان الانسان لا يذهب الى مكان ، حتى يجد القوم يقلبونك على جمر النقد ! »**

وتفد ماريان على الدار فى صحبة فروزين ، فاذا هى كارهة لهذه الزيارة ، ولكن الرجل يقول لها : « انك لا تتزوجينه الا لأنه لن يلبث ان يخلفك ارملة ، ولابد من ان ينص على ذلك فى عقد الزواج ! »

★ ★ ★

• **ويستقبل** هارباجون خطيبته فى ابرز صورالشيخوخة — كما أوصاه فروزين — ولكن مقدم ايليز يخفف عن الفتاة بشاعة منظره .. ثم يقبل كليانت ، فما ان تراه حتى تهمس للوسيط : **« آه ! اى لقاء هذا يافروزين ؟ انه نفس الشخص الذى حدثتك عن حبى اياه ! »**

ويحيى كليانت الفتاة فى عبارات لاذعة ، فتجيبه بعبارات لا تقل عنها وخزا ، ثم تقول لهارباجون اذ يتدخل : « اؤكد لك اننى غير مستاءة .. بل انه سرنى اذ أطلعنى على حقيقة مشاعره ! » .. ولكن أبوه يطلب اليه ان يبدل من لهجته ، فيقول : « اذن فاسمحى لى يا سيدتى بأن أضع نفسى فى مكان أبى ، فأعترف لك بأننى لم أر فى الدنيا من تفوقك سحرا » .. ويمضى يتغزل فى ماريان حتى يثير غيرة ابيه . ثم يقول لها : « هل رأيت من قبل ماسة تفوق تألقا تلك التى على أصبع أبى ؟ »

ويخلع الخاتم عن أصبع أبيه البخيل ويقدمه اليها ، فتتأمله، ثم تهم بأن ترده ، فيقول لها : « لا يا سيدتى ، انه يغدو اكثر جمالا فى يدك ! » .. **وتتمنع الفتاة ، فيصر كليانت ، بينما**



يتميز الشيخ البخيل غيظا وحنقا دون أن يقوى على شيء سوى توعد ابنه بصوت خافت !

ويعلن أحد الخدم ـ فى تلك الأثناء ـ مقدم رجل يسأل عن السيد ، فيقول هارباجون : « انبئه بأننى مشغول »

الخادم : انه يقول انه يحمل اليك نقودا

هارباجون (لماريان) :معذرة ، ولن البث أن أعود سريعا !

ويعلن خادم أن جوادى السيد فى حاجة الى حدوات ، فيقول كليانت : « سأكرم السيدة نيابة عنك يا أبت ، ريثما يتم ذلك ، وسأصحبها الى الحديقة ! »

الفصل الرابع

• **ويجتمع** كليانت وايليز بماريان وفروزين .. ويتشاور الجميع ، فيتطوع فروزين ليقنع أم ماريان بأن ترفض خطبة الشيخ البخيل لابنتها ، ولكنه يخشى خبث الرجل ، فيقترح ان تعمل ماريان نفسها علي اثارة نفور الشيخ نحوها .. ثم يعود فيعرض فكرة جديدة ، تلك هى : **ان يوحى الى سيدة بارعة ، بأن تتظاهر بأنها مركيزة أو كونتة غنية ، قادمة من جنوبى مقاطعة (بريتانى) ، ثم يعمل هو على اغراء هارباجون على الزواج منها ليفيد من أموالها وأملاكها**

وبينما تنصرف ماريان وايليز الى السوق ، يخلو هارباجون الى ابنه ، فيسأله رأيه فى الفتاة .. ويكون هذا السؤال فاتحة

لسلسلة من المفارقات والملابسات الطريفة ، اذ يظن كليانت ان من الخير لغرامه الدفين ان يبدى نفورا من ماريان حتى لا يرتاب الأب فى أمره .. واذ ذاك يهتف الشيخ : « ان هذا يؤسفنى ، اذ يقضى على فكرة خطرت ببالى » .. فقد فطن الى كبر سنه ، والى ما سوف يتقوله الناس اذا ما تزوج بفتاة فى مقتبل الشباب .. « وكنت أوشك أن أخلعها عليك ، لولا النفور الذى أبديته لها ! » .. **ويظن الشاب ان أباه صادق فى كرمه ، فيفضى اليه بحبه لماريان . وهنا يثور الشيخ ويدعوه الى ان يطلق كل تفكير فى الزواج من الفتاة** .. ويشتد النزاع بينهما حتى يوشكا ان يتماسكا ، لولا ان يتدخل بينهما جاك ـ الطاهى الحوذى المتمرد ـ فيحكماه بينهما .. ويتعمد الرجل بلباقة ان يفهم الأب ان ابنه نزل عند رغبته وقرر أن ينصرف عن ماريان ، بينما يوحى الى كليانت بأن أباه قبل ان ينزل له عن ماريان !

هارباجون : لقد سببت لى سرورا كبيرا يا سيد جاك ، وهذا شىء يجعلك اهلا لمكافأة (يدس يديه فى جيبيه ، فيمد جاك يده ، ولكن الشيخ يخرج منديلا) انصرف الآن ، ولسوف أذكر هذا الوعد ، فاطمئن !

* * *

• **وما** ان ينصرف جاك ، حتى يتبين الأب وابنه حيلته ، فيعودا الى النزاع . ويأبى كليانت ان يتحول عن غرامه ، فينذره هارباجون بالتبرؤ منه وبحرمانه من ميراثه .. وفى تلك الأثناء يفد لافليش ـ تابع كليانت ـ فيدعو الابن ويبتعد به الى حيث يطلعه على الصندوق الذى كان أبوه قد دفنه فى أرض الحديقة ، والذى كان يحتوى على ثلاثين ألف فرنك . فقد سرقه الخادم !

ولا يلبث البخيل ان يكتشف السرقة ، فينطلق فى الصياح

في الحديقة : « **اللصوص ! امسكوا القتلة ! لقد قطعوا عنقى ، وسرقوا مالى .. ترى من الذى فعل هذا ؟ أعد لى مالى أيها الوغد ! آه يا مالى ، يا صديقى ! لقد حرمونى اياك ، ففقدت عضدى ، وعزائى ، وفرحى ! ان الحياة بدونك مستحيلة !.. لابد من اخطار السلطات ، واجراء تحقيق مع كل من تضمهم دارى : الخدم ـ رجالا ونساء ـ وابنى وابنتى .. وأنا نفسى كذلك ! لست أرى بينهم من لا أشتبه فيه ! »**

ويقبل المحقق . وفيما هو يتحدث الى هارباجون ، يدخل جاك المكان ، وهو يحدث شخصا خارج الحجرة قائلا : « اقطع عنقه فى الحال ، ودعهم يضعونه فى ماء مغلى ، وليعلقوه بحيث يتدلى من السقف ! »

هارباجون : ماذا ؟ أتقصد سارقى ؟

جاك : بل اقصد خنزيرا اعده للمأدبة وفقا لمزاجى ! أهذا هو السيد المدعو للعشاء ؟

ولكنه سرعان ما يعرف أمر السرقة التى حدثت ، فيستغل الفرصة للانتقام من « فالير » ، ويلقىعليه الاتهام .. فيسأله هارباجون : « وهل رأيته يحوم حول البقعة التى اودعتها نقودى ؟ »

جاك : أجل .. اين كانت نقودك ؟

واذ يذكر هارباجون انها كانت فى الحديقة ، يهتف الخادم : « تماما ! وفى اى شىء كانت النقود ؟ » .. وهكذا يستدرج الشيخ الى ذكر أوصاف الصندوق ، مؤكدا انها تطابق اوصاف الصندوق الذى رآه مع فالير !.. وفى تلك اللحظة يفد فالير ، فيبادره هارباجون باللوم لأنه خان ثقته ، واذ ذاك يجيب الشاب : « أما وقد تكشف لك كل شىء ، فلن أنكر .. ولقد كنت أتحين فرصة ملائمة للاعتراف » .. وتزداد الملابسات احكاما باستطراد الحديث ، حتى يتساءل هارباجون : « ومن الذى ساقك الى هذا العمل ؟ »

فالير : انه اله عنده عذر لكل ما يدفع الناس الى اتيانه .. انه الحب !

هارباجون : الحب ؟ ما أحـلاه من حب !.. حب نقودى الذهبية !

ويظن فالير انه يتهمه بأن حبه لايليز لم يكن الا طمعا فى ماله، فيدافع عن حبه قائلا : « انك لن تخسر كنزك الغالى حين تتركه لى .. اننى أركع متوسلا ان تمنحنى هذا الكنز الملىء بالمفاتن ! لقد تعاهدنا على الوفاء ، وعلى ان يكون كل منا بجماع نفسه للآخر .. ولن يفرقنا سوى الموت ! »

هارباجون : لسـوف أسـترد ثروتى .. سـأحملك على الاعتراف بالمكان الذى حملتها اليه

فالير : أنا ؟ اننى لم أحملها الى اى مكان ، فهى لا تزال فى دارك

ويمضى يطنب فى شرفها وجمالها وسحر عينيها ، والشيخ يعجب من ان يكون لخزانته كل هذه المفاتن التى تحمل الشاب على التغزل فيها !..

ويستطرد فالير فيذكر للرجل أنه وايليز قد وقعا — فى اليوم السابق — تعهدا بالزواج ، واذ ذاك يصيح هارباجون : « ياللسماء !.. وهذا عار آخر ! » ، بينما يكون المحقق منهمكا فى تسجيل كل كلمة !

وتصـل ايليز فى تلك الأثناء ، فتركع امام ابيها تناشـده الرحمة والشفقة ، وتنادى فيه حب الأبوة . ثم يحضر فروزين وانسيلم . واذ يتساءل الأخير عما جرى ، يروى له هارباجون كيف ان ابنته وخادمه تآمرا على ماله ، فيصيح فالير : « منذا الذى يفـكر فى مالك الذى تنسج حوله مثـل هذه القصـة الخيالية ؟ » .. ويقول انسيلم : « لست اعتزم أن أجبر أحدا على الزواج منى ، وان أستأثر بقلب عاهد غير قلبى ، ولكننى على استعداد لأن أعقد زواج الشابين كما لو كانا ولدى ! »

فالير : لست أرى جرما يشيننى فيما أكنه لابنتك من عاطفة يا سيد هارباجون .. ان كل نابولى تشهد بعراقة مولدى !

انسيلم : مهلا .. انك تتحدث على مسمع من رجل يعرف نابولى بأسرها

فالير : لست أخشى شيئا .. اذا كنت تعرف نابولى فلابد انك تعرف دون توماس البورشى .. فاليه أنا مدين بمولدى

انسيلم : اليه ؟ لعلك تمزح !.. لا تحاول انقاذ نفسك بالكذب ! أتجسر على ان تزعم انك ابن دون توماس البورشى ؟ انه لزعم جرىء ، فقد هلك الرجل الذى تتحدث عنه وزوجته وأولاده فى البحر منذ ست عشرة سنة

فالير : اذن فاعلم ان ابنه ــ الذى كان فى السابعة من عمره ــ وأحد خدمه ، قد انقذا بوساطة سفينة اسبانية .. وقد اشفق ربان السفينة على فعلمنى ــ كما لو كنت ابنه ــ وقد علمت منذ عهد قريب أن ابى لم يمت ، ولولا حبى لايليز الفاتنة لانطلقت باحثا عنه

ويقول الشاب انه يشهد على صدقه ربان السفينة والخادم الذى نجا معه ، كما ان لديه خاتما من عقيق كان لأبيه ، وسوارا كان لأمه

وتكون ماريان قد وصلت قبل تلك الأثناء وسمعت قصته ، فتهتف : « ما أراك تكذب ! وان كل ما ذكرته ليؤكد لى بجلاء انك أخى ! لقد مس حديثك قلبى .. وكم من مرة روت لى أمى ما حاق بأسرتنا من تعاسات : فقد التقطنى واياها القراصنة ، عندما غرقت السفينة التى كانت تحمل الأسرة . وبعد عشر سنوات من الاستعباد ، استعدنا حريتنا ، ورجعنا الى نابولى ، حيث وجدنا كل ممتلكاتنا قد بيعت .. ولم نقع على نبأ عن ابينا ، فنزحنا الى هنا ! »

انسيلم : أيتها السماء ! ما اعظم الدليل على سلطانك ! وما

أروع ما تثبتين به انك الوحيدة القادرة على صنع المعجزات !

ويظهر أن انسيلم هو والد ماريان وفالير ، وقد شاءت الأقدار ان ينجو ـ هو الآخر ـ وكل ماله ، وقد ظن ان زوجته وطفليه راحوا ضحية الحادث ، فقضى ست عشرة سنة فى ترحال وأسفار ، ثم تهيأ لحياة الاستقرار ، ومن ثم كان ينشد الزواج . ولكن هارباجون لا يحفل بكل هذه الأحداث ، بل يقول للرجل : « أهذا ابنك ؟.. اننى اعتبرك اذن مسئولا عن رد الثلاثين ألف فرنك التى سرقها منى ! »

ويهتف فالير دهشة ، وقد أدرك الاتهام الذى يوجهه اليه الشيخ البخيل ، ولكن كليانت ـ الذى يصل فى تلك الأثناء ـ يتقدم فيقول لأبيه : « اذا رأيت ان تدعنى أتزوج من ماريان ، فسأرد اليك نقودك ! » .. ويصر البخيل على ان يرى النقود أولا ليطمئن . ثم يقول لأنسيلم : « لست املك مالا اهبه لولدى عند زواجهما ! »

انسيلم : ان لدى قسطا يكفيهما ، فلا يزعجنك هذا

هارباجون : وهل تتعهد بتحمل كافة نفقات عقد القران ؟

ويرضى انسيلم بذلك ، ولكن البخيل لا يقنع ، بل يحمله على ان يبتاع له ثيابا يحضر بها حفلة زفاف كليانت الى ماريان وايليز الى فالير !.. وهكذا أبى « هارباجون » الا ان يظل وفيا لشحه وبخله فى جميع المواقف !

الحياة .. والموت !

كل شيء فينا يموت عند الموت ،
والموت لا يدع شيئا وراءه ، وهو نفسه لا شيء !
انه ليس الا اللحظة الأخيرة
من الوقت القصير الذى نقضيه !
لا تخش ذلك المستقبل الذى سيتبعه !
ولا تأمل فيه ..
ولا يخدعنك ذلك الخوف من الهلاك ،
ولا امل البعث فى ذلك المستقبل البهيم ..
فان ما بعد الموت شبيه بما قبل الحياة !
ان الزمن يفترسنا ،
والطبيعة تدعونا باستمرار الى الهوة !
انها تغذى على حسابنا تطوراتها الأبدية ..
هى التى وهبتنا كل شيء ،
ولذا تسترد منا كل الوجود !
ان بؤس الموت يعدل فرحة تنسم الحياة ..
والانسان كما ولد بأكمله ، بأكمله يموت !

من مؤلفات جان ديهينو ،
المفكر الفرنسى الملحد !

ان يك الموت رقادا بعـده صحو طويل
فلماذا ليس يبقى صحونا هذا الجميل
ولماذا المرء لا يدرى متى وقت الرحيل
ومتى ينكشف الستر فيدرى ؟
لست أدرى !

من شعر ايليا أبو ماضى ، أمير شعراء المهجر



عالم الغد

الحرب القادمة

كما يتنبأ بها العلامة الكبير "البروفيسور ا.م. لو"

تلخيص : الدكتور محمد جلال الدين

صلوا معى .. من أجل هذا العالم !

◆ ترى متى تندلع النار .. نار الحرب القادمة ؟!

لا أحد يدرى !.. ولكن الذى يدريه ويشعر به كل انسان متصل بالحضارة على هذه الأرض - المنكودة بأهلها ! - ان الحرب واقعة لا محالة ، وان نارها فى هذه المرة ستحرق الغالب والمغلوب معا ، وانها ستأكل الأخضر واليابس ، وتأتى على هذه الحضارة التى سلخت البشرية آلاف السنين لتبنيها حجرا فوق حجر ، باذلة فى ذلك جهودا قتالة أودت بحياة الملايين من البشر ، احترقوا لينيروا سبيل التقدم والارتقاء أمام الآخرين !

بقى السؤال التالى : على أية صورة تكون الحرب القادمة ، وما هى الأسلحة التى ستستخدم فيها ؟.. والرد على السؤال تتضمنه الحلقة الجديدة التى أقدمها لك فيما يلى ، من كتاب « عالم الغد » ، الذى وضعه الباحث العالمى الكبير « ا . م . لو » ، وتنبأ فيه - على اسس علمية ومنطقية - بأحداث عصر الذرة ، ومنها الحرب القادمة

فتعالوا اقرأوا هذا البحث الفريد ، ثم صلوا معى .. لعل الله يهدى .. « المجانين » !

حرب .. أم سلام ؟!

◆ **تتبلور** علامة الاستفهام الكبرى - بشأن المستقبل - لدى ملايين البشر ، فى كلمة واحدة هى : الحرب ! فيرى البعض أن الحرب حدث « لابد منه » ، وانها ستقضى حتما على الحضارة التى ننعم بها اليوم .. بينما يرى البعض أن الحرب أمر « يجب عدم التفكير فيه » أو تصور حدوثه مرة أخرى ! وكلا الرأيين مشوب بمبالغة لعل منشأها ان عددا كبيرا من الناس مروا بتجربة الحرب العالمية مرتين فى جيل واحد ، وكانوا يتوقعون فى كل مرة ان تباد المدنية ، ولكن كلا من الحربين خلفت الى جانب الخراب ، فى بعض البقاع ، غنى ورقيا فى بعض بقاع أخرى !

وقد يبدو وصف الحرب بأنها امر «لابد من حدوثه» مخيبا لآمال الناس ، مع أن ثمة حربا أو أكثر من حرب ناشبة الآن بالفعل . **بل ان التاريخ ذاته لا يؤيد الفكرة القائلة بأن الحالة الطبيعية للانسان هى ((السلام)) وان الحرب ليست سوى عوائق طارئة تعترض سير التطور البشرى . اذ ان من العسير ان نجد فى التاريخ عشر سنوات متوالية مرت ـ خلال الالفى عام التى يتألف منها التاريخ المكتوب ـ دون حرب .** وفى نطاق ذاكرة الاحياء اليوم ، نستطيع أن نتذكر مايزيد على عشر حروب ، وان لم تطلق صفة « العالمية » الا على القتال الذى دار بين دول كبرى غنية بصناعاتها . وما كان ذلك الا لتمييز هذه الحروب عن الحروب الصغيرة ، وان لم تكن هذه أقل فتكا بالارواح من سواها .. ولعل من بواعث التسرية والترفيه ـ ونحن بهذا الصدد ـ أن نذكر ان حياة الجنس البشرى ظلت متواصلة مسترسلة رغم الحروب !

ماذا بعد القذائف الموجهة ؟ !

. والذى تجدر ملاحظته ـ اذا ماسايرنا تاريخ الحروب ـ ان هناك اتجاها مطردا نحو توسيع الرقعة التى تفصل بين أى فريقين متحاربين . فقديما كانت الاحجار والحراب تستخدم للرماية عن بعد ، ومع التقدم اخترع المقلاع والمنجنيق ، ثم ظهرت المفرقعات ذات القوة الدافعة ، **واستمرت فى تطور حتى افضت فى السنين الاخيرة الى اختراع ((الصاروخ الموجه)) الذى يحمل فى بنيانه محركا ذاتيا .. وفى الوقت ذاته ، ظلت المساعى تبذل لتسهيل تحركات القوات المحاربة وزيادة سرعتها** . وبعد أن كانت الجيوش تنتقل سيرا على الاقدام بسرعة لاتتجاوز ثلاثة أميال او اربعة ، أصبحت اليوم تنتقل بسرعة قد تصل الى ستين ميلا فى الساعة ، فى البر ، فضلا عن تيسر الانتقال السريع بالبحر والجو

ويقترب تطور الحروب ـ من حيث المدى والسرعة ـ من النقطة التى يعجز عندها العقل البشرى عن السيطرة على هذا التطور .. **ولسوف تصبح اسلحة الغد من النوع الذى «يسير بالزر» ، فيكفى الضغط على ازرار خاصة لكى تنطلق ! اى ان توجيهها واستخدامها سيعتمدان على ابتكارات كهربائية تعمل بسرعة الضوء ، بدلا من ذلك البطء النسبى المأثور عن الجهاز العصبى الآدمى !**

ذلك لان مخ الانسان يحتاج الى حوالى خمس الثانية كى يستجيب للعينين ويرسل اشاراته الآمرة الى اليدين والقدمين .. وهذه الفترة ـ على قصرها ـ تكفى لكى تقطع القذيفة الموجهة بضع مئات من الاقدام ! وقد وصلت سرعة طائرات القتال وقاذفات القنابل الى حوالى سبعمائة ميل فى الساعة .. بل انها زادت فى بعض الانواع على الف ميل فى الساعة ، ومعنى ذلك ان مرور طائرة بأخرى ـ فى الجو ـ لا يستغرق جزءا يمكن حسابه من الثانية .. وهى فترة لا يمكن لليد والعين ان تبادرا فيها الى اى عمل !.. هذا ، بينما تعمل الاجهزة الاليكترونية لفورها ، فان اللحظة الخاطفة التى يستغرقها الضوء فى الانعكاس على جهاز « الرادار » تكفى لتشغيل الدوائر الحساسة المعقدة فى هذا الجهاز ، ثم اطلاق المدافع أو دفع أية قذيفة .. **كل هذا فى أقل من جزء من ألف من الثانية !** .. ولن يلبث ان يغدو فى وسع الطيار أن يوجه النيران الى أية طائرة اخرى دون ان يراها مطلقا ، بفضل الرادار !

سوف تعمل الاسلحة دون توجيه من الانسان !

• **وعلى** الرغم مما فى هذا من غرابة ، فانه ليس سوى تطور منطقى لاجهزة موجودة بالفعل ، كالرادار والخلية الضوئية الكهربائية .. بل لقد تسنى ـ قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية ـ الاستغناء عن المخ الآدمى الى درجة كبيرة . إذ ادت أجهزة تقدير المدى والاجهزة الحاسبة الدقيقة الى الاستغناء

عن العنصر الآدمى ، ولولا ذلك لقصرت الاسلحة المضادة للطائرات عن اداء رسالتها

ولسوف تكون الخطوة التالية فى هذا التطور ممثلة فى توجيه واطلاق الاسلحة دون أى تدخل آدمى . **بل ان الاهداف ستتولى بنفسها اطلاق الاسلحة المقاومة لاى هجوم عليها ، فى كثير من الاحوال .** وقد حدث هذا بالفعل فى حالة القنبلة ذات فتيل الاقتراب ، التى تنطلق من المدافع المضادة للطائرات .. فان اشارات الرادار الموجهة من القنبلة ترتد بوساطة الهدف – وهو الطائرة المغيرة – حتى اذا صارت القنبلة والهدف فى المجال المناسب ، اشتعل الفتيل . **ولما كان فتيل الاقتراب لا يفيد الا اذا مرقت القنبلة قرب الهدف ، لذلك فمن المنتظر ان تبتكر فى المستقبل وسائل تكسب الهدف قوة تجعله يجذب القذيفة المضادة له ، فتندفع نحوه من تلقاء ذاتها ، مهما تكن السرعة التى يبتعد بها عن اتجاهها الاصلى .** كذلك سيصبح فى الامكان تحقيق هذه الغاية ذاتها بتأثير الظل ، فتندفع القذيفة المضادة للطائرات فى الاتجاه العام للطائرة المغيرة ، حتى اذا وقع ظل الطائرة على خلية ضوئية كهربائية – وهى ماتسمى تجاوزا بالعين السحرية – تحولت القذيفة نحو الاتجاه الصحيح للطائرة !

ومما لاشك فيه أن هذه الطريقة – التى تسمى «التبييت» – ستطبق ايضا على المقذوفات البعيدة المدى ، بحيث تكفى الحرارة المنبعثة من مصنع كبير لجذب القذيفة اليه ، **وبحيث يصبح دفء المدن الكبرى جاذبا للصواريخ الموجهة من مسافات شاسعة .** وهذا قد يقود الى استغلال الحرارة للتمويه ، كوسيلة دفاعية ، وذلك لتحويل القذائف الموجهة عن أهدافها . كما أن من المحتمل – فى المستقبل – استغلال اشارات «التبييت» عن طريق **تزويد عملاء الطابور الخامس بأجهزة ارسال صغيرة الحجم تطلق اشارات لتوجيه قذيفة**

أطلقت من آلاف الأميال !

وهكذا نرى ان كل تقدم فى هذا المجال يمكن استغلاله فى الناحيتين الهجومية والدفاعية .. ولما كانت القذائف الموجهة باللاسلكى تتيح للمدافعين فرص السيطرة عليها كلما اقتربت من أهدافها ، فانى أتصور ان دولا بأكملها ستصبح - فى المستقبل - محوطة بشبكات من الرادار ، حتى اذا ما اخترقها أى مقذوف اوطائرة معادية ، اندفعت منها الاشارات تترى ، فتنشط فى التو وسائل الدفاع !

سوف يستخدم الانسان تقلبات الجو فى الحروب !

• **ولقد** أصبحت الحرب الحديثة حربا شاملة ، بمعنى أن كل أنواع المخترعات العلمية والمبتكرات الفنية تتعرض للبحث والدراسة لاستغلالها فى مختلف نواحى الصراع . **ويتجه العسكريون الى وجوب تركيز العمليات الهجومية على موارد القوة الاقتصادية عند العدو ، بدلا من توجيهها الى القوات المقاتلة وحدها** .. وذلك لان تضخم الجيوش وتعدد أسلحتها جعلها تعتمد - الى درجة كبيرة جدا - على الصناعة، بحيث أدى تطور وسائل التسليح والتموين الى أنه فى مقابل كل جندى فى الميدان ، لابد من وجود عشرة أشخاص يعملون فى القاعدة لتجهيز مايحتاج اليه هذا الجندى من سلاح وعتاد وغذاء . ومن ثم فان تركيز الهجوم على مصادر السلاح والعتاد والتموين يكون ذا أثر جد فعال فى تحقيق النصر النهائى ..

ثم ان فن السيطرة على الجو تقدم تقدما كبيرا منذ عام ١٩٣٩ ، بحيث تسنى تكييف الأمطار واصطناع الضباب والجليد **ومن ثم فمن المنتظر - فى المستقبل - الاستعانة بتغيير الطقس والظواهر الجوية فى الحروب** . ويكفى ان نذكر ان مجرد نقص الامطار الى النصف فى بقاع معينة من بريطانيا يسبب

من الكوارث ما لا تحدثه عدة غارات جوية عنيفة متتالية عليها! كما أن ازدياد الامطار قد يؤدى الى فيضانات تأتى على الاخضر واليابس !

.. وحرب الجراثيم .. أيضا !

• **ولقد** حدثت ـ منذ نهاية عام ١٩٤٠ ـ تطورات كبيرة فى الحرب البيولوجية ، التى تهدف الى القضاء على الانسان والحيوان والنبات بالعوامل البيولوجية المتنوعة، كجراثيم الاوبئة. **وتدل الأبحاث على أن هذا السلاح لا يقل خطورة عن تفتيت الذرة ، ان لم يعادلها . ولا يتطلب انتاج العوامل البيولوجية انفاق آلاف الملايين من الجنيهات ، وانشاء المصانع الضخمة .** فضلا عن ان فى وسع أصغر الدول ان تنتج السلاح البيولوجى بمساعدة الاخصائيين من البيولوجيين والبكتريولوجيين والكيمياويين والأطباء . واذا كان يتطلب وجود طائرات قوية لالقائه على أهدافه ، الا ان من الممكن كذلك استغلاله عن طريق العملاء والجواسيس . اذ يكفى أن يوضع منه قدر قليل فى خزانات المياه وفى مخازن المؤن ، ليبدأ مفعوله القاتل .. وقد تمر أسابيع قبل أن تفطن الدولة الى انها هدف هجوم ـ من هذا القبيل ـ بدأ بالفعل . ولا يغيب عنا ان المواد البكتريولوجية سهلة النقل بحيث يمكن للمسافر ان يحمل قدرا كبيرا منها فى حقيبة عادية، دون اثارة للشبهات !



ولاسباب متعددة ، نجد ان أغلب الأوبئة الفتاكة لاتصلح كسلاح هجومى ، لاسيما وقد تقدمت وسائل الوقاية ، كالتطعيم . على أن هناك انواعا من الميكروبات و « الفيروسات » ، اثبتت التجارب امكان نشرها بالطائرات . وقد وضعت وزارة الحرب الأمريكية ـ منذ حين ـ جدولا يحوى ثلاثة وثلاثين نوعا ، منها فيروس حمى الببغاء ، وهو شديد العدوى بدرجة فظيعة ! ومنها « توكسين البتيولين » ، وهو سم زعاف قد يكون له شأن فى حروب الغد

واذا كانت الأبحاث التى أجريت قبل الحرب العالمية الثانية قد أوحت بأن حرب الجراثيم ليست فعاله ـ بسبب تقدم الاجراءات الصحية الوقائية ـ **فان التطور الذى حدث بعد الحرب جعل فى الامكان احداث تغييرات فى جوهر الجراثيم عن طريق الاشعاع ، مما يجعلها قادرة على خلق أمراض جديدة تستعصى على مالدينا من وسائل الوقاية ، ولا تكتشف الا بعد أن تكون قد انتشرت بشكل وبائى !** وهذا ـ الى جانب سهولة الهجوم البيولوجى ـ يبرر مايذهب اليه البعض من أن حرب الجراثيم ستكون أشد فتكا من الأسلحة الذرية !

سحاب محمل بالاشعاع الذرى .. بدل السحاب الممطر !

• **وهناك** نوع آخر من الأسلحة قد يكون له أثره فى الحروب المقبلة .. فلقد أصبحت الغازات الخانقة سلاحا قديما .. وهو لم يستخدم فى الحربين العالميتين الاخيرتين ، الا لأن كل اكتشاف لغازات جديدة قوية المفعول ، كان يعقبه ـ على الدوام ـ ابتكار وسائل وقائية مضادة لها . على أن التفتيت الذرى ينتج كميات من غبار شديد الاشعاع هو أقوى مفعولا من الغازات الخانقة ، بل ومن القنابل الذرية نفسها ، اذ تتمكن كمية ضئيلة منه من نشر الهلاك فى بقعة كبيرة ، لأسابيع

متوالية قد تمتد الى سنوات . **وقد أجرى العلماء الأمريكيون تجارب لنشر سحب من الغبار المشع ، ولتزويد الفازات الخانقة بقوة اشعاعية لاتجدى الكمامات فى الوقاية منها !**

وبمناسبة الحديث عن التفتيت الذرى ، يمكن القول بأن القوة التدميرية لقنبلة ذرية واحدة ، تعادل قوة ألف قاذفة قنابل ضخمة محملة بمادة « ت.ن.ت » ، وهى أقوى المتفجرات ، فضلا عن أن تفجير القنبلة الذرية هوأشد تركيزا واطول مدى ومفعولا من تفجير غيرها من القنابل ، كما أن من المحتمل فى ايامنا هذه تفجير القنابل الذرية ، لا لمجرد استغلال أثرها التدميرى المباشر ، وانما لجعل منطقة واسعة مفعمة بالخطر المهلك لكل من يلجها لمدة معينة . **وبهذه الطريقة يمكن خلق مناطق اشعاعية حول قوات العدو ، تشل حركتها وتمنع كل تقدم لها**

ومن المسائل التى تدرس الآن ، تزويد الصواريخ البعيدة المدى برؤوس ذرية !

دبابات موجهة .. ودبابات طائرة !

• **ولسوف** يجرى القتال ـ فى الحرب العالمية المقبلة ـ على نطاق جغرافى واسع المدى ، حتى ليشمل الكرة الأرضية بأسرها . ولكن هذا لن يغنى القوات المقاتلة عن احتلال الاراضى ، ومن ثم فاننا نتوقع ابتكار أسلحة جديدة لهذا الغرض .. وربما اتجه التقدم نحو تشكيل قوات ضاربة صغيرة ، سريعة الحركة قوية التسلح ـ بدلا من حشد الجيوش الجرارة ـ ومن ثم فلابد من ان تتطور السيارات المدرعة والدبابات فتزداد سرعتها وقوة نيرانها . **ومن المرتقب ابتكار دبابات موجهة باللاسلكى ، تستغل كل دبابة منها كقذيفة موجهة تسير على الأرض بدلا من ان تطير فى الهواء ، فتنقض على العدو وهى ممتلئة بالمتفجرات ، بينما يكون موجهوها فى مراكز آمنة !**



ولسوف يتمكن الاخصائيون من ابتكار دبابات رفيعة الدروع ، تستطيع الطيران لمسافات قصيرة لتجاوز مايعترضها من عوائق ، ودبابات تستطيع أن تحفر الارض لتختبىء اذا مااشتد عليها الهجوم (١)

ويضيق اليوم نطاق التفرقة بين القوات المحاربة الثلاث ـ البرية والبحرية والجوية ـ اذ تقوم الثانية والثالثة بنقل الأولى ، كما تقوم هذه بالاستيلاء على القواعد البحرية والجوية وبالدفاع عنها . وعلى الرغم من التطور السريع فى النقل الجوي ، فاننا لن نتمكن ـ لسنوات عديدة ـ من الاستغناء عن النقل البحرى ، مما يتطلب تعزيز وسائل الدفاع عن الأساطيل البحرية ضد الهجوم الجوى . **ومن ثم فستكون بوارج الغد عبارة عن مطارات عائمة تستطيع أن تشن الهجوم على بعد مئات الأميال** . كذلك يجرى العمل الآن فى بناء غواصات وسفن حربية تعمل بالقوة الذرية ، فتستغنى عن قواعد التموين بالوقود ، لأن بضعة أرطال من الوقود كفيلة بأن تمكنها من السير شهورا طويلة (٢)

حرب الغواصات .. تحت الماء !

• **ويطرد** العمل فى تحسين الغواصات ، فتصنع الآن

---

(١) نشر منذ عهد قريب ان الاتحاد السوفيتى تمكن من انتاج الدبابات الموجهة والدبابات الطائرة والحافرة

(٢) نجحت الولايات المتحدة فى تحقيق هذه النبوءة بالفعل

غواصات تستطيع ان تظل تحت الماء عدة أشهر . وعلينا أن نتوقع نوعا من التطور فى صناعة الغواصات ليتسنى توجيهها لأغراض خاصة . وقد أجريت تجارب لاستخدام نوع من الغواصات لنقل القوات عبر المحيط الاطلنطى ، بحيث تستطيع الواحدة منها نقل مائتين وخمسين جنديا . **ومن المتوقع بناء غواصات تستخدم كقواعد لتوجيه المقذوفات فتقطع الغواصة مسافة ١٠٫٠٠٠ ميل - مثلا - تحت الماء ، ثم تقذف بصاروخ لمسافة ٥٠٠٠ ميل أخرى ، وهى فى جوف الماء ، فتتساوى غواصة الغد ببارجة اليوم !**

وسيتطلب كل هذا التطور ابتكار وسائل دفاعية جديدة ضد الغواصات .. وربما أمكن انتاج ألغام مضادة تتجه من تلقاء ذاتها نحو الهدف ، فهى تبقى ساكنة تحت الماء ، الى أن يحركها مرور غواصة ، سواء تم التحريك بفعل الصوت أو بتأثير كهربائى ، وبذلك يتحول اللغم الى طوربيد .. كما سيكون فى الامكان مهاجمة الغواصات عن طريق جهاز التنفس فيها ، وذلك بمواد خاصة يمتصها الجهاز فتفسد محرك الغواصة او تسمم جوها .. **وهكذا نرى انه من المستحيل ايجاد سلاح حاسم دون ان تنشأ فى نفس الوقت وسائل مقاومته !**

ومن المنتظر فى المستقبل انتاج أساطيل من البوارج تسير بتوجيه لاسلكى . وقد امكن تنفيذ هذه الفكرة بين الحربين العالميتين ، اذ وجهت البارجة « سنتوريون » باللاسلكى . ولكن فن التوجيه اللاسلكى تطور - منذ ذلك الحين - تطورا كبيرا . وقد انتجت الولايات المتحدة فى نهاية الحرب العالمية الثانية عددا من البوارج الموجهة التى تقترب من الشواطىء لتوجيه قذائفها الى أهداف خاصة ، والتى تبعث الى سفن المراقبة البعيدة صورا باللاسلكى لمعالم البر المواجهة لها. ولكن من المنتظر ان تتطور هذه الوسائل الهجومية الفعالة ، وان يتسنى انتاج

سفن برية مائية كبيرة ، تزحف على شواطىء الاعداء وهى محملة بالمتفجرات ، لنسفها . وقد صنعت بالفعل - فى نهاية الحرب الماضية - سفن صغيرة كانت سرعتها فى الماء سبعة عشر ميلا فى الساعة ، وعلى الأرض خمسة عشر ميلا فى الساعة ، وكانت تحمل نصف طن من المتفجرات

السيطرة على الكرة الأرضية .. من الجو !!

• **والتطور** الكبير فى الطائرات الحربية يجعل من العسير وضع حدود لسرعتها ومداها وحمولتها خلال العشرين عاما القادمة . وعلينا أن نذكر أن المحرك النفاث لايزال حديث عهد ، وانه اثبت كفاءة فى طبقات الجو العليا ، اذ ان الطائرات النفاثة لاتحتاج الى هواء فى اندفاعها - كالطائرات العادية - ومن ثم فهى لا تحتاج فى طبقات الجو العليا ، حيث الهواء مخلخل ، الى اكثر من جهد آلى بسيط كى تصل فى سرعتها الى ألف ميل فى الساعة ، أو اكثر .. ولن يلبث أن يتسنى تمكين هذه الطائرات من الوصول الى ارتفاع أربعين الف قدم فى الفضاء ، دون استهلاك كبير فى الوقود !

ولقد أمكن بالفعل انتاج صواريخ ترتفع الى مائتين وخمسين ميلا ، ومن المنتظر ان يزداد هذا المدى فى المستقبل القريب ، كما ينتظر نجاح الجهود التى تبذل لتحقيق فكرة الصاروخ الذى يحمل جنديا . ومن المتوقع كذلك ابتكار صاروخ يستطيع الانطلاق متجاوزا نطاق الجاذبية الأرضية فى مدة أقصر مما نتصور **.. فنحن لاننسى مطلقا أنه لم يمض بعد أكثر من نصف قرن على تمكن الانسان من الارتفاع فى الفضاء بآلة أثقل من الهواء !.. والطيران خارج أجواء الكرة الأرضية عظيم الأهمية من الناحية العسكرية ، اذ انه يمكن من السيطرة على الكرة الأرضية بأسرها !**

وهذا الحدث ليس بعيد الاحتمال ـ كما يبدو ـ لاسيما وان الولايات المتحدة توشك على الفراغ من صنع تابع أرضى صناعى ، أى كوكب صناعى يدور فى فلك الأرض ، وعلى بعد بضعة آلاف من الأميال منها !.. وأساس فكرة الكوكب الصناعى هو دورانه حول الأرض كالقمر ، لفترة تتوقف على مدى بعده عن الكرة الأرضية . فاذا تسنى اختيار البعد الصحيح ، استطاع الكوكب الصناعى أن يواجه على الدوام أحد نصفى الكرة الأرضية ـ كما يفعل القمر ـ طيلة المدة المنشودة

هلاك البشرية .. وهل أصبح وشيكا ؟!

• **ولقد** كانت الخطة الأصلية للافادة من الكوكب الصناعى ، هى استغلاله ـ بعد نجاح التجربة ـ كحل لمشكلة الاتصالات اللاسلكية والتليفزيونية البعيدة المدى . ورؤى أن اطلاق أربعة كواكب صناعية فى الفضاء كاف لتغطية الكرة الأرضية بأسرها ، بحيث يمكن اصدار واستقبال الرسائل اللاسلكية بين هذه الكواكب وكل شبر فى الأرض . وهذا يمهد الطريق الى سلاح فعال فى الحروب المقبلة التى ستلعب فيها الاشارات اللاسلكية بمختلف أنواعها ، دورا رئيسيا ـ ان لم يكن حاسما ـ فى المواصلات وفى توجيه القذائف

لهذا ففى وسعنا ان نتصور اتجاه الجهود فى المستقبل الى انشاء «قواعد فى الفضاء» للسيطرة على الاثير ، وللهجوم على أية مناطق معينة على الأرض ، بمختلف أنواع القذائف .. ويمتاز الهجوم الموجه من الكواكب الصناعية على أى هجوم موجه أرضى ، بأن البلد أو البلدان التى تتلقى الهجوم ، لا تستطيع أن تعرف الدولة الغريمة التى تهاجمها ، ولا تملك أن تغير على قواعدها او ان تقوم ضدها بأية اجراءات انتقامية !

ومن المسلم به ان الدقة الفنية التى يتطلبها مثل هذا المشروع ستكون على مستوى عال جدا ، لان مجرد خطأ لا يتجاوز عشر الميل فى الثانية ، فى السرعة المبدئية للصاروخ ، قد يؤدى الى انحراف القذيفة الموجهة من الكوكب الصناعى ببضعة آلاف من الأميال عن هدفها . كذلك يتطلب الأمر رفع القذائف الى الكوكب وتجميعها هناك ، واطلاقها فى ظروف صعبة للغاية ، بسبب انعدام الهواء حول الكوكب الصناعى وعدم وجود الجاذبية

على أن فكرة الهجوم الكوكبى ليست ـ بوجه عام ـ سوى تأملات تتسق وتتمشى مع التطور . ومالم يتسن للبشرية الوصول الى اتفاق سلمى قبل التمكن من الوصول الى الكواكب أو من اقامة كواكب صناعية ، فان احتمالات هلاك البشرية تتضاعف .. وقد يقول قائل ان الهجوم الكوكبى ليس سوى « اغراق فى الخيال » ، ولكن .. ألم يكن اطلاق الصواريخ عبر الفضاء « اغراقا فى الخيال » لدى اجدادنا منذ مائة عام فقط ؟!

وفى الحلقة القادمة يحدثنا البروفيسور « لو » عن :
الجريمة والعقاب والأخلاق فى عالم الغد



السلوك الجنسى

(لـدى المـرأة)

الكتاب الذى هز الولايات المتحدة من أقصاها إلى أقصاها!

للباحث الأمريكى الكبير "الفريد كينزى" وآخرين

تجاهل المشكلات الجنسية .. لا يوقف الخطر !

◆ ان اهمال مواجهة الدراسات الجنسية لن يمنع قيام المشكلات الناشئة عن الجنس ، بل انه قد يضاعف من تفشيها ، ومن خطورتها على كيان كل مجتمع مهمل !.. والذى يعطينا الدليل على هذا القول ، النتائج بل « الأهوال » التى أسفرت عنها دراسات الباحث الأمريكى الكبير الدكتور ألفريد كينزى ، ومئات العلماء المساعدين ، بعد خمسة عشر عاما من البحث والعمل فى هذا الميدان المترامى الأطراف .. ميدان الجنس !.. وهانحن نضع تلك «الأهوال» تحت أنظار المسئولين والمصلحين فى الامة العربية ــ وذلك بنشر ملخص واف لهذه الدراسات والأبحاث على حلقات ــ علهم يستطيعون أن يفيدوا من تجارب الغير فى علاج أمراض المجتمع العربى

وفى الحلقة التى يقدمها «كتابى» اليوم ، سوف يلمس الجميع مدى خطورة بعض تصرفات الانثى منذ باكورة طفولتها ، وهى خطورة قد يعمى الجهل أو التجاهل عن تبين مداها وتقدير عواقبها !

كيف تكتسب الفتاة معرفتها بالحقائق الجنسية ؟

◆ **دلت** دراساتنا على ان كثيرا من الاناث اللاتى ضمتهن عيناتنا ، اكتسبن اولى معرفتهن بالجنس عن طريق اتصالاتهن بالصبية وبالفتيات الأخريات ، قبل البلوغ . وقد تضمنت هذه المعرفة أشياء عن حقائق الأعضاء التناسلية لدى الذكر ولدى الأنثى ، وعن التناسل، وعن الاستمناء ، وعن الغزل والمعابثة ، وعن اساليب الجماع ، وعن قيمة النشاط الجنسى للبالغين . والواقع ان كثيرا من الاتصالات تم كنتيجة للحديث فى هذه المسائل .. **ومعظم المعلومات التى اكتسبت تمثل شطرا من التربية الضرورية التى يحرص كثير من الأهل على تفادى تقديمها لبناتهم فى أية مرحلة من السن !**

ولقد اكتشفت نسبة كبيرة من الاناث ، خلال اتصالاتهن الجنسية قبل البلوغ ، مدى أهمية الاثارة الحسية والتهييج الى درجة ذروة اللذة . على ان الأكثر أهمية من هذا ــ بالنسبة

لاتجاهاتهن الجنسية فى النهاية ـ هو ان كثيرات منهن تعلمن كيف يستجبن للاتصالات الجنسية ، وحصلن من هذه الاتصالات، السابقة على البلوغ ، على ارضاء عاطفى كان له أثره فى مدى تقبل الأنثى منهن للنشاط الجنسى فيما بعد !٠٠ **ولقد كان من جراء الانتباه الى ما فى هذه التجارب الصبيانية من ذنب ان تولد لدى عدد ليس بالقليل من هؤلاء الاناث رد فعل سيىء ازاء هذه الاتصالات ، لا سيما فى الحالات التى اكتشف فيها الكبار ماكانت الفتيات يفعلنه ، فأوقعوا بهن عقابا أو أقذعوا فى لومهن وتأنيبهن !** وقد ادى رد الفعل الى الحيلولة دون قبول الانثى للعلاقات الجنسية قبولا مطلقا بعد كبرها وزواجها !٠٠ أما فى الحالات التى لم يكشف فيها الآباء عن أى غضب أو ثورة، عند اكتشاف انغماس بناتهن فى العبث الجنسى ، فاننا لم نعثر على ما ينم عن ان التجربة احدثت اى ضرر فى تكيف اولئك البنات واستعدادهن الجنسى بعد كبرهن وزواجهن

ومن أغرب الحقائق ، ان البنات اللائى مارسن العبث الجنسى قبل البلوغ ، ندر ان استأنفنه بعد البلوغ ، على العكس من الذكور ! ويبدو ان هذا راجع الى العرف الاجتماعى ، وليس الى اى شىء يتعلق بالاستعداد البدنى او النفسى للفتاة ٠ ومثل هذا التحول لا يرى فى معظم الحيوانات الثديية البدائية ، كما انه لا يشاهد بين اناث الطبقة الدنيا فى أمريكا ٠

الآباء لا يتركون أبناءهم أحرارا !

◆ **والواقع** ان الآباء يزدادون تقييدا لحرية الصغار فى الاتصال بالجنس الآخر ، كلما ازداد هؤلاء الصغار اقترابا من المراهقة ٠ وهم قد يذهبون الى تحذير الفتى او الفتاة من القبلات ، ومن الاحتكاكات الجسدية ، ومن الكشف عن الأعضاء التناسلية ، ومن الاتصالات الجنسية عامة ٠ وتتعرض الفتيات ـ فى معظم الحضارات والثقافات ـ لقيود أكثر من تلك التى

يتعرض لها الفتيان ·· فنحن نجد ان فرص انفراد الفتاة مع غيرها من الصغار – فى أوربا وأمريكا اللاتينيـــة والولايات المتحدة – تقل كثيرا عن فرص اختلاط الفتى بغيره وانفراده معهم · ويرى «فرويد» وكثيرون ممن اتبعوا آراءه ، ان توقف اللعب مع ابناء الجنس الآخر – فى السنوات القلائل السابقة على البلوغ – يمثل فترة من الانطواء الجنسى ، يكمن خلالها الجنس متواريا فى أعماق الصبى أو الفتاة · **ولكن دراساتنا تشير الى ان الأمر على العكس من هذا ، والى ان هذه الفترة هى فترة سكون او تعطل للنشاط الجنسي ، نتيجة القيود التى تفرضها الحضارة على اختلاط الناشىء بأقرانه من الجنس الآخر، لاسيما اذا كان هذا الناشىء انثى**

ومن ناحية أخرى ، نجد ان هذا التعطل قد لا يشمـــل الاستمناء ، لأن هذا اللون من النشاط الجنسى يرافق الناشىء من الفترة السابقة على البلوغ الى فترة المراهقة ، ولأنه لا يخضع مباشرة للقيود الاجتماعية الجنسية التى تفرض على الناشىء · وهذا – فى حد ذاته – دليل آخر على ان الانطواء الذى يذهب اليه «فرويد» أمر لا وجود له فى هذا الصدد !

٢٤ ٠/٠ من الاناث لهن تجارب جنسية قبل البلوغ !

• **ويزداد** الاهتمام فى حضارتنا بالاتصالات الجنسية التى تقع بين الصغار – قبل البلوغ – وبين الكبار البالغين · وترى الأغلبية ان مثل هذه الاتصالات غير مستحبة لما قد تؤدى اليه من اضطرابات لدى الصغار ، ولما قد يكون لها من عواقب ضارة فى تكييف هؤلاء واستعداداتهم الجنسية فى المستقبل ، وفى حياتهم الزوجية بوجه خاص · والبيانات التى جمعناها من ٤٤٤١ أنثى – من العينات التى اجرينا عليها أبحاثنا – تدل على وجود اتصالات جنسية قبل البلوغ بذكور بالغين ، وعلى

كثرة تكرر مثل هذه الاتصالات . والذكر البالغ ـ كما نقصده هنا ـ هو الذى تحقق بلوغه والذى لا تقل سنه عن خمس عشرة سنة .. ولكى تكون دراستنا أقرب الى الدقة والصحة، لم نعن فى تحليلنا الا بالحالات التى كان فيها الذكر أكبر من الأنثى ـ التى دون البلوغ ـ بخمس سنوات على الأقل . وعلى هذا الأساس نجد ان ٢٤ فى المائة ـ اى ١٠٧٥ ـ من الاناث اللاتى درسنا حالاتهن ، قد تعرضن قبل البلوغ لذكور بالغين حاولوا اجراء اتصالات جنسية معهن ، أو أجروها بالفعل .. فى حين ان ثلاثة أرباع الاناث لم يعرفن مثل هذه المحاولات!

وهذه المحاولات اكثر ما تكون حدوثا فى الأوساط الفقيرة فى المدن ، حيث يشتد الازدحام فى مناطق السكنى .. على ان معدل مرات هذه المحاولات منخفض فى الواقع ، لأن حوالى ٨٠ فى المائة من الاناث اللاتى تعرضن لها لم يمارسن التجربة سوى مرة واحدة قبل البلوغ، فى حين ان ١٢ فى المائة مارسنها مرتين فقط . وكانت التجربة لدى ٣ فى المائة منحصرة فى الفترة بين الثالثة والسادسة من أعمارهن .. ووجدنا ان ٥ فى المائة مارسنها بمعدل تسع مرات ـ او اكثر قليلا ـ فى السنوات السابقة على البلوغ . **وكان التكرار ، فى الغالب ، فى الحالات التى كان الاتصال يتم فيها بين الفتيات وذكور من الاقارب يقيمون معهن فى مسكن واحد** . وقد تسنى التكرار فى كثير من الحالات نتيجة استمراء الفتاة للنشاط الجنسى وسعيها الى هذا التكرار بنفسها !

آباء .. لا يتورعون عن العبث مع بناتهم !

● **واذا** نحن نظرنا الى أعمار أولئك اللاتى عرفن الاتصال الجنسى بالبالغين قبل سن بلوغهن ، لوجدنا ان ٥ فى المائة منهن ـ اى واحد فى المائة من مجموع العينات ـ عرفنه فى سن الرابعة، وتزداد النسبة تدريجيا بحيث تصل الى ١٦ فى المائة منهن ـ

أى ٤ فى المائة من المجموع ـ فى سن التاسعة ، و٢٦ فى المائة ـ اى ٦ فى المائة من المجموع ـ فى سن العاشرة ، ومثلها فى سن الحادية عشرة ، و ٢٥ فى المائة ـ اى ٧ فى المائة من المجموع ـ فى سن الثانية عشرة ، ثم تهبط النسبة الى ١٩ فى المائة فى سن الثالثة عشرة

أما الذكور الذين اتصلوا بأولئك الفتيات غير البالغات ، فكان ٥٢ فى المائة منهم أغرابا عن زميلاتهم ، و٣٢ فى المائة من الأصدقاء والمعارف ، و٩ فى المائة من الأعمام أو الأخوال ، و٤ فى المائة من الآباء ، و٣ فى المائة من الأشقاء ، و٧ فى المائة من غير هؤلاء من الأقارب ! .. وقد ظهر ان ٨٥ فى المائة من اولئك الفتيات لم يتصلن بأكثر من ذكر واحد قبل بلوغهن، وان ١٣ فى المائة عرفن زميلين مختلفين ، وواحدا فى المائة ثلاثة ذكور ، وواحدا فى المائة أربعة أو أكثر !

أما طبيعة الاتصالات ، فكانت على هذا النحو : ٩ فى المائة مجرد مراودة ، و٥٢ فى المائة كشف لأعضاء الذكر التناسلية ، وواحد فى المائة كشف لأعضاء الأنثى التناسلية ، و٣١فى المائة عناق دون اتصال للأعضاء التناسلية ، و٢٢ فى المائة تحسس لعضو الأنوثة ، وواحد فى المائة اتصال بعضو الأنوثة عن طريق الفم ، واتصال بعضو الذكورة عن طريق الفم ، و٣ فى المائة جماع حقيقى [!]

وتدل الاحصاءات عامة على أن معظم الذكور الذين اشتركوا فى تجارب الكشف عن الأعضاء التناسلية لم يفعلوا ذلك عن عمد ، ولم يقصدوا ان يلحقوا اذى بالفتيات اليافعات . وانما يتوقف الارضاء الذى ينشده أمثال هؤلاء الذكور البالغين على الانفعال الحسى الذى ينالونه عن طريق الجزع أو الدهشة او الحيرة التى تنتاب الصبية عند هذه التجربة ! **على انه يتوقف ـ الى حد أكبر ـ على الانفعال الشهوى الذى يحس به الصبى وهو يتجاوز الأخطار الاجتماعية والقانونية التى يتعرض لها**

اذ يقارف سلوكا مجرما !

على اننا رغم هذه الدراسات ، والدراسات التى قام بها غيرنا فى هذا الميدان ، نرى ان ليس من الميسور الجزم - حتى الآن - بنتائج قاطعة تبين أهمية أو خطورة الاتصالات الجنسية بين البنات غير البالغات والذكور البالغين . **وكل الذى تكشف عنه الدراسة هو ان الشعور الذى انتاب الفتيات - اللاتى حصلنا منهن على هذه البيانات - كأن يتراوح بين الاهتمام ، والفضول، والانبساط ، والحيرة ، والخوف ، والفزع ، والانزعاج الناشىء عن الشعور بالاثم** . وفى ٥ فى المائة من الحالات ، كان الاتصال يرقى الى تحقيق التهييج الحسى للفتاة ، كما انه فى واحد فى المائة من الحالات كان يحقق ذروة اللذة لها !

المراودة تولد انفعالا « هستيريا » لدى الصغار !

• **ولو** اننا نظرنا الى هذه الناحية بوجه عام - يشمل الاناث والذكور - لوجدنا ان ٨٠ فى المائة من غير البالغين قد تعرضوا لاضطرابات عاطفية أو لخوف من جراء الاتصال بالبالغين . وقد كانت الاضطرابات خطيرة لدى نسبة صغيرة منهم . ولو لم يكن الصغير متأثرا بالحضارة ، او بالأحرى ، بالعرف السائد فى المجتمع ، لكان من المشكوك فيه ان يتعرض الصغير لاى اضطراب من جراء الاتصالات الجنسية التى أوردنا صورها

ذلك لأن الصغار الذين يتلقون دائما تحذيرات أهلهم ومدرسيهم من الاتصال بالبالغين ، دون ان يتلقوا تفسيرات تبرر طبيعة تحريم هذه الاتصالات ، يصابون بانفعال بالغ - (هستيرى !) - بمجرد مراودة الكبار لهم ، أو بمجرد اعتراضهم لطريقهم أو مداعبتهم اياهم أو اغرائهم على أى عمل ، ولو لم يكن فى ذهن الكبار أى غرض جنسى ! .. ويرى بعض المتعمقين فى دراسة مشكلات الأحداث ، ان رد الفعل العاطفى الذى يصدر عن الآباء أو رجال البوليس أو غيرهم من البالغين -

عند اكتشاف علاقة من هذا القبيل بين كبير ويافع ـ قد يكون أكثر اضرارا بهذا اليافع من الاتصال الجنسى ذاته !٠٠ ومن ثم فان التهوس المألوف ، والضجة المعهودة بصدد المخالفات الجنسية ، قد تكون لهما آثار خطيرة على مقدرة الصغيرفى تكييف نفسه واعدادها عندما يتزوج فى كبره !

على أبواب البلوغ

◆ **لا تكاد** الأنثى تجتاز العقد الأول من عمرها حتى ينشط نموها الجسدى بسرعة اكبر من ذى قبل ، فيظهر لديها شعر العانة والابطين ، ويكبر ثدياها ، ويقترب تشكل جسدها من نضوجه ، ثم تحيض للمرة الأولى ٠ وفى هذه الفترة ينضج مبيضاها ويشرعان فى افراز البويضات القابلة للاخصاب وللتحول الى نطف ثم أجنة ثم آدميين ٠٠ **هذه الفترة هى التى عرفت باسم «فترة المراهقة» ، وتصحبها عدة مظاهر للنمو البدنى ، لا تبدأ كلها ـ ولا تنتهى ـ معا أو فى وقت واحد ٠** على أنه من الممكن القول بأن اكتمال نواحى النمو لدى الفتاة المراهقة يستغرق ـ فى المتوسط ـ مابين ثلاث وأربع سنوات تقريبا ٠٠ هذا فى حين ان التطور ذاته لا يبدأ عند الذكر الا بعد عام او اثنين من بدايته عند الانثى ، كما انه يستغرق عادة اربع سنوات أو اكثر كى يكتمل ٠ **ومن ثم فان النمو البدنى للفتاة يتم بأسرع ممايتم لدى الفتى ، فهى «تنضج» قبله نسبيا !**

ومن المألوف ـ سواء فى التفكير العادى أو فى الدراسات العلمية ـ اعتبار الحيض الأول بداية للبلوغ عند الفتاة ٠ وهذا خطأ ، بل انه ـ لعدة أسباب ـ خطأ مكروه ، فان جزءا كبيرا من النمو البدنى المقترن بالبلوغ ، يبدأ فى الواقع قبل الحيض الأول ٠ وتدل البيانات ـ التى حصلنا عليها ـ على ان ظهور شعر العانة هو اول مظاهر البلوغ ، وانه حدث ، لدى بعض

من درسنا حالاتهن ، حوالى سن الثامنة .. فى حين انه لم يظهر لدى بعض منهن قبل سن الثامنة عشرة . **على انه لدى الأنثى العادية يظهر فى المتوسط فى الشهر الثالث أو الرابع بعد العام الثانى عشر من العمر**

ومع ظهور هذا الشعر ، يبدأ الثديان فى النمو بشكل ملحوظ ، فى الغالب . بل ان بعض المشاهدات تبين ان نموهما قد يبدأ قبل ظهور شعر العانة . وبين العينات التى فحصناها من بدأ نمو الثديين عندها حوالى سن الثامنة ، فى حين انه لم يبدأ لدى بعض الاناث قبل سن الخامسة والعشرين . **على انه يبدأ فى المتوسط - لدى الفتاة العادية - فيما بين الشهرين الرابع والخامس بعد سن الثانية عشرة** . ومن العسير تحديد معدل النمو عامة نظرا للسرعة التى يسير بها التطور فى هذه المرحلة . الا ان البيانات التى حصلنا عليها ، تدل على ان **اكتمال التطور يتم فى مراحل من العمر تتراوح بين سن التاسعة وسن الخامسة والعشرين** .. وهو فى المتوسط يتم عادة فى الشهر الثامن من بعد العام الخامس عشر من العمر .

الحيض الأول ليس دليلا على نضوج الفتاة جنسيا !

◆ **أما** الحيض الأول ، فيحدث - على ضوء بيانات عيناتنا - فيما بين التاسعة والخامسة والعشرين ، ولكنه فى المتوسط يحدث فى سن الثالثة عشرة . **وبالنسبة للفتاة العادية ، ينقضى حوالى ثمانية شهور ونصف الشهر بين ظهور شعر العانة ونمو الثديين وبين الحيض الأول** .. وهذه الظاهرة بالذات ، من الأحداث الهامة فى حياة الفتاة ، وكثيرا ماتكون من الأحداث المحفوفة بالاضطرابات النفسية . ولكن من العسير - لسوء الحظ - الجزم بموعد الحيض الأول ، لأنه يتوقف على عدد كبير من العوامل ، أهمها يتعلق بالهرمونات وليس بأى نمو عضوى . وقد اكتشفنا انه فى بعض حالات قليلة حدث قبل ظهور أي

عرض من أعراض التطور البلوغى ! كما انه قد يتأخر عنها ــ فى حالات ليست بالقليلة ــ عدة سنوات • **ومن ثم فليس من الحكمة الاعتماد على الحيض الأول كدليل على البلوغ**

ومن المعتقدات الشائعة ، ان ظهور الحيض دليل على نضوج الفتاة جنسيا وقابليتها لانجاب النسل • على ان الدراسات الحديثة أوضحت ان **افراز البويضات من المبيضين لايقترن دائما بظهور الحيض • بل ان هناك حالات معروفة تثبت وجود البويضات المخصبة وحدوث الحمل قبل ظهور الحيض تماما (١)** •• على أن الذى يحدث فى أغلب الحالات ، هو ان الأنثى العادية لا تفرز بويضات مخصبة فى الأعوام الأولى التالية لظهور الحيض الا لماما ومصادفة • وتسمى هذه المرحلة مرحلة « البلوغ العقيم » • على ان افراز البويضات المخصبة لا يستكمل انتظامه ـ فى الغالب ـ بحيث يتم فى كل دورة شهرية للحيض ، الا فيما بين السادسة عشرة والثامنة عشرة فى المتوسط

الفتاة تبلغ أوج نضجها فى الخامسة والعشرين !

◆ **على** ان هذه التطورات البدنية كلها ، وان دلت على نضوج الأنثى بالدرجة التى تمكنها من انجاب النسل ، الا انها لا تبدو ذات صلة كبيرة بنمو الاستجابة الجنسية لديها • ذلك لأن التهييج الحسى يبدأ عند الانثى قبل البلوغ ـ كما ذكرنا ـ ويمضى فى النمو باطراد خلال فترة المراهقة ولبضع سنوات بعدها • واذا كان التهييج وبلوغ ذروة اللذة كثيرا مايحدثان فى فترة المراهقة ، الا انهما لا يبلغان اقصى نموهما الا فى حوالى الخامسة والعشرين بل وبعد الثلاثين فى بعض الحالات !•• **وهذا الاختلاف بين الانثى والذكر ـ الذى يصل الى اوج نشاطه**

---

(١) لعلنا نجد فى هذا تفسيرا لما كان يحدث فى عهود مضت فى الشرق ، من أن بعض الاناث كن يتزوجن و يحملن وهن لم يتجاوزن الثالثة عشرة من أعمارهن •

الجنسى خلال عام أو عامين من بدء بلوغه ـ انما يتوقف على الفوارق الهرمونية الأساسية بين الجنسين

ومن الشائع ان الفتاة أكثر اسراعا فى النضوج الجنسى من الفتى . ويرجع هذا الاعتقاد الى ان أعراض المراهقة تبدو لدى الأنثى مبكرة عنها لدى الذكر ، ولأن النمو البدنى لدى الأولى ـ خلال فترة المراهقة ـ يكون أسرع منه لدى الثانى .. وقد تظهر الخلايا الانتاجية لدى الانثى العادية النمو قبل ظهورها لدى الذكر العادى النمو . على ان القدرة على الانتاج ليست دليلا على ـ ولا هى متمشية مع ـ القدرة على التهييج الحسى والاستجابة الى درجة ذروة اللذة .. وفى هذه الناحية ـ ناحية الاستجابة الجنسية ـ نجد ان الأنثى متأخرة فى النضوج عن الذكر

ونخلص من هذا الى ان الأنثى ـ فى البشر ـ تولد وهى مزودة بجهاز عصبى تعتمد عليه الاستجابة الجنسية ، ولكن الدراسة بينت لنا ان اللاتى تتاح لهن هذه الاستجابة ـ قبل سن البلوغ ـ لسن سوى جزء من مجموع الاناث .. والواقع ان اكتساب القدرة الكاملة على الاستجابة يتوقف على نوع التجربة الجنسية للأنثى قبل البلوغ ، وفى فترة المراهقة ، وبعد هذه الفترة .. كما يتوقف على العوامل الاجتماعية المتباينة التى تؤثر فى استعدادها النفسى . ولسوف نجد تفسيرات كافية لهذه المسائل فى سياق بحثنا هذا

اناث يجدن لذتهن فى الاستمناء !

◆ **واذا** انتقلنا الى ألوان النشاط الجنسى ووسائل التفريج ، فاننا نجد ان الاستمناء يأتى فى المرتبة الثانية ـ بعد الغزل والمعابثة مع الجنس الآخر ـ من حيث اقبال الاناث قبل الزواج . على انه يعد فى الوقت ذاته أكثر ألوان النشاط تمكينا للأنثى من بلوغ ذروة اللذة .. **بل ان الأنثى ، فى المتوسط ، قد**

تخفق فى بلوغ ذروة اللذة فى نسبة كبيرة من عمليات الجماع ـ فى الزواج ـ مع انها توفق الى ذلك فى ٩٥ فى المائة من عمليات الاستمناء ! ٠٠ ويرجع هذا الى ان أساليب الاستمناء فعالة فى هذا الصدد ، فى حين ان العلاقات الجنسية مع شريك آخر ـ زوجا كان أو غير زوج ـ تتطلب عادة بعض تعديل فى الرغبات والمقدرات البدنية والتأثر العضوى ، للتكيف وفقا لاستعداد هذا الشريك ٠٠ وهذا التعديل يقطع على الأنثى استرسال استجابتها ٠ ولقد تفضل الأنثى العلاقة الجنسية مع شريك ، لما لهذه العلاقة من قيمة نفسية واجتماعية ، ولأن التأخر فى بلوغ ذروة اللذة قد يضاعف ـ فى الواقع ـ من متعتها ٠٠ ولكن الاستمناء يظل مع ذلك اكثر الوسائل الجنسية وأسرعها تمكينا للأنثى من بلوغ ذروة اللذة ٠

ومع ذلك فان مقارنة البيانات التى حصلنا عليها من الاناث اللاتى درسنا حالاتهن ، بالبيانات التى حصلنا عليها من الذكور الذين درسنا حالاتهم ، تشير الى أن الاستمناء لا يبلغ لدى الاناث مبلغه لدى الذكور من حيث معدل الاقبال عليه وممارسته كمصدر منتظم للتفريج الجنسى ٠ ويرجع ذلك الى الاختلاف بين الجنسين

مظاهر مشتركة بين الانفعال الجنسى والانفعالات الأخرى

◆ **وتتمثل** بواعث ممارسة الاستمناء ـ لدى الحيوان البشرى ـ فى الشعور بأن هذه العملية توفر ارضاء للنوازع الشهوية ، وتخفف من التوتر الناشىء عن هذه النوازع ٠ ومع ان المعنى الأصلى للاستمناء يتضمن استخدام اليد فى احداث التهيج الذاتى ، الا ان الاستمناء لدى الاناث قد يتضمن وسائل أخرى لاستثارة الأعضاء التناسلية أو أعضاء أخرى فى الجسم ، ولاستثارة الأجهزة الحسية ، والاستثارة الناشئة عن عوامل نفسية ٠ ويعتبر «فرويد» ومدرسته كل استثارة ناشئة عن

اللمس والتحسس لونا من الاستمناء . وعلى ضوء نظريته ، نجد ان الاستمناء لدى الأنثى يتضمن كذلك كل حك أو تدليك أو ضغط أو تحسس للثديين والفخذين والساقين وغيرها من أعضاء الجسم ، بما فى ذلك الأنف والأذنان ، وبما فى ذلك أيضا وضع الأصبع فى الفم وامتصاصه ، وقرض الأظافر بالأسنان ، ومضغ اللبان (أو اللادن) ، والتبول فى الفراش ، والافراط فى سرعة قيادة السيارة ، والقفز العالى فى السباحة ، وما الى ذلك !!

على اننا اذا أوغلنا فى دراسة هذا الموضوع ، وبحث الاستجابة الجنسية المرتبطة به ، لوجدنا ان العناصر الفردية للاستجابة ليست هى العوامل التى تطبع التصرف بالطابع الجنسى .. **اى ان تزايد ضربات القلب ، واشتداد اندفاع الدم ، وارتفاع درجة الحرارة على سطح الجلد ، بل والانتصاب او الانتعاظ ، ليست فى حد ذاتها استجابات جنسية ، لأن كثيرا من هذه العوامل يحدث فى بعض حالات انفعالية أخرى ، كالغضب أو الخوف** .. ومن ثم فان الضابط فى وصف هذه العوامل بأنها من عوامل السلوك الجنسى هو ظهورها فى عمل جنسى !

فتيات تعلمن الاستمناء من كتب تكافح الاستمناء !

◆ **ولقد** اكتشفت معظم الاناث - اللائى أجرينا دراستنا عليهن - الطريق الى الاستمناء خلال محاولاتهن اكتشاف أو فحص جهازهن التناسلى . وقد اوضحنا من قبل ان الطفل يشعر منذ مولده بلذة من التحسس لكثير من أجزاء الجسم ، **ومن ثم فليس بمستغرب أن يكتشف الطفل - فى مرحلة ما من مراحل عمره - ان اللذة الكبرى انما تصدر عن العبث بالعضو التناسلى ، بالشكل الذى يتم الاستمناء به** . ووجدنا فى ابحاثنا ان ٧٠ فى المائة من الفتيات كن يمارسن الاستمناء قبل البلوغ ، وقد اكتشفته حوالى ٥٨ فى المائة منهن من تلقاء أنفسهن وهن يتعرفن على أعضائهن التناسلية ! .. ومما يستثير الاهتمام

حقا ـ فى هذا الصدد ـ ان كثيرا من الفتيات اللاتى لم يعرفن الاستمناء الا بعدأن بلغن العشرين ، انما اهتدين اليـه ـ هن الأخريات ـ أثناء تعرفهن على أعضائهن التناسلية ٠ وهذا دليل قوى على الجهل المتفشى ـ فى كثير من الأحوال ـ بين بعض الاناث ، بألوان النشاط الجنسى التى قد تكون شائعة أو مألوفة بين مجموع الاناث بوجه عام ٠٠ ذلك لأن الاناث ـ الصغيرات منهن والكبيرات على السواء ـ لا يتحدثن صراحة عن تجاربهن الجنسية كما يفعل الذكور !

ولقد وجدنا بين عيناتنا عددا ليس بالقليل من الاناث اللاتى الممن بوجود الاستمناء بين الذكور ، قبل ان يعرفن انه أمر ممكن بين الاناث ! كذلك وجدنا ان بعض الاناث ظللن يمارسن الاستمناء بضع سنوات قبل ان يعرفن ان هذا النشاط ذو طابع جنسى ، وانه يدخل فى النطاق المعروف باسم «الاستمناء»

أما اللواتى بدأن فى ممارسة الاستمناء فى سن متأخرة ـ اى حوالى العشرين من اعمارهن ـ فانهن عرفن الاستمناء فى الغالب من المعلومات التى سمعن بها أو قرأنها ٠٠ وقد لوحظ ان هذا هو المصدر الاول لمعرفة من هن على هذه الشاكلة خلال الأجيال الأربعة الأخيرة ٠ ولعل من العجيب حقا ان معظم المعلومات التى اكتسبت بالقراءة ، انما جاءت عن طريق الاطلاع على كتب الأخلاق والدين التى تهدف الى مكافحة الاستمناء !

كذلك وجدنا ان حوالى ١٢ فى المائة من الاناث بدأن فى ممارسة الاستمناء كنتيجة للغزل والعبث مع الذكور ٠٠ على ان بعض الاناث لم يفطن الى ان من الممكن تحقيق النتائج التى شعرن بها من جراء عبث بعض الذكور بأعضائهن التناسلية الى الدرجة المحققة لذروة اللذة ٠٠ لم يفطن الى ان من الممكن استثارة أنفسهن بأنفسهن لتحقيق هذه النتائج ! ٠٠ ومن ناحية أخرى ، وجدنا ان حوالى ٣ فى المائة من عيناتنا بدأن الاستمناء نتيجة اتصالات مع افراد من جنسهن ، سواء قبل البلوغ او

فى فترة المراهقة أو فيما بعد ذلك . وفى بعض الحالات ، كان مصدر المعرفة يتمثل فى ممرضة أو خادمة او قريبة للفتاة !

نساء مارسن الاستمناء لأول مرة .. بعد الزواج !

◆ **ويختلف** عدد الاناث اللاتى مارسن الاستمناء الى درجة ذروة اللذة باختلاف المستوى التعليمى والتربوى . من ذلك ان البيانات التى جمعناها من أناث فى الأربعين من اعمارهن دلت على ان حوالى ٣٤ فى المائة ممن لم يتجاوزن فى دراستهن المرحلة الاعدادية ، و ٥٩ فى المائة ممن حظين بالدراسة الثانوية ، و ٦٣ فى المائة ممن حظين بالتعليم الجامعى، يمارسن الاستمناء . **على ان اللاتى ينتمين الى المستويين الأخيرين لم يبدأنه الا فى سن متأخرة ، بل وبعد الزواج فى الغالب !** .. أما بين غير المتزوجات ، فقد وجدنا ان ٢٧ فى المائة ممن يمارسن الاستمناء من مستوى التعليم الاعدادى ، و ٣٤ فى المائة من التعليم الثانوى والمتوسط .. وبين المتزوجات اللاتى تتراوح أعمارهن بين الحادية والعشرين والخامسة والعشرين ، وجدنا ان ١١ فى المائة من ممارسات الاستمناء من مستوى التعليم الاعدادى ، فى حين ان ٣١ فى المائة من مستوى التعليم الثانوى والمتوسط !

أما معدل الممارسة ، فيكاد يكون ثابتا بين مرة فى الشهر وثلاث مرات فى الشهرين لدى العذارى والمطلقات أو الأرامل من جميع المستويات التعليمية . وهو يكاد يكون ثابتا كذلك عند حد ممارسته مرة فى الشهر لدى المتزوجات من جميع المستويات التعليمية . **ذلك لأن الوسط الاجتماعى وان أثر فى قرار الانثى بممارسة الاستمناء أو عدم ممارسته ، الا انه لا يؤثر على معدل المرات لدى من يقررن ممارسته !** .. فاذا مضينا فى تحليل البيانات ، فاننا نجد ان الاستمناء ، لدى حديثات البلوغ ، يؤلف ٥٢ فى المائة من مجموع مصادر التفريج الجنسى لدى المنتميات الى مستوى التعليم الاعدادى ، و٧٣ فى المائة من

مجموع المصادر لدى فريق التعليم الثانوى والمتوسط ، وأكثر من ٩٠ فى المائة لدى فريق التعليم العالى والجامعى ٠٠ **ذلك لأن الاناث اللواتى من أدنى مستويات التعليم يعتمدن فى الغالب على الجماع - سواء كان كاملا أو جزئيا - أكثر مما يستسغن الاستمناء كمصدر للتفريج الجنسى قبل الزواج ٠٠ وهن يذهبن الى درجة الخوف من الاستمناء ، لأنهن يخلنه ذا أضرار بدنية ، فضلا عن انهن يعتبرنه مستهجنا من الناحية الخلقية ونوعا من أنواع الشذوذ !** ٠٠ أما الفتاة التى تصل الى مرحلة التعليم العليا ، فتنتمى - فى الغالب - الى وسط اجتماعى مرتفع يستسيغ الاستمناء - أكثر مما يستسيغ الجماع - قبل الزواج! ٠٠ وهى غالبا لا تشعر بقلق بشأن الأضرار البدنية أو الخلقية التى يخشى ترتبها على الاستمناء

على ان الاختلاف بين مستويات التعليم العليا والدنيا يقل مع تقدم الاناث فى العمر ، لا سيما من يبقين منهن بلا زواج !٠٠ وهذه الظاهرة ملحوظة لدى المستويين العالى - أى الجامعى - والأدنى أو الاعدادى ، بالذات، دون المستوى الأوسط الذى يضم التعليم الثانوى والمتوسط

وتوحى البيانات بأن الأوساط العائلية التى تنشأ فيها الاناث - لا سيما بين سن العاشرة وسن العشرين - قليلة التأثير عليهن ، من حيث الاتجاه الى ممارسة الاستمناء أو عدمه ٠٠ كذلك تدل البيانات على انه لا توجد علاقة ما بين الدرجة الاجتماعية لأهل الانثى وبين معدل ممارستها للاستمناء ٠٠ ولا بينها وبين مكانة الاستمناء بين مصادر التفريج الجنسى للانثى

وفى الحلقة التالية ، نبحث مع « كينزى » وزفاقه التحليلات الخطيرة التى تبين علاقة هذا اللون من النشاط الجنسى بالجيل الذى تنتمى اليه الانثى ، وبالبيئة ، وبالدين والنشأة الدينية ٠٠ وآثار ذلك على أهمية الاستمناء من النواحى الخلقية والقانونية والاجتماعية ٠٠



ست بنات .. للزواج !

الأسطورة الهندية التي تضارع في شهرتها «قيس وليلى»

تلخيص : فرج جبران

ست شقيقات .. و « عريس » واحد !

◆ الحب هو الحب ، فى الغــرب أو فى الشرق .. فى شبه الجـزيرة الهندية ، أو فى شبه الجـزيرة العربية . لذلك كانت له مكانة أولى فى جميع ألوان الأدب العالمى فى جميع العصور . والأسطورة الهندية التى يقدمها لك « كتابى » اليوم ، مثال لذلك .. انها قد تذكرك بما فى « ألف ليلة وليلة » العربية ، أو بما فى « ألف ليلة وليلة » الايطالية ، ولكنك لا تلبث أن تجد ان لها طابعا خاصا ، فريدا .. انها قصة ست عوانس، و .. « عريس » ! وقد جمعت بين الطرافة والفكاهة والمثل العليا .. فلأتركك تلمس فيها هذه الصفات بنفسك !

◆ لم تكن كلمة « الحب » تغيب لحظة عن جو دار العالم الحكيم « مادهو » .. لا لأن الرجل كان منصرفا الى الحب والغــرام ـ فالواقع أنه لم يكن يعـرف سوى كتب الحكمة والفلسفة ! ـ وانما لأن داره كانت تضـــم ست شـقيقات ، كلهن صالحات للزواج ، وقد أقسم شقيقهن أن يزوجهن قبل أن ينتهى العام !

كانت « زهرة اللوتس » قد تجاوزت الأربعين بعام واحد . وكانت تتلوها « مـــوراری » ، ثم « رادها » ، ثم « يادافا » و «أسولا» .. وتأتى بعد ذلك صغراهن جميعا : «نور الفجر» ، ذات السبعة عشر ربيعا .. وقد كانت من الحسن بحيث يبعث مرآها على الانشراح !.. أما « زهرة اللوتس » فكانت مشغوفة بالكتب التى تدور حـــول « كاما » ـ اله الحب ـ وفيما كانت تجلس على احدى الحشيات ، ذات يوم ، تقرأ لشقيقاتها بعض أبيات فى تمجيد هذا الاله ، أقبل شقيقهن على الحجرة ، فوقفن يرحبن به فى حرارة .. ولم يفت «مادهو» ـ وهو يحييهن ـ أن يلاحظ ان « نور الفجـــر » لم تكن بينهن . وقال الحكيم لأخواته : « ليسبغ الرب فيشنو عليكن الصحة ، وليمنحكن الرأى الصائب والعمر المديد » .. فهتفت أخته الكبرى : « بل ليؤثرك فيشنو بكل هذه النعم ، فلست أطمع فى أكثر من أن

يمنحني نوما هادئا » ٠٠ واذ أبدت « موراري » دهشة من أن تشكو أختها الأرق ، تلقت « زهرة اللوتس » هذا التعليق في حنق واستياء ! ٠٠ **وكلمة من هـذه ، وجواب من تلك ، واذا بالأخت الكبرى تندفع نحو شقيقتها ملوحة بقبضة يدها في الهواء ، وهي تقول : « اياك و ٠٠ ! »**

وكان الحكيم يرقب المنظر بقلب مثقل بالأسى ، ولكنه لم ير بدا من أن يتدخل بين الشقيقتين ليحول دون نشوب شجار بينهمـا ٠ فقالت زهـرة اللوتس : « أو لم تر انها كانت البادئة ؟ »

ـ ولكنك الكبرى ٠٠ فخليق بك أن تضربي المثل !

ولم تدعه يتم عبارته ، بل صاحت في ألم : « حقا ٠٠ انني أعرف ذلك ، فليس من داع لأن تذكرني في كل لحظـة بكبر سني ! » ٠٠ وتبدى الغضب على الحكيم ، فراح يلومهن جميعا ، قائلا : « لقـد اجتمعت فيكن النقائص السبع الكبرى ، فلم تفلتن منهـا واحدة : فمن كسل الى غرور الى بخل وحسـد وشراهة وغضب وترف ! » ٠٠ ولكن ألم « زهرة اللوتس » كان بالغا ، آذ شعرت بأنه كان يعيرها بكبر سنها دون أن تتزوج ! ٠٠ ولم يجد الحكيم من حيلة سـوى أن يعتذر اليهـا قائلا : « ما أردت أن أذكرك بشيء كما يوحي اليك الظن ٠٠ وهل يليق هذا بي وأنا أخوكن الذي يرعاكن رعاية الأب ؟ انني ما جئت اليوم الى هنا الا لهذا الأمر ، فان لدي مفاجأة ! »

وصاحت الفتيات في صوت واحد : « **مفاجأة ؟! ما هي ؟ ماذا لديك ؟ هل من جديد ؟** » ٠ **فقال : « لدي زوج »** ٠ **وصحن ملهوفات : « آه ! زوج ؟! هات ما عندك ! »** ٠ ولكنه أصر على أن لا يذكر شيئا حتى تحضر «نور الفجر» ٠ وحاولت الشقيقات الخمس أن يثنينه بحجة أنها صغراهن ، ولن يكون لهـا شأن بالزوج المرتقب وهن المقـدمات عليها ٠ فلما تشبث أسرعن

يستدعينها • وأقبلت الفتـاة ، فكأنما أشرق الفجـر حقا على الحجرة ! وحيت أخاها بصوت عذب النغم ، معتذرة بأنها كانت منصرفة الى قراءة قصة بديعة ، فسألها أن تقص عليه موضوعها، ولكن زهرة اللوتس صاحت : « لنرجىء هذا الى ما بعد !! » • ولكن مادهو أصر على رأيه ، فأخذت « نور الفجر » تروى القصة •• وما لبثت الأخت الكبرى أن قالت : « انها قصة بديعة •• ولكنى أفضل أن نسمع حديثك يا أخى عن الزوج المرتقب ! »

وصاحت الشقيقات جميعا فى وقت واحد : « انه لى •• انه لى !» • فهتف مادهو : « سكوتا •• سكوتا ! ليس لدى فى الوقت الحاضر سوى عريس واحد •• انه الضابط الشاب الغنى •• شاندور ! » • فصاحت أخته الكبرى : « أهو ذلك الشاب الذى لا يرى الا فى صحبة الحسان ؟ »

ـ أجل • لقد قابلته أمس ، فعلمت أنه سئم حياة العبث وبدأ يفكر فى الزواج •• وقد قلت له ان لى ست شقيقات كل واحدة منهن أجمل من الأخريات !

وتعالت التعليقات : « لم تتجاوز الحقيقة فيما قلت ! » •• « يا له من شاب فاتن ! » • واستطرد مادهو قائلا : « **ولقـد أخبرنى بأنه سيقضى بيننا أربعا وعشرين ساعة ليتخير عروسا لنفسه ! » • فصاحت زهرة اللوتس فى استنكار : « يتخير عروسه ؟! » •• فقال الحكيم : « طبعا ، فهذا من حقه •• ان لك ـ على كل حال ـ امتياز الأولوية ، بحكم الأقدمية ! »**

ـ اذن فلم لا تقدمنى على شقيقاتى ؟

ـ كان هذا دأبى منذ عشرين عاما • ولكن الضابط شاندور صعب المراس ، وهو يبحث عن امرأة يتـوفر فيها الكمال •• أجل يا شقيقاتى ! ودعونى أصارحكن بما لا أبوح به لسواكن •• ان لكل منكن نقيصة !

فصاحت زهرة اللوتس في شقيقاتها : « ان النقائص السبع

تجتمع فى كل منكن ! » .. فهتفت أسولا : «بل فيك وحدك !» .. ودب الشجار من جديد ، فصاح الحكيم : « ألا تأخذن مثلا من نور الفجر ؟! انها لم تنبس ببنت شفة ! » . وقبل أن يتمادين فى التهكم عليها ، عاد يقول : « سأغادركن الآن لأدبر حجرة للضابط شاندور والجندى الذى يقوم على خدمته ! »

* * *

◆ **وما** ان انصرف الحكيم ، حتى بادرت الفتيات الى الانهماك فى التجمل ، ما عدا « نور الفجر » التى عادت الى استئناف القراءة .. وتسللت زهرة اللوتس الى مخدعها فأوصدت الباب دونها ، وخلت الى الجزء الثالث من « فن الحب » تلتهم ما جاء به من نصائح تمكن للمرأة من الفوز باعجاب الرجال ! .. حتى اذا اطمأنت الى انها استوعبت كل النصائح ، تزينت بأجمل مجوهراتها ، وارتدت أبهى ثيابها ، ثم لحقت بشقيقاتها فى قاعة الجلوس .

وقالت يادافا : « **اننى موقنة من اننى سأفوز باعجاب الضابط شاندور !** » .. فقالت مورارى : « **أما أنا فسوف أفتنه !** » .. وقالت زهرة اللوتس : «**أما أنا فسأفقده وعيه !**» .. فصاحت أسولا ساخرة : « **سيفقد وعيه لقسوة الواقع !** » .. وقبل أن ينشب الشجار ، ارتفع صوت عذب رقيق .. صوت نور الفجر ، التى كانت منصرفة الى القراءة حتى انتزعها الضجيج : « يا شقيقاتى : خليق بكن بدلا من الشجار ، أن تؤدين الصلاة الى أرباب الجهات الأربع ليسبغوا عليكن جمالا فى عينى الضابط ! »

ولما كانت العاطفة الدينية قوية السلطان على نفوس الفتيات، فقد ركعن فى الحال ، وانهمكن فى الصلاة .. وما أن فرغن ، حتى أقبل مادهو مسرعا ، يعلن وصول شاندور .. وهتفت

زهرة اللوتس : « يجب أن يرانى قبل سواى ، ولسوف يجيب الاله كاما دعواتى ! »

واتخـذت الفتيات الأوضاع التى كشفت عن مفـاتنهن ، واستقبلن شاندور بابتسامات حارة نمت عن ترحاب صادق ٠٠ ولكن الضابط الشاب لم يكن ممن يستخفهم تهافت النساء ، فقد ألف هذا التهافت ، لا لشهرته فى الحرب فحسب ، وانما لأنه كان جميل الشكل ، واسع الثراء كذلك ! ٠٠ وتقـدم شاندور حتى مثل أمام الفتيات ، وراح ينحنى لكل منهن ، وهو يقول : « تحية ٠٠ تحية ٠٠ ثلاث تحيات ! ٠٠ ما أروع المنظر الذى يتبدى لعينى ٠٠ لقد تمثلتكن فى الأحلام ، ولكنكن فى الواقع أجمل كثيرا مما رأيت فى حلمى ! » ٠٠ و رد « مادهو » التحية بأن انحنى بدوره قائلا : « سلاما أيها الضابط شاندور ٠٠ ان دارى دارك » ٠٠ فعقب « سانفـو » ـ « مراسـلة » الضابط ـ مداعبـا : « ومالى ٠٠ مالك ! » ٠٠ وكان الرجل خفيف الدم والروح ، رافق الضابط فى معظم سنوات حياته فعرف كل مغامراته ٠٠ وكان شاندور يعجب بصراحتـه ولا يرضى عنه بديلا ٠ وقد بادر فقدمه الى « مادهو » ٠٠ وما لبث « سانفو » أن ركع على ركبتيه ، وزحف نحـو الفتيات الست محييا كلا منهن بدورها !

وأرادت زهرة اللـوتس أن تكون البادئة بتحية شاندور ، عسى أن تسترعى انتباهه ، ولكنه لم يكد يراها حتى التفت الى مادهـو وقال باحترام : « **ليحرسك الرب فيشنو ٠٠ ليسبغ رعايته عليك وعلى أمك ! »٠وأشار نحو زهرة اللوتس ، فأجفلت وكأنما لدغها ثعبان ، وصاحت : « أمه ؟! اننى صغرى أخواته ٠٠ أصغرهن جميعا ! »** ٠ فتساءل شاندور فى دهشة : « كم أختا لك يا مادهو ؟ » ٠٠ فأجاب العالم فى غير زهو : « ست وثلاثون ٠٠ لسن جميعا من الشقيقات ، فقـد تزوج أبى من

ثلاث نساء ، ورزق من كل منهن باثنتى عشرة ابنة ٠٠ وهؤلاء اللاتى تراهن ، من ثمار الزواج الأخير ! » ٠٠ وكان «سانفو» يغالب نفسه كي لا ينطلق لسانه بالفكاهات الساخرة، بينما راح مادهو يعرف ضيفه بشقيقاته الست ٠٠

★ ★ ★

◆ **وما لبث** مادهو أن قاد ضيفه الى الحجرة التى أفردها له ٠ وهناك خلا اليه ، فقال الضابط : «ان شقيقاتك حسان فاتنات» ٠٠ فقال الحكيم : « اننى أرشح لك من بينهن ٠٠ زهرة اللوتس ! » ٠ فهتف شاندور : « الكبرى ؟ » ٠٠ ولكن مادهو قال : « بل الأولى ٠٠ فهى مثال الرقة وعلو النفس والعفة والكرامة والعزة » ٠٠ فابتسم شاندور قائلا : « ما أكثر صفات شقيقتك ! »

– انها أوتيت جميع الصفات الحميدة !

– آه ، حقا ! ولكن ٠٠ هناك سنها !

وحاول الحكيم أن يغريه بأن الفتاة خليقة بأن تكفل له كل أسباب السعادة ، فقال شاندور:«اننى أومن بهذا٠٠ولكن،لاتنس اننى صعب المراس ، لا يسهل ارضائى ٠ ثم ٠٠ لعلنى لم أجد ما يجذبنى الى شقيقتك الكبرى ! »

– اذن ، خذ الثانية ٠٠ انها مثال للرقة واللطف والاعتزاز بالنفس !

– اننى أصدق هذا ، ولكن ٠٠ هب اننى لم أجد ما يجذبنى **اليها !**

– عليك اذن بالثالثة ٠٠ فهى مثال للرقة واللطف !

وهنا قاطعه شاندور « وهب اننى ٠٠٠ » ، ولم يدعه الحكيم يتم كلامه ، بل قال : « تبقى بعد ذلك اثنتان ٠٠ وسأغض النظر عن نور الفجر ، فهى ما زالت صبية يافعة » ٠ ولم يجب

الضابط ، بل سرح بصره فى شرود لحظة ، ثم قال : « انهـا لطيفة ! »

ــ بل انها غاية فى اللطف ٠٠ وأنا أفضلها على الأخريات ، اذ انها خلو من العيوب !

واقتنص الضابط الفرصة فصـاح : « اذن ، فللأخريات عيوب ! » ٠٠ وعض مادهو لسانه الذى انزلق الى هذه الزلة ! ٠٠ ولما يئس من اقناع ضيفه بأن شقيقاته يجمعن كل المحاسن، قال له : « بوسعك أن تتثبت من ذلك ، ففى خـلال الأربع والعشرين ساعة ستجد متسعا لاختبارهن جميعا ! »

ــ حقا ، هذه خير الطرق ٠٠ سأختبر كلا منهن على حدة !

وأخلد شاندور الى التفكير ــ بعـد انصراف مادهو ــ حتى وافاه سانفو وقد تورد وجهه لفرط ما تناول من خمر ٠٠ وبادر الضـابط خادمه المقـرب الى نفسه ، قائلا : « أيهن تفضل يا سانفو ؟ » ٠ فأجابه المراسلة : « انني لم أعرف مثيلا للخمر التى شربتها هنا ! » ٠٠ فصاح الضابط : « لست أحدثك عن الخمر ، ولكنى أسألك عن الفتيات »

ــ آه ، تقصد الفتيات الست ! ٠٠ أية فكرة غريبة أوحت اليك ٠٠

وراح يحمل على الزواج والنساء ، فقال شاندور : « يبـدو انك قاسيت فى الماضى من النساء ! » ٠ فأجاب الخادم : « هذا صحيح ٠٠ لأن المرأة تبدو عن بعد كزهرة بلا أشواك ! » ٠٠ واذ ذاك قال الضابط : « يبدو ان الأشواك قد أدمت أصابعك ٠٠ فلماذا تمعن فى حب النساء اذن ؟ »

وفى فلسفة راح الخادم يذكره بأن من ألوان الطعام ما يكون شهيا حتى ليلعق المرء أصابعه كلما تناول منه شيئا ، ولكنه يكون ــ فى الوقت ذاته ــ ثقيلا على المعدة فلا يلبث أن يؤذيها ٠٠ فقال شاندور : « **ولكن المرأة خفيفة على المعـدة ! ثم اننى**



صبى على الصخرة .. يتأمل !

لوحة للفنان « سير توماس لورنس »

أتطلع الآن الى حب أنقى وأطهر من كل ما عرفت ٠٠ فضلا عن انني لم أعد أستسيغ صحبة زوجات أصدقائى ! ان ضميرى يؤنبنى !»

وقرر الضابط أن يجلس الى كل فتاة على حدة ، لفترة بعد العشاء ٠٠ ولما كان يثق فى رجاحة رأى خادمه ، فقد دعاه الى حضور هذه الجلسات !

وكانت « موراری » ـ التى عرفت بين شقيقاتها باسم « الكسول » ـ هى الأولى ٠ فما أن فرغت من العشاء حتى راحت تتثاءب ٠ وعندما أقبلت على شاندور قالت فى صوت مثقل بالكسل : « أتسمح لى بالجلوس ؟ » ٠٠ فقال : « لست أطمع الا فى هذا »

ـ اذن ، فأرجو أن تحضر لى المقعد الصغير لأجلس عليه !

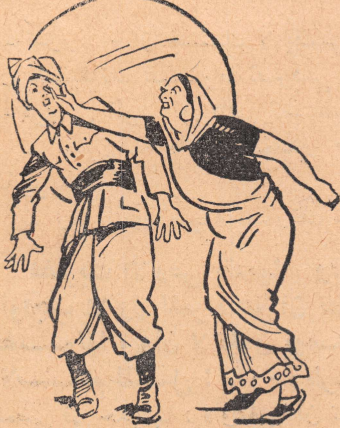
ولبى شاندور طلبها ، فقالت : « وأين الوسادة الصغيرة التى اعتاد أخى أن يتكىء عليها ؟ » ٠٠ وكانت الوسادة على مقعد « سانفو » ، فقدمها اليها ٠ ولكنها عادت تشير الى الوسادة التى كان شاندور يتكىء عليها ، وقالت : « وهذه أيضا ! » ٠٠ فقدم اليها الضابط بغيتها دون أن يغضب ٠٠ ثم وقع بصرها على مروحة فى يد سانفو ، فقالت : « ما أشد الحر ! هات هذه المروحة ! » ٠٠ وقدم الخادم المروحة ، فقالت لشاندور : «لست أجد من نفسى قوة على تحريك المروحة ٠٠ فهل لك يا سيدى أن تأمر هذا الكسول بأن يؤدى لى المهمة ؟ » ٠٠ ومرة أخرى ، أطاع الخادم فى صبر ٠ وشرع الضابط يتحدث الى الفتاة ، متنقلا بين الموضوعات ، الى أن انتبه فجأة على ضحكة انبعثت من سانفو ، فنظر اليه فى غضب ، ولكن الخادم بادر قائلا : «انها نائمة يا سيدى ٠٠ بل انها تغط ! » ٠٠ **وتبين شاندور أن غطيطا خفيفا بدأ يتصاعد من «موراری» بالفعل ، فهتف محنقا : « ويلى اذا تزوجت هذه ! »**

وألقى الخادم بالمروحة على وجه الفتاة ، فلم تتحرك • واذ ذاك تحرك شاندور وهم بمغادرة الحجرة ، واذا بضجة تنبعث لدى الباب ، ثم أقبلت زهرة اللوتس ، التى كانت تسترق السمع ملهوفة • فهتفت : « لقد نامت الكسول كالعادة ! هذا هو عيبها الذى تخفق دائما فى اخفـائه ! » •• ولكنها كانت فى قرارة نفسها تقول : « ها قد أزحنا من الطريق واحدة ! » • وراحت تهز « مورارى » فى عنف ، حتى استيقظت هذه ، فما أن تبينت ما جرى ، حتى غادرت الحجرة باكية !

★ ★ ★

◆ **وخلت** زهرة اللوتس الى الضابط ، فقالت : « أما أنا ، فلا يمكن أن أنام وأنا بالقرب من زوجى ! » •• وقبل أن تمضى فى حديثها ، أقبلت « رادها » مضطربة ، تدعوها الى أن تخف لانقاذ « العجة » التى كانت تصنعها فلم تتقن صنعها • ولكن زهرة اللـوتس لم تكترث لاضطرابها ، بل انتهزت الفرصـة لتكشف عيوبها ، فقالت : « أوتظنين انك قادرة بمثل هـذا المسلك على اسعاد زوجك ؟ » • فراحت رادها تقول بحرارة : « **بلا شك •• سأعنى بصحته ، فأقدم له فى الساعة السابعة صباحا حساء السلحفاة ، وفى الثامنة فطائر ، وفى التاسعة مربى ، وفى العاشرة أرزا بالتوابل ، وفى الحادية عشرة لحما ، وفى الظهر خمسة** •• »

ولم يدعها شاندور تتم حديثها ، اذ صاح جـزعا : « من المستحيل أن أطيق كل هذا •• » ، فقالت الفتاة فى زهو : « أما أنا فأحب الطعام ! » • ثم تذكرت « العجة » فهرعت الى المطبخ ، بينما بقيت زهرة اللوتس وهى تفرك يديها غبطة ، بعـد أن تخلصت من منافسة أخرى • وشرعت تقول : « من النادر أن يعثر الرجل على امرأة يتوفر فيها الكمال •• فمورارى ــ مثلا ــ كسول •• ورادها ، أكول •• » • وفى تلك الاثناء ، انحنى



سانفو على الضابط وأسر اليه بكلمات أدركت زهرة اللوتس انه ينتقدها بها، لا سيما حين لمحت ابتسامة ساخرة على شـفتى الضابط ، فلم تتمالك أن صفعت سانفو وهى تقول : « منـذ متى يتدخل الخدم فى الأحاديث التى تدور بين السادة ؟ » ٠٠ وتمالك الخادم أعصابه فى جلد، بينما تحول شاندور الى الفتاة وسألها : « هل ترين ان فى وسعك اسعادى ؟ »

ـ بل اننى موقنة من ذلك ، وأدرك ان الاله « كاما » قد منحك المفتاح الذى يساعدك على فتح كنوز قلبى ! ان قبلة واحـدة كفيلة بأن تثبت لك ان شفتى أحلى مذاقا من الخمر المعتقة !!

ـ ولكننى لا أشعر بظمأ !

ـ ثم اننى ، ككبرى شقيقاتى ، أملك أكبر صداق بينهن ٠٠

ـ ولكننى لا أحفل بالمال ، فاننى ٠٠ غنى !

ولم تكد زهرة اللوتس تنسحب ، حتى سأل سانفو سيده : « هل عثرت على المرأة الموفورة الكمال ؟ » ٠٠ فأجاب السيد : « من المؤكد انها ليست هذه ! » ٠ ثم مضى يستعرض معـه الفتيات الثلاث : احداهن كسول ، والأخرى أكول ، والثالثة سليطة اللسان !

وأقبلت « أسولا » فى تلك الأثناء ، تختال فى رشاقة ، فلما سألهـا الضابط عن اسـمها قالت : « اسمى أسولا ، ولكن شقيقاتى يسميننى « ذات الأنف المثلج » ! ٠٠ اذ اننى أشعر فى أشد الأيام قيظا بأن جسمى شديد البرودة ! » ٠٠ فقـال

شاندور : « ان جسمك لا يهمنى كثيرا ، وانما تهمنى الروح ! ان لشقيقاتك عيوبا تصرفنى عن الزواج منهن ، فهل لك أن تذكرى لى الوسائل التى تستطيعين بها أن تسعدى زوجك ؟ »

ـ ليس هذا بالأمر العسير ٠٠ وبايجاز أقول : سأفعل كل ما يريد !

ـ وما الذى تعنينه بعبارتك هذه : كل ما يريد ؟

فضربت الأرض بقدمها ، وقالت : « أعنى كل شيء ٠٠ فان الواجب الأول للمرأة هو أن تطيع زوجها ، وأن لا تسرف فى فضولها ، وأن لا تكون نهمة محبة للأكل ، ولا مفرطة فى الاستسلام للكسل ! » ٠٠ وطرب شاندور ، بينما كانت الفتاة تمضى فى حديثها : « وعليها أن تجتذب زوجها بمختلف الوسائل ٠٠ وقد درست لذلك الوسائل الأربع والستين التى ذكرها كاما فى كتابه ! » ٠٠ وهنا اشتدت غبطة شاندور ، فان الفتاة التى تلم بوسائل كاما خليقة بأن تحتل المكانة الأولى فى قصر زوجها ٠ وتشاور الضابط مع خادمه ، ثم رأى أن يختبر المام الفتاة ، فسألها أن ترقص ٠٠ ورقصت « أسولا » ، فأعجب شاندور بخفة حركاتها ورشاقتها ، ولكن سانفو سخر منها ، فلم تتمالك أن صفعته قائلة : « خذ ! هذه لك ! » ٠ ثم انهالت بصفعة ثانية على خده الآخر ،وهى تقول : «وهذه لسيدك !» ٠٠ وانصرفت محنقة !

* * *

◆ **وفكر** شاندور طويلا ، ثم قال : « أليس من العجيب ألا يكون بين الفتيات الست واحدة خالصة من كل عيب ؟! » ٠٠ وهفا خاطره نحو « نور الفجر » ، التى كانت قد تركت أثرا عميقا فى نفسه منذ رآها ، فرغب فى أن يراها ليتثبت مما اذا كان فيها ما يعيبها ٠٠ **لذلك تسلل من الغرفة وسار في خفة**

الى أقرب حجرة ، ومن وراء ستار ، لمح نور الفجر ، جالسة تكتب ، فمكث هنيهة يرقبها دون أن تفطن اليه ٠ ولم يتمالك أن صارح نفسه بأنه لم ير فتاة فى مثل جمالها ولا وداعتها ٠
ثم سعى اليها بخفة ، وانحنى أمامها معتذرا لاجترائه على ازعاجها ، وقال : هل لى أن أسألك عما تكتبين ؟» ٠ وترددت الفتاة فى البداية ، ثم صارحته بأنها كانت تنظم قصيدة ٠ وعندما ألح عليها لتسمعه اياها ، أخذت تنشد بصوت رخيم ما نظمته فى الحب والأحلام ، فهتف الضابط : « ما أبدعها من قصيدة ! وما أبعد الفرق بينك وبين شقيقاتك !! »

– بل ان شقيقاتى جميعا لطيفات ، جميلات ، لا يعز عليك أن تختار من بينهن زوجة صالحة !

– بل ان هذا من أشق الأمور !

– لقد أدركت بغيتك ٠٠ فلكي تحوز امرأة اعجابك يجب أن تكون غاية فى الرقة والعذوبة ، وأن تنأى بك عن الغرور والحسد ، وأن تكون مؤدبة ، ذكية ، متحفظة ، بارعة فى تدبير المنزل ٠٠ وقصارى القول ، أن تكون حائزة لجميع الصفات الحسنة ٠٠ وهو ما لا يتوفر فى امرأة ما !

– ولكنها متوفرة كلها فيك ! ٠٠ انك يا نور الفجر الفتاة التى أهفو الى الزواج منها !

فهتفت فى حزم ورزانة : « لا ! » ٠ حتى اذا تبينت دهشته ، استطردت قائلة : « **أفتظن أنه يكفيك أن تزور أسرة من الأسرات ، وأن تلقى بمنديلك حتى يقفز جميع أفرادها متهافتين على ارضائك ؟** » ٠ وبهت شاندور ، فقد كانت هذه أول مرة يسمع فيها مثل هذا الكلام ٠٠ وأحس بأنه لا يقوى على الصمود لنظرات الفتاة ، وان عاطفة لا عهد له بها قد بدأت تتحرك بين جنبيه ! واستطردت الفتاة قائلة : « لا ، يا سيد شاندور ٠٠ ان اختيارك لا يشرف أحدا ، فما أنت سوى رجل مستهتر ،

جبلت على الاستهانة بالمرأة ‥ وما تفكيرك فى الزواج ســوى جرى وراء لون جـديد من اللـذات ! » ‥ وحاول أن يحتج ويعترض ، ولكنها لم تمكنه ، اذ مضت تقول : « انما أقــول الحق ، وما أرى الا انك ستتردد على محظياتك فى غداة زواجك! هل تقسم على ان هذا لا يجول بخاطرك ؟ »

وسكت شاندور ، فهتفت : « **هل رأيت ؟ ومع ذلك ، فمـا يدريك بأنك لا تصادف اعجابى ، ولا تمثل الفكرة التى تراودنى عن الرجل الذى يصلح زوجا لى ؟ ‥ ان لى أنا الأخرى شروطا عسيرة !** » ‥ وجرحت لهجتهـا كرامتــه ، فهتف : « أراك مغرورة ! » · فقالت : « ولكن عندى ما يبرر غرورى ، أما أنت ‥ فماذا لديك لتفخر به ؟ أتزعم انك كـريم ؟ أتراك ذكيا ؟ أتنكر انك كسول ؟ »

ولم يحتمل شاندور أن يسمع مزيدا ، فما عاملته من قبل امرأة بمثل هذه القسوة · لذلك لم يلبث أن غادر الدار مغضبا ، وقد صمم على أن يعزف عن الزواج ! ‥ ومع ذلك ، فقـد ظل وجه « نور الفجر » يشع فى خياله !

* * *

◆ **وفى** اليوم التالى ، ذهب مادهو الى « رازيجاجا » ـ وزير ماليـة الولاية وصـديق الأسرة ـ وفى صـحبته خمس من شقيقاته ، اذ أبت نور الفجر أن تصحبهم · وكانت الرغبة فى الانتقام تستبد بالفتيات · وذكر الوزير أنه على استعداد لأن يساعدهن ، ولكنه لا يدرى سبيلا الى ذلك ، فهتفت مورارى : «ان شاندور لايدفع الضرائب!»، فاستهوت الفكرة رازيجاجا ‥ ولجأ مع مادهو الى مكتبه ليدرسا مواد القـانون ، حتى يتبينا مدى حكمه فى هذا الصدد · وبقيت الفتيات الخمس ، يتحدثن عن الانتقام ‥ وكانت « ياناه » ـ زوجـة الوزير ـ

صامتة طيلة هذه الأثناء ، ولكنها لم تلبث أن قالت : « **الآن وقد خرج الرجلان ، أصارحكن بأن الالحاح فى طلب الانتقام ليس فى صالحكن ! ٠٠ ان معناه أن تعرف الهند كلها ان ضابطا لم يجد بينكن زوجة صالحة له !** » .

وتبادلت الفتيات نظرات حافلة بالمعانى ، ثم تطلعن اليها ٠ وكانت « ياناه » جميلة ، بديعة القوام ، لا تتجاوز الثلاثين من عمرها ، أى فى نحو نصف عمر زوجها ! ٠٠ وكانت فى رأسها فكرة تلح عليها ، فمـــا لبثت أن سألتهن : « وما شكل هـذا الضابط ؟ » ٠٠ وأسرعت الفتيات يتبارين فى ذكر محاسنه : قوامه الممشوق ، وصوته العذب ، ونظراته الثاقبة ، وشـعره اللامع ، ولطفه وظرفه ! ٠٠ وما أن سمعت ياناه ذلك ، حتى أوفدت خادما لاستدعاء شاندور ٠ وعندما لمحت دهشة الفتيات ، قالت : « انما أرسلت فى طلبه استجابة لرغبتكن فى الانتقام ٠٠ فتعالين نتدبر الخطة لذلك ! »

★ ★ ★

◆ **وكانت** الفتيات الخمس يجلسن صفا واحدا ـ بينما قبع الوزير والحكيم في ركن من الحجرة ـ عنـدما أقبل شاندور ، فخفت ياناه لاستقباله ٠ وخفق قلبها حين رأته ، ولكنها بادرته قائلة : « أيها السيد شاندور ٠٠ لقـد استدعيتك ـ بوصفى زوجة الوزير ـ لأسألك أن تعلن أمام الشهود عن أسـباب امتناعك عن دفع الضرائب ؟ » ٠٠ فأجاب الضابط فى برود : « ولماذا أدفعها ؟ »

ـ لضمان حسن سير شئون الولاية !

ـ واذا كنت أرى ان شئون الولاية تسير على أسوأ حال ؟

وأمر الوزير باحتجاز الضابط ريثما يبت فى أمره ، بعد أن أهان الحكومة ومقدرتها على ادارة شـئون الولاية ! ٠٠ وما أن

أصبح شاندور فى عزلة مع خادمه ، حتى قال هـذا : « هل لاحظت نظرات ياناه ؟ لقـد كادت تلتهمك بعينيها ! » .. فتساءل الضابط : « وما قيمة ذلك ؟ » .. وهز الخادم كتفيه وقال : « **انها جميلة على كل حال ! أو لم تدرك انك قـد رقت لها ؟ ان حب المرأة الناضجة الرزينة ، حب جبار .. وهو أشد جبروتا اذا كانت المرأة جميلة !** » .. وخلص الخادم من تفكيره الى ان خير ما ينبغى على سيده أن يفعله ، هو أن يغـوى ياناه نفسها ! وقال الضابط : « ولكن القلب لم يعد طليقا .. لقد أحببت نور الفجر ! »

ـ تلك العذراء اليافعة التى جرحت كرامتك ؟

ـ لقد كانت النساء جميعا يتهالكن عند قدمى ، فلم أعرف الصد الا على يديها .. ولن أرتاح حتى تصبح زوجة لى !

وفى تلك اللحظة ، سمع صوتا عذبا رخيما .. صـوت نور الفجر نفسها ، فهتف الضابط : « أو أنت هنا ؟ » .. وأجابت فى هدوء : « لقد كنت طيلة الوقت هنا ، ولكننى لم أسـمع كلامك » .. وعجب الضابط حين كشفت له عن سر وجـود شقيقاتها لدى الوزير ، وازداد عجبا حين ألفاها لم تنضم اليهن فى السعى للانتقام منه .. ولكن المفـاجأة الكبرى كانت فى انتظاره ، حين هم بأن يطارحها الهوى ، اذ قالت له : « استبق حبك لمحظياتك يا شاندور ! » . وانفلتت خارجـة ، واذ ذاك هتف سانفو : « ان هذه الصغيرة متيمة بحبك ! » .. ولما لم يكن سانفو معتقلا مثل سيده ، فانه لم يلبث أن غادره لبعض شأنه .. وبقى شاندور وحيدا !

وفى تلك الأثناء ، عادت نور الفجر اليه ، وهتفت فى رجاء : « أيها الضابط ، اسرع بالفرار ! » .. وذكرت له انها أنصتت الى ما كان يدبر له من عقاب ، فأشفقت عليه مما كانت تبيته له زوجة الوزير .. وقالت : « ان المسألة دقيقة ، ولست أملك

أن أفسرها لك ٠٠ فادفع الضرائب حتى لا تصاب بأذى ! »

ـ من المستحيل أن أدفع قبل أن أعرف المبرر ! ولكن ، لماذا جئت أنت ، وما سر اضطرابك ؟

ـ لقد بدأت أشعر بالخطر المحدق بك ٠ لقد كنت أكرهك من قبل ، والنساء يحطن بك ويتهالكن عليك ٠٠ ولكننى ازاء ما أنت معرض له الآن ، لا يسعنى الا أن أصارحك بأننى أحبك !

وأقبل الوزير فى تلك اللحظة يتبعه الحكيم ثم ياناه والفتيات الخمس ٠ وشرع «رازيجاجا» يتلو على شاندور العقاب الذى قضى به عليه : « **يحرم على الضابط شاندور أن يحب لمدة عام كامل ، على أن يعاقب بالموت اذا خالف هذا القرار ، كما تعاقب بالموت أيضا كل امرأة تشاركه حبه خلال هذه المدة » ! ٠٠**
وكانت الفتيات الخمس يصحن فى شماتة أثناء القراءة !

وما أن سمع الضابط هذا الحكم حتى صاح : « اننى أرتمى على قدمى الحكيم ملتمسا يد نور الفجر ! » ٠٠ ووقعت كلماته كالصواعق على الحضور ، وتبادلت النساء النظرات ، وهن لا يصدقن أسماعهن ٠ ثم تحولن الى الفتاة الصغيرة ، فاذا بها تعلن فى جرأة انها تحب الضابط !٠٠ وفى غمرة الهرج صاحت زهرة اللوتس : « ولكن القرار يحرم على الضابط شاندور أن يحب امرأة ما ، ولو ارتبطت معه برباط الزواج » ٠ فقال شاندور فى هدوء : « **لكى أكون جديرا بنور الفجر ، أقبل أن أظل عاما محروما من أن أقطف ثمار حبى !»**

وقال الحكيم مخاطبا شقيقته الصغرى : « يا ابنة أمى ! ان الضابط شاندور رجل مستهتر ، ومن المستحيل أن يظل وفيا عاما بأكمله ٠٠ ولابد له ـ فوق ذلك ـ من دفع الضرائب المتأخرة عليه ! » ٠ فصاح شاندور : « لا ، لن أدفع ! » ٠٠ وأمر الحكيم اثنتين من شقيقاته بأن تصحبا نور الفجر الى المنزل

فتحتجزاها حتى تثوب الى رشدها · وما أن غابت الفتاة عن الحجرة ، حتى التفت شاندور الى ياناه وقال : « أهذا تدبيرك ؟ » ·· فأجابت : « أجل ! » · واقتربت منه قائلة فى صوت خفيض: « انك الآن تتحدى النساء ، ولكنك لن تلبث بعد أن تقضى شهرا أو اثنين أو ستة ـ محروما منهن ـ أن تدرك معنى السهاد واللوعة ! » ·· وكان جواب شاندور على هذا الوعيد : «لسوف يمنحنى كاما ـ اله الحب ـ قوة على احتمال كل اغراء ! »

وهنا سألت زهرة اللوتس الوزير أن يسمح لها بأن تلازم الضابط لتراقب تنفيذه للقرار · وأجابها الوزير الى طلبها ، بينما همست ياناه لشاندور : « كفى مكابرة ! سأزورك بعد شهر ، وأنى لواثقة من ان لهجتك المتحدية ستتغير فى هذه الأثناء ! » ·· وانفلتت خارجة

★ ★ ★

♦ **وأثبت** شاندور وفاءه للعهد ـ عهد حبه لنور الفجر ـ فلم تزده ملازمة زهرة اللوتس اياه الا تشبثا بحبه ، ولم تزحزحه زيارات ياناه ـ ولا اغواء الراقصات اللائى كانت ترسلهن اليه ـ عن وفائه !



وانقضت ثلاثة أشهر ، ذاعت فيها القصة فى كافة أرجاء الهند ، وأصبح وفاء شاندور ومقاومته لكل اغراء حديث القوم ، مما أحاطه بهالة من العطف · ونظم الكثيرون قصائد وأغانى فى اطرائه ، وفى السخرية من الحكومة لهذا العقاب العجيب ! ··

وانتشرت الشائعات عن ان زوجة «رازيجاجا» كانت تتدخل في شئون الحكم ، وتملى ارادتها على زوجها ٠٠ وانها هى التى أصدرت هذا الحكم على الضابط ارضاء لنزوات خاصة !

وأصبح لشاندور ونور الفجر شهرة فى شبه الجزيرة الهندية تضارع شهرة قيس وليلى فى شبه الجزيرة العربية ٠٠ حتى اذا رأى الوزير «رازيجاجا» ان ثورة الرأى العام قد استفحلت ، فكر فى حل يصون كرامته ٠٠ فسعى الى « مادهو » وعرض عليه أن يدفع له مبلغا كبيرا من المال ـ كبائنة لنور الفجر ـ على أن تسدد الضرائب المستحقة على شاندور من هذا المبلغ ٠٠ وكان « مادهو » قد أيقن ان كل جهد لتحويل أخته الصغرى عن هواها ، جهد فاشل ، فقبل الحل ٠٠ وذهب بنفسه الى شاندور فقال له : « ألا دعنى أهنئك على ثباتك ٠٠ فما أردت بمعارضتى الا أن أختبر حبك ، وقد أثبت انك جدير بأختى نور الفجر ٠ ولكن عليك أولا أن تدفع الضرائب حتى يسقط عنك حكم الحرمان ! »

وهنا فقط ، قبل شاندور أن ينزل عن عناده ويدفع الضرائب ليفوز بفاتنته !

قصة من الصين

◆ كان « تشاو » رجلا محسنا ، يحب الآخرين أكثر مما يحب نفسه • ولكن شغفه بالاحسان ما لبث ان دمره واستنزف ثروته ، فاعتزم ان يرتحل الى بوذا يستلهمه الصواب • ولكنه لم يخرج فى رحلته الا بعد ان حمله كل صديق مسائل يعرضها على الحكيم الأعظم :

قال السيد « لى » وزوجته لتشاو : « ان لنا فتاة فى العشرين وان جمالها لساحر ، ولكنها لا تستطيع الكلام ! فهل يقيض لها ان تشفى على يد بوذا ؟ » • وقالت له السيدة « وانج » : « ان لى طائرا وليس لطائرى غناء ، وان لى كلبا وليس لكلبى نباح ، فلم كان ذلك ؟ »

وانطلق الرجل الطيب فى رحلته ، الى ان لقى بوذا على قمة جبل ، فعرض عليه الأسئلة وتلقى أجوبتها : « ان الفتاة « لى » ستنطق يوم يجيئها الرجل الملائم فى الوقت الملائم ! » • وأما السيدة « وانج » فان طائرها لا يشدو كما ان كلبها لا ينبح ، لأن فى أرض حديقتها كنزا مخبوءا لا يعلم به أحد !

وأسرع « تشاو » عائدا بالأجوبة الى أصدقائه ، حتى لقد نسى فى غمرة هذا الحرص أموره الخاصة فلم يطرحها على بوذا • وأعملت أسرة وانج الفؤوس فى أرض الحديقة ، فعثرت على مائة ألف قطعة من الفضة ، دفعت بالجانب الأكبر منها الى « تشاو » ، مكافأة له ، فاستعاد حالته الطيبة • أما أسرة لى ، فقد ذهب « تشاو » لزيارتها ، ولينقل اليها الاجابة على سؤالها ، فلم تكد الفتاة الجميلة تراه حتى نطقت قائلة : « انظروا ! لقد عاد تشاو أخيرا ! »

وقال السيدان « لى » : « لقد وضحت ارادة بوذا ان تكون فتاتنا زوجا لك »

وهكذا نال « تشاو » الطيب القلب ـ بمساعدته الآخرين ـ كل ما يلزم لاسعاد رجل : المال ، والحب !



مصير البشرية

أبقاء ونماء .. أم اندثار وفناء ؟!

للباحث العالمى: "ب. ل. دى نووى"

تلخيص : أنطون العبيدى

الدين والعلم ·· صنوان !

◆ انتهى بنا الباحث العالمى « ب · ل · دى نووى » – فى الحلقة الماضية من هذا البحث الذى يثبت فيه بالأدلة العلمية ما ينكره بعض دعاة العلم من وجود الله – الى ظهور الانسان كأسمى انتاج لعجلة التطور· ثم بين كيف ان التطور انتقل بعد اكتمال الجسد الانسانى الى الجانب النفسى والعقلى من كيان هذا المخلوق· ويتولى العلامة فى الجزء الذى نقدمه لك اليوم –من هذا البحث الشيق– تفسير ماورد فى الأديان من أن الله نفخ من روحه فى آدم ، كما يفسر لنا ، على ضوء العلم وبأسلوبه ، قصة آدم والثمرة المحرمة ، وقصة ابليس ورفضه السجود لآدم · ولأول مرة ، ستتفتح عينك على حقيقة لم تكن تفطن اليها من قبل ، وهى أن : الدين والعلم يسيران جنبا الى جنب دون تناقض بينهما !

بداية تفوق العقل على الغريزة

◆ دام الطور البدائى حتى نشأة الضمير فى الانسان ، وفى خلاله تعلم الانسان كيف يميز بين الجيد والأجود فى أمور معاشه · فلما نشأ الضمير ، تبدلت معايير هذا التمييز ، فلم يعد يقتصر على الماديات ، بل امتد الى المعنويات ·· وأصبحت لدى الانسان قواعد خلقية تسود سلوكه ومعاملاته مع الآخرين ، وتحرر من الانسياق الأعمى للطبيعة والغرائز ·· **وكانت هذه طفرة واسعة ، باعدت بينه وبين الحيوان الى درجة كبيرة ، فهو لم يعد مثله خاضعا لغرائزه وحدها ، وانما أصبح يراقب نفسه ويحاسبها ويتدبر كل شىء قبل أن يقدم على أى عمل !**

وهكذا كان اتجاه التطور الى روح الانسان ونفسه – بعد أن كان مقتصرا على جسده – بداية مرحلة جديدة ، لا يمكن للتطور أن يتم فيها بغير مساهمة الانسان ·· فهو يجرب الحلول العديدة ويختار منها – فى آخر الأمر – ما يراه صالحا للبقاء والارتقاء

وهنا ، يحين الموعد المناسب لاتخاذ الخطوة الأولى فى محاولة التوفيق بين الدين والعلم !

الدين والعلم ٠٠ يلتقيان فى قصة الثمرة المحرمة !

• **ذكرنا** فى مواضع عديدة من الفصول السابقة ، كلمة « الحرية » ٠ ومن المسلم به ان معناها فى هذا المجال هو : تحرر الكائن الحيوانى من عبوديته لبيئته من ناحية ، ولغرائزه من ناحية أخرى ، عن طريق تطورات متعاقبة طرأت على تركيبه البدنى ، وتطورات نفسية بدأت عندما نشأ الضمير ٠٠ وكانت نشأة الضمير هى أكبر ما يميز الانسان عن الحيوان ، كما انها أتاحت له أعظم حرية ظفر بها دون الحيوان ، وهى حرية الاختيار !

وتجمع الأديان على ان الله خلق الانسان بنفخة من روحه ، فصار نفسا حية ٠ فماذا يقول العلم فى ذلك ؟

الشائع أن الدين والعلم لا يتفقان فى كثير من المسائل البيولوجية ، ولا سيما ما يتعلق منها بنشأة الحياة ٠ والواقع انه اذا كان ثمة خلاف بينهما ، فهو من صنعنا نحن البشر ٠ اذ أن مصدر العلم والدين معا هو الخالق عز وجل ٠ والذى يقرره العلم عن نشأة الحياة هو ان تطورا طرأ على المادة الجامدة أدى الى « تعضونها » ـ أى تحولها الى كائن عضوى ـ فنبضت بالحياة ! لا يختلف هذا فى جوهره عما يقرره الدين ، وأن اختلفت الألفاظ التى يعبر بها عن هذا المعنى ٠ ولا شك ان العبرة بالجوهر دون المظهر

يقول الدين ان الله نهى الانسان عن أن يأكل من الثمرة المحرمة ، ويقول العلم فى هذا ان الانسان منح حرية الاختيار ٠٠ ومن الواضح أن العبارتين تلتقيان فى المعنى ، اذا ما سلمنا أولا الرأى القائل بأن كثيرا من التعبيرات التى تتضمنها الكتب المنزلة انما هى تعبيرات رمزية ٠ فالواقع ان النهى عن أمر لا يكون الا اذا كان الشخص الذى تلقى هذا النهى حرا فى اختيار اتيانه أو عدم اتيانه ٠ فالدولة مثلا لا تستطيع أن تنهى سجينا

مودعا فى سجن انفـرادى ، عن السرقة أو القتل ، لأنه فى قبضتها وليس له من الحـرية ما يستطيع معه ان يختـار بين اقتراف السرقة والقتل أو الامتناع عنه ٠٠ وانما يخضع ذلك السجين لحكم القانون فى هذا بعد اطلاقه من سجنه الانفرادى ٠٠ ولقد كان هذا شأن الانسان الأول ٠ **فلم يكن ثمة حساب يحاسب به طيلة الحقب الأولى التى بقيها أسيرا لبيئته وغرائزه٠ ولم يتسن الحساب الا بعد نشأة الضمير ، أو بالأحرى بعد أن نال الانسان حرية الاختيار٠ذلك لأن تزويد الانسان بالضمير، القى عليه ـ كفرد فى جماعة ـ مهمة أن يرقى بنفسه ، فترقى الجماعة برقيه٠٠وكان المألوف من قبل : أن ترقى الجماعة فيرقى الفرد تبعا لها ٠ والمثل الأعلى للانسان المرتقى بنفسه يكمن فى الرسل والأنبياء الذين ظهـروا فى حقب مختلفـة من تاريخ البشرية ٠ فقد برزوا عن الصفوف وتميزوا عن العامة بقـوة روحية خارقة استطاعوا بهـا أن يقهروا غرائزهم الحيـوانية وميولهم البدنية ، وأن يجيئوا للبشرية بقواعد سلوك مثالية ، داعين الى هذا التحرر والانطلاق من العبودية الأولى** ٠ فالدين فى مجموعه دعوة الى التحرر من الحيوانية ٠٠ وهذه الدعوة تنبع من مشيئة الله ، وهو الذى أمد الانسـان بكافة الوسائل التى تعينه فى كفاحه لتحقيقها ٠ فكل ما يأتيه الانسان مخالفا لهذه المشيئة اثم ٠ وفى هـذا يلتقى الدين والعلم ويتفقان تمـام الاتفاق ٠ فمن الاثم ـ بلغة العلم ـ أن يسىء أفراد من النـوع البشرى استخدام هـذه الحرية الكبرى التى منحها الانسـان ـ ونعنى بها حرية الاختيار ـ فيتردون وينحطون ، ويتخلفون عن الركب الصاعد نحو الكمال ٠ وهذا ما نشهده فى سـير التطور بنوع عام ٠ وقد رأينا ـ منقبل ـ كيف ان التطـور يخلق أنواعا انتقالية يتلاشى بعضها بعد حين ويبقى منهـا ما يصلح للتقدم والارتقاء ٠٠

والنظرية العلمية التى تقول ان للتطور هدفا معلوما وغاية يسعى لبلوغها ، تقرر ان الحرية منحة من الله للانسان .. وهذا ما يقرره الدين أيضا . وعلى هذا فليس لأية جماعة من الناس أن تضع تعاليم تحرم أى انسان من حرية الاختيار التى اختصه الله بها . ودعاة المذهب المادى حين يجردون الانسان من هذه الحرية انما ينكرون عليه كرامته وارتقاءه عن الحيوان .. والحرية لا تكون بغير مقابل ، ومقابلها هو المسئولية . فالانسان مسئول ومطالب بأن يرقى بنفسه أبدا . ولزام عليه أن يجاهد نفسه ويسعى سعيا متواصلا الى التحرر من حيوانيته والا كان غير جدير بالحرية التى منحها .. حرية الاختيار التى هى فى كيان كل منا

كيف تكون مجاهدة الانسان لحيوانيته ؟!

◆ **ولقد** انقضى ما يقرب من مائة مليون سنة قبل ان يبلغ الكائن الانسانى هذه المرتبة فى تطوره البطىء ، فيتحرر من عبوديته للبيئة ، ويتحكم فى أمور معاشه بارشاد نوع من العقل البدائى بثته الطبيعة فى المخ .. تلك الأداة المعقدة التى زودت الطبيعة الانسان بها بعد حقب طويلة من الزمان ، والتى تسيطر على أعضاء جسمه وتتيح له تدبر الأمور واختيار أصلحها لبقائه ونمائه . تلك كانت المرحلة النهائية التى وصل اليها التطور فى الرقى ببدن الانسان .. **فان وجود المخ أقر الانسجام بين أعضاء الجسم وآلياته ، فصارت تعمل فيه متوافقة ، متضامنة ، نزاعة أبدا الى تحقيق غرض معلوم ، وهو بقاء الكائن العضوى على أتم حالة ممكنة من التوازن والتكافل أو ما نسميه الآن الصحة** . وبالمخ اكتمل ـ كذلك ـ الجانب العقلى من جانبى الكائن الانسانى . ومنذ ذلك الحين أصبح الانسان هو المسئول عن مصيره . فالتطور ـ اذ بلغ به هذه المرتبة من الكمال ـ قد

حمله تبعات ثقالا · فهو الذى ينبغى له الآن أن يعمل ، بما توافر له من قوى جسدية وعقلية ، على تطوير نفسه بنفسه ، وعلى الارتقاء ـ كفرد وكعضو فى جماعة ـ بذاتيته ، مع تنمية امكانياته ، محققا فى كل هذا مشيئة الله ومسهما معه ، ان صح التعبير ، فى عمله الذى يهدف الى اسعاد الانسان !

وشعر الانسان بأنه كفء للنهوض بتلك التبعات ، فمضى قدما فى طريق التطور والارتقاء بنفسه ، مسجلا كل خطوة يخطوها · وكان يعتمد فى التسجيل على ذاكرته ـ فى أول الأمر ـ فانتقلت الخطوات بهذه الوسيلة من ذرية الى ذرية · ثم نشأ التقليد وأخذت تلك الخطوات تنتقل من جيل الى جيل بوصفها عادات موروثة وخصال وتقاليد · ومن ثم نرى ان التطور ظل مستمرا · واذا كان قد توقف بالنسبة لجسم الانسان ـ الذى اكتمل عبر العصور والأجيال على النحو الذى ذكرناه ـ فانه ماض قدما بالنسبة للعقل البشرى ·· ذلك الجانب الأسمى من الكيان الانسانى ، الذى ينبغى له الارتقاء بغير انقطاع حتى يبلغ أهدافه البعيدة ·· وهى أهداف تتبلور فى البلوغ بالانسان الى حياة روحية بحتة !

متى بدأ الانسان يسيطر على قوى الطبيعة ؟!

◆ **والكلام** عن الجانب العقلى من الكائن الانسانى يعنى الكلام عن الآراء والنظريات الفلسفية والاجتماعية والعلمية التى تسود كل عصر من العصور وتؤثر فى المجتمع البشرى كقوى دافعة · ولا يجوز ان نهمل القوى المعنوية الأخرى التى تعمل معها جنبا الى جنب ، كالخرافات والأوهام والتقاليد والعقائد الدينية وما اليها ، فان هذه القوى ـ التى تتوافق حينا وتتعارض أحيانا ـ هى التى تنشأ منها حضارة أى مجتمع معين فى عصر معين

ويرى بعض العلماء أن أقدم حضارة ترجع الى ستمائة ألف سنة .. وهم يستدلون على ذلك بالآلات اليدويةوأدوات الصيد البدائية التى كشفت عنها الحفريات ، وقدر عمرها بهذا القدر من آلاف السنين . ويرى بعضهم أن أقدم حضارة ترجع الى زمن أبعد من هذا ، كما يرى بعض آخر انها أقرب عهدا من ذلك . على أن الرأى الغالب هو ان أقدم حضارة لا ترجع الى اكثر من عشرين ألف سنة ، اذا اعتبرنا الحضارة نوعا من تحكم الانسان فى بيئته ، وسيطرته على ما يحيط به من قوى الطبيعة ، واستخدام هذه القوى فى أغراضه . والذى نهدف اليه من ايراد هذه الأرقام هو التنويه بنقطة هامة ، وهى أن تاريخ الحضارة الأولى يحدد بدء التطور العقلى والروحى للانسان . **فمنذ ذلك الوقت استطاع الانسان ان يخضع البيئة لسلطانه ، وتحرر من رواسب الماضى ، وأخذ يتأمل الكون وينشد خالقه ومبدعه .. فعرف الجمال وعبر عنه بالفنون . ولم يعد التكاثر وبقاء النوع يعنيه قدر ماتعنيه التعبيرات العقلية والقيم الروحية التى أصبح يدرك أنها تميزه عن الحيوان وتشكل علة وجوده** . والتماثيل التى صنعها الانسان البدائى لتكون رمزا ماثلا أمام عينيه لمن رحلوا عن هذه الدنيا من أحبائه ، هى فى رأينا أقدم الأدلة على وجود فكرة الحياة بعد الموت عند أقدم الطبقات البشرية . ومما يؤيد ذلك أيضا النقوش والمواد الغذائية التى وجدت فى مقابر قدماء المصريين ، وفى الكهوف الفرنسية القديمة . فهى تدل على ان الانسان البدائى يؤمن بالحياة بعد الموت

وهذا الايمان هو الذى يفسر لنا عناية تلك الأقوام بالميت . وقد نشأت هذه العقيدة أولا فى شكل خرافات ، ثم تطورت على مر الأجيال الى عبادة والى آراء فلسفية ودينية . وكانت فكرة تلك الأقوام عن الحياة الأخرى أنها مكان غنى بالصيد .

ولا غرابة فى هذا ، اذ كان الصيد متعة الانسان البدائى وعمله اليومى . ثم تطورت هـــذه الفكرة الى فكرة فلسفية أخذت تتهذب خلال العصور حتى بلغت مرتبـــة التعاليم وقواعد السلوك

وفى تلك الأثناء ، برز دور الفرد مستقلا ومتميزا عن دور الجماعة .. فان الجماعة لا تتبدل ذاتيا ، وانما يبرز فيها من بين الصفوف فرد أو أفراد قلائل موهوبون بصفات خاصة ، يتخذ منهم التطور أدوات له كلما أراد أن يخطو بالجماعة خطوة الى الأمام ! فهم مفكرون أو صناع ماهرون أو فنانون يبهرون الجماعة بمنتجات قرائحهم ، بينما يقتصر عمل من دونهم من الأفراد على التناسل والتكاثر ، منتجين فى كل عام عددا كبيرا من الأبناء يختار التطور من بينهم بطريق الانتخاب الطبيعى أفرادا يواصلون مابدأه سابقوهم من الصفوة التى تصدرت الصفوف .. ولا تزال هذه الظاهرة تشاهد حتى أيامنا هذه !

قواعد السلوك والأخلاق لم تتقدم منذ ٦ آلاف سنة !

◆ **ولم** تكن القواعد الخلقية كثيرة العدد فى تلك العصور السحيقة .. ولعلها لم تكن تتجاوز النهى عن السرقة والقتل. فلم تتعدد قواعد السلوك الا عندما نشأ المجتمع فى أعقاب تلك العصور التى لم تكن فيها ثمة رابطة تربط بين الأفراد. فلما وجدت فكرة المجتمع ، ونشأت فكرة العقاب ـ التى حلت محل فكرة الثأر ـ تنوعت القواعد الخلقية وتهذبت تدريجا . ونحن نجد صورة مهذبة منها فى أقدم كتابين ، وهما كتاب صينى وآخر مصرى يرجع عهدهما الى ستة آلاف سنة . ونعرض هنا عرضا خاطفا للمخطوط المصرى القديم الذى يوجه فيه « بتاح حتب » نصائحه الى أمراء الأسرة الخامسة . وندعو القارىء الى ان يتأمل معنا الحكمة السامية التى تنطوى عليها

عبارات المؤلف ، وهو يقول للزوج : « **ان كنت حكيما فاعتن ببيتك ، وأحبب زوجتك ٠٠ اطعمها واكسها وأحطها بعنايتك اذا مرضت ٠٠ املأ قلبها سرورا طوال حياتها ولا تكن قاسيا ٠٠ كن طيبا مع خدمك ما استطعت ، فان السلام والسعادة يهجران البيت الذى يشقى فيه الخدم** » !٠٠ وهو ينصح الأمير - أى الحاكم - قائلا : « اذا كنت تنشد السلطان فعليك أن تسعى الى الكمال ٠ واذا اشتركت فى أحد المجالس فاذكر ان الصمت خير من كثرة الكلام » !

هذه تعاليم نصح بها أحد المفكرين منذ اكثر من خمسة آلاف سنة ٠ ترى كم من السنين نحتاج اليها ، لكى يعمل بتلك النصائح فى كافة أنحاء العالم ؟!٠٠ انها تدلنا على انه منذ أقدم العصور ، كان للأمم والشعوب دستور أخلاقى لو أننا قارناه بقواعدنا الأخلاقية الراهنة لأدركنا على الفور أننا لم نتقدم كثيرا فى المجال الخلقى عن أسلافنا البعيدين !وكذلك يلاحظ أن الوصايا العشر التى جاء بها موسى - عليه السلام - ما تزال متبعة حتى اليوم فى مختلف الأقطار والأمصار

الملحدون ٠٠ بين الخير والشر !

◆ **وفكرة** الخير والشر لم تحدد فى أى وقت من الأوقات تحديدا دقيقا ٠ وقد نشأت ، كما ذكرنا من قبل ، بنشأة الضمير ٠ وكان الأقدمون يرمزون للخير باله خير أو آلهة خيرة ، وبسعادة أخروية تنتظر فاعلي الخير ٠ كما كانوايرمزون للشر بأرواح خبيثة ، وبحياة تعسة تنتظر الأشرار ٠٠ **وكان هذا المفهوم عن الخير والشر كافيا عند الأقوام البدائية ، بيد أن الفلاسفة راحوا يحللونه ويجزئونه حتى انتهوا الى القول بأن الخير نسبى والشر نسبى كذلك ٠ فثمة أمور تعتبر خيرا فى بلد معين ، وشرا فى بلد آخر ٠٠** وعلى هذا فلا وجود لخير مطلق ولا لشر مطلق ! على أنه مما يؤسف له ان الفلاسفةالذين

عالجوا نسبية الخير والشر لم تكن فى حوزتهم الأدلة العلمية الكفيلة باقناع الجماهير بصحة نظريتهم !

ومن هنا كانت البلبلة فى أفكار الجماهير ٠٠ ذلك ان المربين يتأثرون بآراء الفلاسفة التى تتضمنها كتبهم ومؤلفاتهم ٠ ولكنهم ـ للأسف الشديد ـ يقرأون هـــذه الكتب قراءة سطحية ٠٠ أما كتب العلماء فهم لا يقرأونها اطلاقا ! ومن ثم ساد الاعتقاد بأن «فولتير» و «داروين» من الملحدين ، رغم مافى هذا القول من بعد عن الحقيقة ٠ والى القارىء ما يقوله فولتير نفسه عن الالحاد : « **ان النتيجة التى نستخلصها مما تقدم هى ان الالحاد مسخ مؤذ أشد الايذاء** » ويقول أيضا : « ان الالحاد عيب بعض العقلاء ، والخرافات عيب البلهاء » !

ان الذين توفر لهم حظ من الثقافة خليقون بأن يسألوا أنفسهم ـ اذا كانوا ممن ينكرون وجود الله ـ أتراهم يبنون اعتقادهم على الشعور أو على العلم ؟! ومهما تكن اجابتهم عن هذا السؤال ، فعليهم أن يسألوا أنفسهم سؤالا آخر هو : اذا نحن ألغينا عقيدة أسلافنا الأقدمين فى وجود الله ، فأية عقيدة نحلها محلها ؟

الانسان : معاون الله ، وصانع التطور !

◆ **والآن** نود ان نبسط هنا رأينا فى الخير والشر : ان الخير والشر يتصلان بالتطور ، وهما مثله غير مطلقين ٠٠ ذلك لأن الخير هو ما يتوافق مع التطور ويسهم فى سير عجلته بما يؤدى الى التحرر من الحيوانية ٠ أما الشر فهو ما يتعارض مع سنة التطور ويؤدى الى الارتداد الى الحيوانية ٠ وبعبارة أخرى ـ ومن وجهة النظر الانسانية البحتة ـ الخير هو احترام الشخصية الانسانية ، والشر هو امتهانها ! ٠٠ **فالحق ان احترام الشخصية الانسانية يستتبع الاعتراف بكرامةالانسان**

باعتباره صانعا من صناع التطور ومعاونا لله !.. وهذا المركز السامى الذى رفع اليه الانسان ، تقابله مسئولية عظمى ، هي تسلمه قياد التطور نفسه .. فان تمتعه بحرية الاختيار يمكنه فى كل وقت من ان يزداد تحررا ، فيرقى بنفسه ، أو ان يتردى ، فيعترض ويعوق سير التطور فى طريقه الصاعد !

ومرة أخرى نقول هنا انه لا توجد حتى اليوم نظرية علمية واحدة تفسر لنا نشأة الحياة ، وانما أمامنا أحد أمرين : اما أن نقر بتدخل قوة عليا فى هذا الصدد ـ قوة يستطيع رجل العلم ان يسميها الله ، كما يستطيع ان يسميها « مضاد المصادفة » ! ـ واما ان نعترف بأننا نجهل كل شيء فى هذا الشأن .. وقد اختار دعاة المذهب المادى هذا الموقف السلبى الأخير ، وقالوا اننا اذا جهلنا اليوم كيف نشأت الحياة ، فلن نلبث ان نعرف ذلك فى المستقبل .. فهم يبنون عقيدتهم على الشعور وحده ، لا على أى أساس عقلى أو علمى ، خلافا لما يتشدقون به من أنهم دون سواهم يفكرون تفكيرا عقليا وعلميا بحتا !

ويقول الكثيرون انهم لا يؤمنون بالله ، لأنهم لا يستطيعون فهمه أو ادراك وجوده . وردنا على هذا هو ان العالم المتوفر على البحث فى الطبيعة ، لا يرى «الاليكترون» ولا يدرك وجوده، ولكنه مع ذلك يؤمن بأن له وجودا حقيقيا ، ويتمثله بآثاره وكأنه جسم مادى ملموس !.. فكيف بعد هذا يتعذر الايمان بالله الذى ينهض كل شيء دليلا على وجوده وقدرته ؟..
وهل من حقنا ان ننكر ادراكنا الذاتى لأمور لم نتعلمها ولم نتلق نبأها فى أى وقت من الأوقات ؟.. ان هذا الادراك الذاتى حقيقة وليس وهما كما يزعم البعض .. وليست الصورة التى نتمثلها عن الله هى التى تثبت لنا وجود الله ، وانما الذى يثبته هو الجهد الذي نبذله في تصوره . ان

الادراك الذاتى هو النبع الذى تنبع منه آمالنا ورغائبنـــا وسعادتنا • وهو ليس وهما كما يقول البعض ، وانما هو حقيقة واقعة • فقد قيل بحق ان كل الأشياء التى تنبع منها سعادتنا هى اشياء واقعية ، لأنها مصدر حبنا للجمال ونزوعنا الى المثل العليا فى الحياة !

لماذا رفض ابليس ان يسجد لآدم ؟!

• **وتروى** لنا الكتب المنزلة قصة ابليس حين عصى أمر ربه وأبى السجود لآدم ، كما تروى قصة آدم وأكله من الثمرة المحرمة • واذا نحن اعتبرنا القصتين رمزيتين ، أمكننا القول بأن القصة الأولى تروى نشوء العقل وارتقاءه الى الحد الذى عرف معه ابليس ان عنصر النار – الذى خلق منه – أرقى من عنصر الطين الذى خلق منه آدم •• كما ان القصة الثانية تروى نشوء الضمير الذى عرف به آدم كيف يميز بين الخير والشر ، وكيف اختار الشر فأكل من الثمرة المحرمة وعصى أمر ربه فحق عليه العقاب !

ولقد عنى الانسان حتى الآن بالسيطرة على عالمه ، وآن له أن يعنى بالسيطرة على نفسه • وعليه – لبلوغ هذه الغاية – ان يقمع شهواته الدنيا ، وان يعزف عن كثير من الملذات التى جلبتها له الحضارة الحديثة ، تلك الملذات التى يعتبرها الناس الآن غاية لا وسيلة • وقد تنقضى أجيال قبل أن تتكيف البشرية مع المكتشفات الحديثة •• وربما استعصى عليها أن تتكيف معها !•• وخليق بنا ان نذكر أن السعادة التى تتيحها لنا حضارتنا الحالية ان هى الا سعادة ظاهرية ، وان سعادة أسمى منها بكثير – هى السعادة الباطنية – تنتظرنا اذا نحن سعينا لها سعيا !

وفى العدد القادم ، أقدم لك فصلا جديدا من هذا الكتاب الضخم !


MEMOIRES
DE
CASANOVA
مغامرات في الحب والسياسة !
مذكرات
كازانوفا
الكتاب الكلاسيكي الخالد
في أدب العشق
والمغامرة

« الدكتور » كازانوفا ٠٠ مندوب بابوى فوق العادة !

◆ أنعم البابا على كازانوفا بوسام رفيع ، وبدرجة « الدكتوراه » في القانون المدني ، وعينه مندوبا بابويا فوق العادة ٠ وبهذه الصفة رحل أمير العشق والمغامرة الى (نابولى) ، فاذا أهلها فى هياج وهرج، بعد أن ثار بركان (فيزوف) ٠ وقام كازانوفا فور وصوله بزيارة صديقه دوق « ماتالونيا » الذى رحب به وأصر على أن يستضيفه ٠

بنات روما يتنزهن فى العربات المغلقة !

◆ **وفى** اليوم التالى اصطحبنى الدوق الى القصر الملكى ، حيث حظيت بالمثول بين يدى الملك ٠ وما لبثت أن عدت الى (روما) ، فبادرت بايفاد خادمى « كوستا » الى صديقى الملاح الطيب « مومولو » ، لينبئه بأننى راغب فى تناول العشاء فى داره ، واننى قد طلبت الى طاه شهير أن يرسل الى هناك عشاء لاثنى عشر شخصا ٠ **وكنت موقنا من ان « ماريا » الفاتنة ـ التى كنت قد دفعت للراهب مائتى دينار كى يزوجها من خطيبها الحلاق ـ ستكون بين الحضور !**

وكانت أعياد «الكرنفال» قد بدأت ، فاستأجرت عربة فخمة، مغلقة الجوانب ، لتكون تحت تصرفى أسبوعا ، اذ كان من التقاليد المستحبة لدى بنات روما أن يتنزهن فى العربات المغلقة ، فى طريق (كورسو) ، بين الساعة الثامنة مساء ومنتصف الليل ، خلال أيام الكرنفال ! ٠٠ ولقد ظلت فترة الكرنفال ـ على مر القرون ـ فرصة للانطلاق وللجنون المباح ٠ وكانت أغرب مناسباتها سباق الجياد ، اذ تنطلق الجياد الجامحة ـ غير المروضة ـ فى الطريق دون راكبين يسوسونها ، حتى تبلغ النصب الأثرى للأمبراطور « تراجان » ٠٠ وتصطف العربات ـ أثناء السباق ـ على جانبى الطريق ، كما تزخر

الأرصفة بأبناء جميع الطبقات ، وقد أخفوا ملامحهم وراء الأقنعة · فاذا ما مرت الجياد ، انطلق الناس ركوبا أو مشاة الى عرض الطريق ، وأخذوا يقذفون بعضهم بعضا بالحلوى اللذيذة ، أو الحلوى الزائفة ـ التى يحشى بعضها بمواد غريبة ـ أو بالورق ، أو بمختلف الأشياء التى يهيئها لهم المرح النزق ·· ومنهم من يتبادلون هذه الأشياء من فم الى فم ! ·· كان للقوم الحق فى أن يرتكبوا كل الحماقات التى تحرم عليهم عادة · فاذا ما انتصف الليل ، انطلق مدفع قلعة « سانت انجيلو » معلنا انتهاء فترة الاباحة ، ومؤذنا باخلاء طريق (كورسو) ، فلا تكاد تنقضى خمس دقائق حتى يخلو الطريق من كل عربة ومن كل راجل ، ويسارع الجميع الى المسارح ودار « الأوبرا » ، كما تزدحم المطاعم والمشارب بهواة الأكل والشرب !

أمير العشق ·· يدبر زيجات لعشيقاته !

◆ **واستقبلنى** « مومولو » وأسرته فى فرح وابتهاج · ولم أكد أستقر بينهم لبضع دقائق ، حتى أقبلت ماريا مع أمها المتدينة التى بادرتنى قائلة ان ابنتها لن تلبث أن تتزوج بعد ثلاثة أو أربعة أيام · وكان من الطبيعى أن أهنئها ، وأن أتساءل ـ متجاهلا ـ عن الرجل السعيد الذى قدر له أن يظفر بها ، فقالت الأم : « **انه شاب سيفتتح قريبا حانوتا للحلاقة · وقد تفضل الأب سانت بارنابى ـ قس الكنيسة ـ بتدبير أربعمائة دينار من رصيد خيرى تحت يده ، لتكون صداقا لماريا !** »

وفى أثناء السهرة ، قلت لبنات « مومولو » ان كوستا سيصطحبهن فى عربتى الفخمة الى طريق (كورسو) لمشاهدة السباق ، وأبحت لهن أن يستأجرن ما يحلو لهن من ثياب التنكر ، متطوعا لأن أتحمل النفقات · فلما سألننى عن «ماريا» قلت : « ان السنيورا ماريا مقبلة على الزواج ، فليس لها أن

تظهــر فى الأماكن العامة دون أن يكون زوجها المرتقب فى صحبتها » ٠٠ وتظاهــرت الفاتنة الماكرة بالاستياء ، بينما تحمست أمها لهذا التصرف منى ٠

وفى الساعة السابعة من الصباح التــالى ، كنت وماريا فى الحجرة التى استأجرتها لألقاها فيها ٠ وهنــاك ، بسط علينا الحب جناحيه٠٠ وقالت لى الحسناء ، خلال اجتماعنا ، ان زواجها سيعقد فى يوم الاثنين التالى ، فتساءلت : « ومتى يكون لقاؤنا التالى يا ملاكى ؟ »

ـ فى يوم الأحد السابق ليوم زفافى ٠ وفى وسعنا يومذاك أن نبقى معا وقتا طويلا !

اعترافات ٠٠ ناقصة !

◆ **وفى** الساعة السابعة من صباح يوم الأحـــد ، التقينا للمرة الأخيرة فى عشنا الهادىء ٠٠ **وقلت لفاتنتى : « نبئينى ٠٠ هل اعترفت للقس بكل شىء ؟ » ٠٠ فكان جوابها : « لم أفض له بكل شىء ٠٠ وما أظننى قــد أتيت ذنبــا منكرا ، اذ صدرت فى تصرفاتى عن أنقى الحوافز » ٠٠ وهتفت وأنا أودعها وأتبادل معها عهود الصــداقة والود : « عدينى يا ملاكى بأن تطلقى اسمى على أول طفل ترزقين به ! » ٠٠ فوعدتنى وهى أشد ما تكون تأثرا !**

وفى مســاء يوم الاثنين سعيت الى مقابلة قداســة البابا ـ والمدينة كلها فى شغل بالكرنفال ـ لأودعه قبيل مغادرتى روما ، فاستقبلنى فى عطف بالغ ، وقدر لى أن ضحيت بملاهى الكرنفال كى أمثل بين يديه ، واستبقانى ساعة انصت خلالها الى حديثى عن المدن التى زرتها ، ثم باركني وتمنى لى رحــلة موفقة !

وفي مساء الثلاثاء ، ذهبت الي دار «مومولو» لأتناول العشاء

مع أسرته وأودع أفرادها ٠٠ وهناك ، رأيت « ماريا » للمرة الأخيرة ، وقد أقبلت مع زوجها ٠٠ وخيل الى ان زوجها كان يبدى شيئا من التحفظ معى ، ولكن ٠٠ لعله كان مجرد وهم ! ٠٠ على ان الحسناء استطاعت أن تنتهز بضع دقائق حدثتنى فيها على انفراد ، وأطرت زوجها وأخلاقه ، فما لبثت أن قدمت للحلاق ساعة ذهبية ، كما قدمت للعروس خاتما ثمينا ، ودعوت لهما بالسعادة ! ٠٠ وبعد يومين ، رحلت الى (تورين)

صائد الحسان ٠٠ فى مدرسة تعليم الرقص !

◆ **كانت** مدرسة دوبريه ــ لتعليم الرقص فى (تورين) ــ فى أوج شهرتها ورواجها فى تلك الآثناء ، اذ كان الراقصون جميعا ، ذكورا واناثا ، يقصدونها ، وكانت الاناث يذهبن فى صحبة أمهاتهن . ولم تنقض أيام قلائل على وصولى الى (تورين) حتى زرت المدرسة . وفيما كنت أجوس خلال قاعاتها ، استرعت نظرى شابة من الحاضرات ٠٠ طويلة فارعة القوام ، ذات قسمات رقيقة بديعة . وكانت تراقص رجلا راح ينبهها فى غلظة وخشونة الى الأخطاء التى كانت ترتكبها أثناء الرقص ، الأمر الذى أثار حنقى عليه. **وما لبثت أن تقربت الى أم الفتاة ، وعرفت منها انها وابنتها من بلدة (لوكا) ، وانهما فقيرتان ، فقدتا عائلهما ٠٠ فقلت لها : « كيف تكون سيدة مثلك ــ لا تزال شابة جميلة ، ولها ابنة كهذه الحسناء ــ فقيرة ؟ »**

ورمقتنى الأم بنظرة تقدير . وفى تلك اللحظة أقبلت الفتاة ــ وكانت تدعى « أجاثا » ــ تطلب منديلا تجفف به العرق الذى تفصد من وجهها ، فبادرت أقدم لها منديلى ، وكان أبيض معطرا بشذى الورد ٠٠ فلما جففت وجهها ، أرادت أن تعيد الى المنديل ، ولكننى قلت : « ليس لك أن ترديه دون أن تغسليه

يا حسنائى ! » . فابتسمت .. وسرعان ما ذاب جليد التحفظ ، فتوثق التعارف بيننا

كازانوفا يدفع ثمن مغامرة جديدة .. مقدما !

◆ **وطلبت** من « دوبريه » ـ صاحب المدرسة ـ أن يقيم حفلة راقصة كبرى لحسابى ، يدعى اليها جميع الراقصين والراقصات، على أن لا يسمح للرقص فيها الا للمحترفين .. وأعدت بطاقات للراغبين فى الحضور من سيدات وسادة المجتمع ، على أن تباع البطاقة بدينار ، وعلى أن يقدم العشاء للحضور . وأرادت «أجاثا» أن تعتذر عن الحضور لأنها لم تكن تملك ثوبا يليق بحفلة كهذه، ولكننى أنطت بمدام دوبريه أن تبتاع لها ثوبا ، فاختارت لها واحدا من حرير فخم غال ، مطرز أبدع تطريز . وفرحت الفتاة البريئة وأمها ـ التى لم تكن تقل عنها سذاجة ـ بالثوب الذى لم تستطع أيهما أن تقدر قيمته الحقيقية ! **وأتاحت لى هذه الهدية أن أشرف على زينة الفتاة ـ فى مسكن دوبريه ـ فلما لاحظت أن قرطيها كانا رخيصين لا يتسقان مع فخامة الثوب ، أخرجت لها من جيبى قرطين ماسيين ثمينين، ثبتهما الى أذنيها بيدى .. وزعمت انهما من ماس زائف ، حتى لا أثير الريب فى قلبى الأم والابنة !**



ولاحظت خلال الحفلة أن الفتاة كانت تراقص شابا انجليزيا يدعى لورد «بيرسى» ، كان من العابثين الذين ينفقون دون

حساب على ملاذهم ٠٠ وقد تكبدت عناء كبيرا حتى استطعت أن أنتزع « أجاثا » منه ، ثم راقصتها بضع رقصات ، وبعد ذلك أديرت كؤوس الشمبانيا المعتقة ٠٠ وفيما كنت أجلس مـع « أجاثا » الى جوار احدى سيدات المجتمع الخبيرات بالحيـاة ، التفتت السيدة الى قرطى « أجاثا » وأطرت جمالهما ، فقـالت الفتاة : « انهما من ماس زائف ، وقد أهـدانيهما السيد » ٠ فضحكت السيدة وغمزت لى بعينها وهى تقول : « اذن فقـد عرف السيد كيف يخدعك يا عزيزتى ! »

وتضرج وجه « أجاثا » ، وتأكدت من صـدق السيدة حين وجدتنى صامتا ! ٠٠ فلما كان اليوم التـالى ، زارتنى أمها ، ورغبت فى أن تعرف ما اذا كان القرطان من ماس حقيقى ٠ ولم أتردد فى أن أؤكد لها ذلك ، واننى أنزل عنهما هدية لابنتها ٠ فلما تتمالك المرأة نفسها ، وراحت تقبلنى وهى تعـدنى بأن تعمل على توثيق علاقتى بابنتها !

وفى الحلقة القادمة ، نرافق أمـير العشق فى مغامرته الجديدة ، لنرى ماسوف يجـرى له مع الأم وابنتها !

« مطبوعات كتابى » تقدم لك حوالى منتصف مايو الجزء الثانى من أشهر قصة أجنبية تجرى حوادثها فى مصر :





امرأة .. لا رجل !

لوحة للفنان « فرانسوا بوشيه » بمتحف اللوفر


فى الجزء الأول من هذه القصة الرائعة، رأينا كيف جاءت «مز تشبستو
مع زوجها من بلادهما (انجلترا) إلى مصر، وكيف عاشا يشرفان على المزارع التى يستثمرها
الزوج فى (الفيوم)!.. ثم كيف التقت الزوجة بالشاب المصرى، الجذاب، الثرى، «البارودى»
فأشعل فى كيانها جذوة غرام جارف أثناء حياتها، وأحرقها.. أسعدها وأشقاها!
فماذا جرى بعد ذلك بين الزوجة وعشيقها؟.. وبينها وبين زوجها؟.. أيهما اختارت
.. وأيهما ضحت به؟.. ومن هو الشخص غير المتوقع الذى ظهر فجأة على
مسرح الحوادث ليمسك بخيوط الموقف المعقد الذى اكتنفته عناصر الخديعة
والغدر.. بل الموقف الذى قاد إحدى شخصيات القصة إلى حد
الإقدام على الجريمة؟..
كل هذه الأسئلة التى تراود خاطرك، وغيرها، يجيبك
عليها الجزء الثانى الممتع من القصة الجبارة:
بيلادونّا
يصدر به عدد منتصف مايو من «مطبوعات كتابى»
يصدرها: حلمى مراد
الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية